ثقافة المقاومة

تحديات الواقع وآفاق المستقبل

أعمال مؤتمر المقاومة
أيار / مايو ٢٠٠٦

مكتبة
مؤمن قريش

ثقافة المقاومة

تحديات الواقع وآفاق المستقبل

ثقافة المقاومة

تحديات الواقع وآفاق المستقبل

أعمال مؤتمر المقاومة

أيار/مايو ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعتمد حركات التحرر والمقاومة في ثقافتها على العلاقة مع الهوية الوطنية والقومية والدينية في البناء المجتمعي بروحيته ومعنويته التقليدية، بحيث تتحول إلى رمز التعبير عن كرامة الأمة التي تحتضنها وهويتها المستقلة أو الطامحة نحو الاستقلال البنّاء...

من هنا لا يمكن لأي حركة تحرر ومقاومة أن تخلو من عمق استراتيجي في ثقافتها ووعيها.

وقد تتشابه تلك العناصر الثقافية في وعي حركات التحرر والمقاومة رغم اختلافاتها الجغرافية أو الدينية أو العقائدية، لتكون حاملة لجملة من المشتركات التي تشكل رافعة تواصل استنهاضي في مواجهة إشكاليات الواقع وتحديات المستقبل...

من جهة أخرى باتت ثقافة المقاومة جزءاً من ثقافة الشعوب ووجدانها، إذ ترسخت في حكاياتها الشعبية التي تناقلتها الألسن عبر الأجيال عن الشهداء وعن البطولات التي قاموا بها ضد الاستبداد أو من أجل التحرر من الاحتلال والاستعمار. وأصبحت المقاومة جزءاً من الهوية القومية والوطنية والدينية، تعود إليها الشعوب وتحتمي بها وتستعيدها عندما تشعر باقتراب الخطر من كرامتها ومن حريتها. وقد تعرضت مقاومة الشعوب على الدوام إلى محاولات القضاء عليها عبر المواجهة العسكرية أو عبر عزلها عن أمتها أو عبر التشويه المتعمد لهويتها ولبطولاتها وتضحياتها.

وها نحن نشهد في عالم اليوم، وفي بلداننا العربية والإسلامية خاصة، محاولات واضحة لخنق ظاهرة المقاومة التي تنمو وتتسع ضد ظواهر الاحتلال والعدوان والهيمنة والاستبداد؛ وما يمكن ملاحظته في هذا المجال أن هذه المحاولات التي فشلت في المواجهة الميدانية تحولت إلى الضغوط الدولية وإلى إصدار القرارات من مجلس الأمن لعلها تضع حداً للمقاومة التي باتت عصية على الاحتواء والحصار، كما استخدمت الضغوط النفسية والسياسية، ولعب الإعلام دوراً مهماً ومباشراً في تشويه صورة المقاومة تارة وفي إظهار عدم جدواها تارة أخرى، كما كانت المحاولات مستمرة لقطع الصلة بين المقاومة وبين ثقافة المجتمع الذي تنتمي إليه، لإضعاف الروح المعنوية والترويج لثقافة مغايرة هي ثقافة العجز وعدم القدرة على المواجهة. وترافق ذلك كله مع دعم للأفكار التي تروج بأساليب متعددة لاستحالة الخروج عن النمط السائد في العلاقات الدولية وعن ما تريده الدول الكبرى سياسياً واقتصادياً وثقافياً بحيث أصبح الرضوخ للأمر الواقع هو «**الواقعية**» التي يستحضرها الكثيرون عندما يريدون تبرير الالتحاق بالخارج وإدارة الظهر لمجتمعاتهم، والنأي بأنفسهم عن مقاومة الاحتلال أو الاستبداد.

إننا نعيش في بلداننا العربية والإسلامية مرحلة يتركز فيها الصراع بين هاتين الدعوتين: بين الالتحاق بالقطار الدولي باعتباره الخيار الأفضل الذي سينقذ بلداننا مما هي فيه، وبين التمسك بثقافة الأمة والنهوض من أجل المقاومة والاستقلال والتحرر من أي تدخل خارجي.

إن ما تقدم يدفعنا إلى ضرورة البحث عن كل ما يساهم في ترسيخ ثقافة المقاومة في هذه الظروف الصعبة والمعقدة التي نمر بها وفي مواجهة أنواع الضغوط الإعلامية والنفسية والسياسية التي تتعرض لها ثقافتنا

والمقاومة في القلب منها. وفي هذا الإطار بادر **منتدى الفكر اللبناني** و**دار الهادي** لعقد مؤتمرهما تحت عنوان:

«ثقافة المقاومة... تحديات الواقع وآفاق المستقبل»

وقد وُزعت أعمال المؤتمر على يومين:

- اليوم الأول: جلسة واحدة تحت عنوان المقاومة: الهوية والتحديات.

- اليوم الثاني: جلستان، الأولى منهما تحت عنوان المقاومة: التجربة والإشكاليات، أما الثانية فعنوانها المقاومة والمهام التاريخية.

الإعلان عن مؤتمر «ثقافة المقاومة»

بتاريخ الاثنين في ١٥ أيار ٢٠٠٦ أعلن رئيس الهيئة التأسيسية لـ منتدى الفكر اللبناني الدكتور غسان طه وممثل دار الهادي السيد عبد الودود الأمين، عن تنظيم مؤتمر فكري بعنوان «ثقافة المقاومة: تحديات الواقع وآفاق المستقبل» برعاية الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، في ٢٣ الجاري و٢٤ منه بفندق الميريديان كومودور في الحمراء، لمناسبة الذكرى السادسة لـ «الانتصار والتحرير»، وبحضور نخبة من الباحثين والمفكرين العرب اللبنانيين وذلك خلال مؤتمر صحافي عقداه قبل ظهر أمس، في دار نقابة الصحافة، بحضور النقيب محمد البعلبكي.

افتتح المؤتمر بالنشيد الوطني، ثم ألقى النقيب البعلبكي كلمة جاء فيها: يسعدنا أن نستقبل في هذه الدار السادة في منتدى الفكر اللبناني والسادة في دار الهادي للإعلان عن «مؤتمر ثقافة المقاومة: تحديات الواقع وآفاق المستقبل» والذي سيقام في ذكرى الانتصار والتحرير. وقال: هذا الانتصار الذي حققته مقاومتنا الوطنية على العدو الإسرائيلي، كما يعلم الجميع انتصار تاريخي لا للبنان فحسب، بل للعرب جميعاً وللمسلمين ضد عدوهم التاريخي إسرائيل، هذا الكيان المصطنع الذي أقيم على أشلاء الكيان الفلسطيني الموحد وعلى أساس من العنصرية الذميمة التي نستغرب كيف ما يزال معظم المجتمع الدولي يعتبره كياناً ديمقراطياً. هذا الانتصار

الذي تحقق في الخامس والعشرين من شهر أيار جدير بأن نحتفل به، وربما كان من أهم مظاهر الاحتفال به هو انعقاد هذا المؤتمر.

وتساءل النقيب البعلبكي: «صحيح أن للفكر قيمة مطلقة، لكن ما أهمية هذه القيمة، إذا لم تكن موظفة في قيمة الحق ورفع لوائه وفي الدفاع عن الأوطان؟»، معتبراً أن خطوة انعقاد مؤتمر حول ثقافة المقاومة مهمة ونحن ما نزال في لبنان في حاجة إلى ترسيخها حتى يصبح سائر المجتمع اللبناني مقاوماً من غير استثناء، لأن معركتنا مع إسرائيل لم تنته بعد وهي معركة طويلة ونحن واثقون بأن الانتصار لن يكون إلا للحق ولن يكون إلا للمقاومة المؤمنة المتمسكة بالحق المستعدة للتضحية من أجله بأغلى التضحيات.

وألقى طه كلمة جاء فيها:

استرعت ظاهرة التغيير، انتباه المثقفين والمفكرين، فشرعوا في دراسة أسباب التغيير التي مرت بها المجتمعات البشرية عبر التاريخ، وعوامل قيام مجتمعات معينة، واندثار حضارات عاشت قروناً من الزمن، ووجدوا أن ثمة عوامل متنوعة تساهم في هذه العملية، كالظروف الطبيعية والكوارث والأحداث السياسية، والحروب والاستعمار وغيرها.

الأفكار، والأيديولوجيات، والمبادئ والعادات والتقاليد والقيم والأعراف، وسائر العناصر التي تدخل ضمن المكونات الثقافية لشعب من الشعوب، هي أيضاً، تشكل الأساس في إحداث التوازن في البناء الاجتماعي، وتحدد أنماط السلوك، وتحدد الذات الجماعية وعلاقتها بالآخر.

انطلاقاً من العلاقة التفاعلية بين الذات والآخر، طُرحت على الكيانات العربية الناشئة إشكالية الاستنهاض، للّحاق بركب الحضارة. كذلك طرحت عليها مسألة استعادة الأرض المحتلة في فلسطين، وعلى أساسها تنوعت الرؤى والأفكار واختلفت الاتجاهات، فتراوحت بين الصعود والهبوط ولكن هذه الإشكالية بقيت تشكل التحدي الأساس حتى يومنا الراهن.

وأضاف: كانت المقاومة في لبنان، قد خاضت تجربتها بصراعها مع العدو الصهيوني، بالاستناد إلى عنوان حضاري، يؤذن بتأييد حالة الصراع ويوفر الإطار للشعوب العربية والإسلامية لخوض تجربتها في هذا المجال وعلى أساسه نجحت في تحقيق النصر والتحرير.

ولكن الشعار النهضوي ما زال يحتاج إلى مساهمات جمّة من قبل المثقفين والمفكرين، خصوصاً في ظل التغيرات الحاصلة بعصر العولمة، والتي تكاد تضيع جراءها الخصوصيات الثقافية للشعوب وتضيع فيها إمكانات التحدي والممانعة.

لذا ولمناسبة مرور ٦ أعوام على انتصار المقاومة في لبنان وإزاء الهجمة التي ما تزال تواجهها قوى المقاومة والممانعة على امتداد المنطقة بأسرها، من محاولة وأد مشروع التحرر والتحرير، بغطرسة أميركية وافدة، عبر ديمقراطية زاعمة، ونيوليبرالية جامحة وعولمة ساعية نحو تدمير البنى الثقافية والاجتماعية لشعوب المنطقة لتكريس ثقافة الهزيمة والانكفاء، وفي ظل مناخات من الارتباك الثقافي، لجهة الممانعة جراء تحولات الثقافة العالمية، وجرّاء الانكماش في التاريخ، وجعله حاكماً على المستقبل وحال من الانشطار الذهني بين دفتي الانخراط في محاكاة الأمر الواقع ومقاومة هذا الواقع بالانشداد نحو التاريخ والانكفاء عن صياغة مشروع حضاري يستلهم المكونات التراثية والثقافية وتكييفها بها يتلاءم مع إنتاج مشروع للممانعة، في حدود هذه الإشكالية نطرح على قوى المقاومة وعلى النخب الثقافية والفكرية مهمة تاريخية، قوامها البحث في بناء جسر من التواصلية بين مكونات الوجدان والوعي الجمعي، المعادي بطبيعته لمشروع الهيمنة الأميركية والصهيونية وبين حلم الانتظام في مشروع وحدوي النزوع لم يقيد له التحقق بسبب الأحوال الذاتية والموضوعية التي تعيشها حال الممانعة في المنطقة.

وتابع: بسياق هذه المناخات سعت الهيئة التأسيسية لمنتدى الفكر

اللبناني ودار الهادي إلى عقد مؤتمر فكري، يهدف إلى البحث عن مكامن القوة بمحتويات الوعي والوجدان الجمعي لقوى الممانعة، وفهم المعوقات التي تشكل مانعاً من تحول حالة الوعي والوجدان المقاوم إلى إرادة مقاومة، وإلى إمكانية الولوج نحو آليات تسهم في تزخيم المحتوى الشعوري وشحذ قوى الإدراك وتوجيه الطاقات الكامنة في سبيل بحث وتجذير ثقافة المقاومة.

هذا وسيفتتح المؤتمر أعماله بين الثالثة والرابعة والنصف من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢٣ الجاري، ويتضمن كلمتي دار الهادي والهيئة التأسيسية لـ«منتدى الفكر اللبناني» ثم كلمة الرئيس سليم الحص، فراعي المؤتمر سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، ثم يبدأ بأعماله فور الانتهاء من الافتتاح ويستمر حتى مساء اليوم التالي، وتتوزع أعماله على ثلاث جلسات جاءت عناوينها على الشكل التالي:

- المقاومة: الهوية والتحديات.
- المقاومة: التجربة والإشكاليات.
- المقاومة والمهمات التاريخية.

وختم د. طه بالقول: نغتنم هذه الفرصة، لنتقدم إلى الشعب اللبناني، بنخبه الفكرية والدينية والسياسية، وطليعته الشبابية وحركاته السياسية، ومؤسساته المدنية والأهلية، بأننا نطلق اليوم، مشروع منتدى الفكر اللبناني، والذي سيعنى ابتداءً من هذا المؤتمر، بلقاءات فكرية دورية، تعنى بالحراك الثقافي والفكري، المتعلق بمستقبل بناء الهوية الثقافية للبنان جديد، قوامه قوة لبنان في قوته ووحدة أبنائه، وترسيخ معالم استقلاله وحريته الحقيقية.

افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة

كلمة دار الـهــادي

الحاج صلاح عز الدين

بعد الصلاة والسلام

قبل سنوات وتحديداً في الخامس والعشرين من أيار عام ٢٠٠٠ م ظهرت بوادر النصر وتحققت هوية الوجود وكان الامتداد في الخلود على مدى الرؤية الكاشفة عن عظمة الشهادة والشهداء الذين تحولت دماؤهم لتكون مداداً لأقلامنا نكتب بها معاني الكلمات ونبصر بها غيب الزمان.

لقد سميت بالمقاومة واحتدمت الأسماء كاحتدام الحراب والسنان على منابر المجد والكرامة، احتدام أبرز الهوية وكذلك التحديات.

لقد مات الخنوع والذل والهوان واعتلى منبر الكرامة سيد التحرير ليعطي الكون سعة والأمة الإسلامية رحابة مجدها ومعنى وجودها.

إننا في مؤتمر المقاومة وفي كل مؤتمر للمقاومة بما هي ثقافة معنى ووجود نحاول أن نستقي من أمجادنا ما نتواصل به مع مستقبلنا فنستفيد من تجربتنا ما يُبقي الشهادة لنا في كل غيب نعيشه سواء أكان غيب التاريخ أو غيب الزمان أو الغيب المطلق فكل غيب شاهد علينا وبه نمتد في زمن الموت والغربة.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام (اعلم

يا بني أن العقل هو حفظ التجربة وخير ما جربت ما وعظك) والمقاومة هي خير ما جربنا لا لكونها فعلًا في الحاضر إنما لكونها تعبيراً حياً وصادقاً عمّا نؤمن فيه من جهاد في سبيل الله إضافة إلى كونها طريق ذات الشوكة في زمن ثقافة الموت والذل.

ننطلق في مؤتمرنا هذا على أساس إيماننا بقوة الكلمة وعزيمة الموقف في نشر الكتاب وطبعه وفي إقامة المعارض والمؤتمرات لتأكيد معنى الثقافة بما هي حياة وممانعة وعقيدة حياة ووجود وقد امتدت المقاومة في ضمير الأمة فأنتجت الكتاب الجديد والكلمة الجديدة والإنسان الجديد كما قال الرسول ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض». واستدارة الزمان إنما تعني تحول الزمان والإنسان ليكون جديداً في كتابه وكلماته وثقافته.

أيها الإخوة والأخوات...

إن دار الهادي ومنتدى الفكر اللبناني أرادا من عنوان ثقافة المقاومة أن يبرزا دور المقاومة بما هي ثقافة وجود وعقيدة إنسان تحول في التاريخ ليكون تاريخاً وفي الزمان ليكون خالداً تسبقه الكلمة إلى محفل حضوره في عالم تبنيه الكلمة، لأنه في البدء كانت الكلمة كما قال النبي عيسى عليه السلام.

أردنا أن نبرز معنى الثقافة بما هي تعبير عن الكلمة الحية بدماء الشهداء ومداد العلماء على امتداد معاني الوجود ولعل من أهم ما يمكن اعتباره والتأكيد عليه في معنى الحضور والوجود هو وعي الأمة لأهمية وجود المقاومة في مواجهة الطغيان والفساد والاحتلال، ومن الغريب فعلًا أن تتحول المقاومة لتكون موضوعاً للتجاذب والتحاور في وقت يعيش العالم فيه وخاصة العرب والمسلمين معنى المقاومة بكل امتداداتها وأبعادها.

إن البعض في لبنان وفي خارج لبنان أيضاً ينظر إلى المقاومة وينظر

لها من منطلق أنها تشكل واقعاً مسلّحاً يريد أن يعمم نفسه بقوة السلاح وأن يغني ذاته بترف المادة وهؤلاء يريدون عن قصد أو عن غير قصد أن يحوّلوا وجهة المقاومة عن كونها تشكّل فكراً وثقافة وهوية وحرية وعقيدة لتكون مجرد قطعة سلاح أو مجموعة مسلّحة في هذه المنطقة هذا فضلًا عمّا يريد أن يظهره هؤلاء من أوصاف ونعوت للمقاومة تحت عناوين شتى من المذهبية والطائفية والحزبية وقد غاب عن بال هؤلاء أن المقاومة ليست عنواناً مذهبياً أو طائفياً، إنما هي ثقافة مجتمع وأمة وشعب آمن بالوطن وبالحضور السيد الحر المستقل.

إنها ثقافة إنسان امتد بكلمة التقوى وعاش بروح الإخلاص وانتصر بقوة الإيمان وبسبب ذلك كله رأينا كيف تحقق الإبصار في زمن البصيرة فاغتنى الوجود بالشهداء وتحولت الكينونة عن كونها مجرد فعل وانفعال لتكون هوية ومعنى وحضوراً دائماً في الوطن والعالم.

إن من مهام هذا المؤتمر أن يكشف ويجيب عن أسئلة متنوعة حول الثقافة والمقاومة وتأثير ذلك على ميادين حياتنا وكذلك على التحديات التي تواجه المجتمع في ضوء التحولات الكبرى التي تشهدها المنطقة بأسرها.

ومن أهم هذه الأسئلة جدوى ثقافة المقاومة والكتاب والكلمة في عالم العولمة وثورة الاتصالات.

فالواقع اللبناني اليوم لم يعد مشغولًا كما نرى نحن بسؤال الهوية؛ لأن المقاومة أبرزت الهوية والرؤية وكشفت عن مكنون حاضرنا ومستقبلنا إضافة إلى ما قدمته هذه المقاومة من معاني الحضور فضلًا عن الفعل السياسي والثقافي والاجتماعي.

وقد أدرك اللبنانيون جميعاً معنى أن تتحول المقاومة لتكون ثقافة مجتمع وأمة ووطن بفعل التجاذب القومي والوطني والديني طيلة قرن من الزمن.

إن ما نطرحه اليوم في المؤتمر وفي مجال الحوار إنما نطرحه لأجل أن يتحول إلى مادة فعل وأثر في مجتمعنا ولكي يكون له آثاره في السياسة والثقافة والاجتماع وفي كل كلمة تكتب.

وهذا المؤتمر خيرُ دليل على مدى تفاعل الكلمات والثقافات في مجتمعنا اللبناني، وإذا قارنا ما كنا عليه قبل الخامس والعشرين من أيار وما نحن عليه اليوم لوجدنا أن التحول كبير وكبير جداً في مجال الثقافة والفكر وفي مجال المقاومة الممانعة لكل أساليب المكر والطغيان التي يُراد لها أن تحوِّل رؤيتنا عن مجالها لتكون في خدمة مجالات أخرى.

إن هذا المؤتمر هو مؤتمر الكلمة الحرة والفعل الثقافي البنّاء، هكذا نريد له أن يكون مؤتمر الحرية والسيادة والاستقلال عن كل فعل وأثر يحوِّل الإنسان عن رؤيته وثقافته، مؤتمر الوفاء لمن صنع الحرية بدمه وفعله وأثره، ولا شك في أن رسالة هذا المؤتمر وسواه من المؤتمرات والأنشطة التي تُعقد لنصرة المقاومة أو للتعبير عنها في كل ما عبرَّت عنه من إيمان وتقوى وأثر طيب كانت وستبقى من المهام الأساسية لعملنا في دار الهادي لنخرج من كلاسيكية الأداء المعهودة لدور النشر في تسويق الفكرة فقط، بل لتدخل في غمار إنتاج الفكرة وتوثيقها وإعلانها إيماناً منا بأن العمل الفكري والمثابرة على الاهتمام بصنع الكلمة الحرة هو الذي يحصّن الأمة والإنسان ويجعله قادراً على مواجهة المخاطر الثقافية التي يبرزها صنّاع العولمة في عصرنا الحاضر.

نسأل المولى القدير أن يوفقنا جميعاً للعمل الطيب وللقول الطيب ولكل كلمة طيبة؛ لأن الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت... كثقافة المقاومة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة منتدى الفكر اللبناني

الدكتور غسان طه

راعي المؤتمر، أمين عام حزب الله سماحة السيد حسن نصر الله.

ممثلو الرئاسات، ممثلو المؤسسات الدينية، والعسكرية، والتربوية، الإخوة المشاركون في المؤتمر، الحضور الكريم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

منذ مطلع عهد الاستعمار في عالمنا العربي ثم قيام الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة طُرحت على قوى التحرر العربية موضوع تحرير الأرض واستعادة المقدسات، ولكن الاحتلال ما زال ماثلًا.

وفيما كان المشروع الصهيوني يشهد صعوداً متنامياً على حساب شعوب المنطقة، مال هذا الصعود نحو الانحدار حين ارتطامه بالمقاومة في لبنان والتي خاضت ضده حرباً استنزافية مريرة لم يشهدها طيلة نصف قرن من الزمن، فكانت باكورة الأمل.

كان من أسباب نجاح المقاومة في لبنان ارتكازها إلى منطلقات فقهية زاوجت بينها وبين المعطى الحضاري، وتحويلها الوجدان الجمعي المعادي للاحتلال إلى إرادة قتالية واعدة. ولأنها حملت عبر قيادتها ومجاهديها

مصداقية هي بحجم مشروعها العام وحجم طموحاتها التي ما برحت تغوص في عمق الوجدان الشعبي الذي وقف وما يزال بولائه وراء الفعل المقاوم.

لقد قدمت المقاومة في لبنان نموذجاً في التوازن بين توجيه الفعل القتالي وإدارة الصراع وبين إرساء حالة السلم المجتمعي في بلد كلبنان يحتضن مكونات وشرائح ثقافية ودينية متنوعة.

رغم تقديم المقاومة في لبنان لنموذجها الحضاري، فهل ثمة حاجة تستوجب المزيد من تشكيل الوعي المقاوم عبر الخصوصيات المتنوعة للاجتماع الأهلي اللبناني القائم على بنية اختلالية تغذت وما تزال من طبيعة الحراك السياسي الداخلي، ومن توازناته التي تؤدي إلى الانكفاء عن التأييد للمقاومة حين الولوج إلى داخل النصاب السلطوي العام، فضلًا عن الطبيعة المأزقية التي خلفها المشروع الأميركي في المنطقة ووضعه لاستراتيجية إعادة ترتيبها بما يخدم مصالحه ومصالح الكيان الصهيوني.

لقد طرحت المقاومة في لبنان مشروع بناء استراتيجية دفاعية تنخرط فيها كافة تنوعات المجتمع اللبناني، وهي استراتيجية تحمل بعداً حضارياً ووطنياً لما تختزنه من ممكنات ترسم ملامح هوية وطنية جامعة من شأنها تعضيد اللحمة بين اللبنانيين ولما تُضفيه من إحساس بالشراكة والشعور النفسي بالمنعة والقوة مع الحفاظ على التنوعات والخصوصيات الأهلية التي تشكل السمة الحضارية للبنان ورسالته نحو الخارج.

هل السبيل لإنجاز المشروع الدفاعي على النحو الاستراتيجي هو مهمة المقاومة وحدها، أم ثمة مسؤولية ينبغي لها أن تسير على نحو تكاملي، بينها المهمة التاريخية للمثقفين الذين ستقع عليهم وظيفة وطنية قوامها البحث والتفتيش عن مكونات ثقافة المقاومة من داخل المكونات التاريخية للتنوعات الأهلية والارتقاء بها قولًا وفعلًا فوق الانتماءات التقليدية الضيقة، والتحرر

من أعباء الانكفاء والضعف هو ما سعت إليه المقاومة منذ ارتطامها بالمشروع التوسعي للعدو الصهيوني في لبنان والمنطقة؟

أما في فلسطين فإن المقاومة ما زالت تقدم نموذجاً في التضحية والفداء رغم الحصار الجائر من أنظمة الغرب التي تدعي الحرية والديمقراطية وحماية حقوق الإنسان.

واذ تتقد جذوة المقاومة في العراق، ويعبر الوجدان الجمعي لشعوب المنطقة عن طبيعته المناهضة لكل أشكال الهيمنة والاحتلال، تسود المناخات من الارتباك الثقافي الناتج عن حصيلة العلاقات المعقدة التي تسود بيننا وبين الغرب والكيان الصهيوني والتي يتداخل فيها البعد الثقافي والسياسي والديني.

فمن الانكماش في التاريخ وإسقاطه على الحاضر، وحالٍ من الانشطار الذهني بين محاكاة الواقع أو مقاومته، بالاستناد إلى ضرورة إنتاج مشروعٍ للمواجهة والممانعة، تُطرح مجموعة من التساؤلات:

كيف يمكن للمقاومة إحداث التوازن بين النهج المقاوم وتقديم تجربة نموذجية في بناء السلم الأهلي والمجتمعي؟

كيف يمكن للمقاومة ولقوى الممانعة تقديم خطاب وحدوي النزوع، يشمل الخصوصيات الثقافية والدينية والقومية لشعوب المنطقة، دون إلغاء هذه الخصوصيات؟

ما هي المنطلقات التي تختزن عناصر القوة في الوعي والوجدان وكيفية تحويلها إلى إرادة مقاومة؟

هل بإمكان الفقهاء المسلمين، والرؤساء الدينيين تقديم منظومة فقهية موحدة حول المقاومة، وهل بالإمكان وضع تعريف يرسم الحد الفاصل بين المقاومة والإرهاب؟

كيف يمكن وضع استراتيجية للتحصين الثقافي في ظل سيادة العولمة التي تكاد تضيع جرّاءها إمكانات التحدي والممانعة؟.

تلك هي بعض العناوين التي سيتناولها هذا المؤتمر، والتي تحتاج بلا شك، إلى إسهامات الإخوة والمشاركين في الجلسات والمناقشات، والذين نأمل لهم باسم الهيئة التأسيسية لمنتدى الفكر اللبناني كل النجاح.

والسلام عليكم.

كلمة دولة الرئيس الدكتور سليم الحص

المقاومة في بُعْدَيها الوطني والقومي

.١٠

المقاومة هي تعريفاً حالة رفض أو اعتراض تترجم عملًا مسلّحاً أو غير مسلّح على الصعيد الشعبي. والرفض يكون لحالة ظلم أو عدوان أو احتلال ويكون الاعتراض عليها. وتكون المقاومة هي العوض عن الحرب. ففي حال تصدّت دولة بقواتها النظامية المسلّحة لعدوان دولة أخرى أو احتلالها لأرضها، فالمواجهة تكون في مستوى الحرب. أما إذا كان التصدّي من جانب أفراد أو تنظيمات شعبية فإن المواجهة هي في مستوى المقاومة.

فالمقاومة بهذا المعنى إنما هي تعبير عن انتفاضة لحرية الوطن والأمة أو لكرامتهما. فإن كان مبعثها الذود عن وطن فهي عمل وطني. وإذا كان مبعثها الذود عن أمة فهي عمل قومي، وهذا العمل في كلتا الحالتين هو في مرتبة النضال والجهاد، وبذل الروح في سبيله هو الشهادة.

بقدر ما تكون الحرّية والكرامة حقاً من حقوق الإنسان، بقدر ما تكون المقاومة حقاً، لا بل واجباً وطنياً وقومياً. هذا شأن المقاومة الوطنية للاحتلال الإسرائيلي في لبنان، وهو شأن المقاومة الفلسطينية لاغتصاب

إسرائيل الأرض الفلسطينية، وهو شأن المقاومة العراقية للاحتلال الأميركي. ونحن إذ نُشيد بمقاومة الاحتلال في العراق، نُندّد بأعمال الإرهاب ونُدينها، وهي عمليات العُنف العشوائي التي تودي بحياة آمِنين أبرياء عُزّل.

كنّا نحن اللبنانيين نقول، باعتبارنا من صميم الأمة العربية: إن مصيرنا يُكتب في فلسطين، بمعنى أن مصير أمّتنا، في هويتها ووحدتها وتطلّعاتها، يتوقّف إلى حدٍّ فاصل على مستقبل الصراع مع العدو الصهيوني. يكون المصير شيئاً في حال انتصار المشروع الصهيوني انتصاراً ساحقاً، ويكون شيئاً آخر في حال تمكن العرب من إحباط هذا المشروع وإسقاطه.

وبعد احتلال أميركا للعراق، وما آل إليه الاحتلال من قلاقل واضطرابات وفتن، بتنا نقول: إن مصيرنا نحن العرب إنما يُكتب في العراق. فلقد تمكن الاحتلال من تفجير التناقضات الفئوية في البلد الشقيق، الإثنية منها على خطوط الفرز بين عربي وكردي، كما المذهبية منها على خطوط الفرز بين سنّي وشيعي. وما كان لهذه التناقضات وجود يذكر قبل الاحتلال، وبخاصة على المستوى المذهبي. فلا غلو إذن في تحميل الاحتلال مسؤولية افتعالها وتفجيرها. هذا مع الاعتراف أن التمايز الإثني بين عربي وكردي كان قد برز قبل زمن غير يسير.

وقد ازداد هذا الاقتناع رسوخاً عندما بدأنا نسمع، على لسان مسؤولين في الدولة العظمى، عمّا سمّوه مشروع الشرق الأوسط الكبير وما سمّوه الفوضى البنّاءة أو الخلّاقة. فمن ينعت الفوضى بالبنّاءة أو الخلّاقة إنما يجاهر فعلياً بتحبيذه لها والترويج لها.

.٢.

كأنما احتلال العراق كان سبيل أولئك المسؤولين الأميركان لإثارة الفتن انطلاقاً من العراق تمهيداً لإشعالها في سائر أرجاء المنطقة العربية حيث

تسود حساسيات مماثلة. فالفوضى البنّاءة أو الخلّاقة في المنظار الأميركي هي الفوضى المدمّرة لوحدة الأمّة العربية، كما يبدو جليّاً.

وليس بين العرب من لا يُدرك أن الفوضى هي السبيل إلى إطلاق مشروع الشرق الأوسط الكبير، ذاك المشروع الذي كُتب له أن يضمّ في كيان مستحدث أقطار الشرق الأوسط، وفيها عرب المشرق كما فيها شعوب مشرقية غير عربية تشمل إيران وتركيا وقبرص وإسرائيل. هذه المساحة يتعذّر ضمّها في كيان واحد تحت لافتة الشرق الأوسط الكبير بوجود الكيانات القائمة حالياً نظراً للمصالح المتجذّرة فيها والقوى المهيمنة عليها، ويسهل لمّها في الكيان الإقليمي المنشود فيما لو تمّ تفتيتها بفعل الفوضى التي تُحاك وتُدبّر.

هكذا تكون الفوضى البنّاءة أو الخلّاقة هي السبيل إلى إقامة مشروع الشرق الأوسط الكبير، وهذا المشروع هو السبيل للقضاء على ظاهرة العروبة نهائياً. فالشرق الأوسط الكبير من شأنه بطبيعة الحال أن يسلخ بعض العرب، وتحديداً عرب شمالِ إفريقيا، عن سائر العرب، أي عرب المشرق، وأن يضم بعض غير العرب إلى بعض العرب، من إيرانيين وأتراك وقبارصة وإسرائيليين. فماذا يبقى عند ذاك من العروبة؟

هكذا يُقضى نهائياً على رابطة العروبة التي ترى فيها إسرائيل، ومعها بالطبع الإدارة الأميركية، قوة كامنة تهدد الكيان الصهيوني في المدى الطويل. لعل العروبة كانت دوماً تشكّل هذا الهاجس في أوساط القرار الصهيوني، وقد ازداد هذا الهاجس مضاءً عندما شهر الرئيس جمال عبد الناصر العروبة سلاحاً في مقارعة إسرائيل على امتداد سنوات.

وبعد جلاء القوات العربية السورية عن لبنان بفعل القرار الدولي ١٥٥٩، وهو فعلياً تعبير عن إرادة الإدارة الأميركية ومن ورائها إسرائيل،

أرخت الدولة العظمى بظلال نفوذها، لا بل سطوتها، فوق لبنان. فإذا بعدوى الفرز الفئوي تنتقل من العراق إلى لبنان، فيعاني اللبنانيون من اشتداد ملموس في حدّة الفرز الطائفي، بين مسلم ومسيحي، والفرز المذهبي في صفوف المسلمين، بين سنّي وشيعي ودرزي. وما كان ذلك كلّه صدفة. فلا غلو في تحميل الهيمنة الأميركية، كما في العراق، مسؤولية ما هو حاصل على هذا الصعيد في لبنان. والقصد في الحالتين تعميم الفتنة في المشرق العربي أجمع.

هنا يتلاقى البُعد الوطني للمقاومة وبُعدها القومي. فالمقاومة الوطنية في لبنان والمقاومة الوطنية في العراق كما المقاومة الوطنية الفلسطينية، كلها تصبّ في مجرى واحد، التحرر من احتلال أو سطوة أو هيمنة من الخارج تنخر في وحدة الشعب في كل من هذه الأقطار، ومن ثم في جسم الأمة العربية. ما كانت قضية الشرق الأوسط لولا قضية فلسطين.

.٣.

وما كانت قضية في لبنان أو في العراق لولا قضية الشرق الأوسط. الشأن الوطني، وبالتالي المصير الوطني، مرتبط بالشأن والمصير القوميين.

تحاول الدولة العظمى، ومعها قطاع لا يستهان به من المجتمع الدولي، لصق تهمة الإرهاب بالمقاومة في كل من فلسطين ولبنان والعراق، وتُصوّر المقاومة بأنها مرادفة للإرهاب. هذا سلاح إسرائيل، من وراء الدولة العظمى، في التصدّي للمقاومة. هذا مع الإقرار بأن بعض ما يُمارس من عنف في المنطقة هو من صميم الإرهاب فعلًا، لا بل من أفظع ألوان الإرهاب. من ذلك زرع المتفجّرات وتفجير سيارات مفخّخة في مناطق آهلة بالمدنيين مما يتسبّب بضحايا في صفوف الآمنين الأبرياء، من مثل ما يقع في العراق يومياً تقريباً. هذا كله من الإرهاب الذي لا علاقة له بالمقاومة الشريفة التي تركّز على أهداف عسكرية عدوانية حصراً. ولكن المفارقة

العجيبة أن الفظائع التي ترتكبها إسرائيل قتلًا وتشريداً وتنكيلًا في حق المدنيين، كما تلك التي ترتكبها القوات الأميركية في العراق وأفغانستان والتجاوزات الرهيبة التي تقترفها داخل معتقلي أبو غريب وغوانتنامو لا تُعدّ إرهاباً. فالإرهاب وصمة تلازم هويات معينة ولا تسري على أخرى مميّزة.

نحن لا نميّز بين استراتيجية الدولة العظمى، أميركا، وسياسة إسرائيل وممارساتها في المنطقة، ولا حتى في التفاصيل. آخر تجلّيات هذه الظاهرة كان القرار ١٥٥٩ الصادر عن مجلس الأمن، والمعروف أنه صياغة مشتركة بين أميركا وفرنسا. هذا القرار استهدف المقاومة في لبنان، اللبنانية والفلسطينية على حدٍّ سواء، إذ وصمهما بالميليشيات وقضى بانتزاع سلاحهما. وتُصرّ أميركا على تطبيق هذا القرار فوراً ونحن، من واقع احترامنا للشرعية الدولية المتمثّلة بالأمم المتحدة، ندعو إلى احترام القرار ١٥٥٩، ولكننا نتساءل كيف أن الدولة العظمى، ومعها دول كبرى، تصرّ على تنفيذ قرار للشرعية الدولية ولا تُصرّ على تنفيذ قرارات أخرى تعنينا، وفي مقدّمها القرار ١٩٤ الصادر عن الهيئة العامة للأمم المتحدة والذي قضى قبل أكثر من نصف قرن من الزمن بحفظ حق العودة للاجئين الفلسطينيين، كل اللاجئين من دون تمييز، إلى ديارهم في فلسطين، كل فلسطين من دون تمييز بين ما يسمى اليوم إسرائيل وبين ما يسمى غزّة والضفة الغربية. نحن لا نستطيع أن نكون انتقائيين فنطالب بتنفيذ كل قرارات الشرعية الدولية دون القرار ١٥٥٩. وكذلك لا تستطيع الدولة العظمى، ومعها المجتمع الدولي، أن تكون انتقائية بمعنى الإصرار على تنفيذ القرار ١٥٥٩ فيما هي تتجاهل كل القرارات الأخرى التي تصبّ في مصلحة العرب وهي مغايرة لمصلحة إسرائيل؟

٤.

ومن الأدلّة الحيّة على تطابق السياستين الأميركية والإسرائيلية في منطقتنا احتلال أميركا للعراق. هاجمت الدولة العظمى العراق بذريعتين

سرعان ما ثبت بطلانهما كليّاً: احتلت العراق بدعوى امتلاكه أسلحة دمار شامل وبدعوى علاقة النظام العراقي بتنظيم القاعدة. وعندما تبيّن عدم صحة الزعمين أخذت أبواق الدولة العظمى تروّج لمقولة إن القصد من اجتياح العراق كان نشر الديمقراطية فيه. وما كان ثمة جواب عن التساؤل: كيف تكون الديمقراطية من دون حرية، وأين هي الحرية في ظل الاحتلال؟ ثم تبرأت الإدارة الأميركية من ديمقراطية العراق عندما أجرت انتخابات وجاءت النتيجة لا لمصلحة أميركا وإنما لمصلحة إيران. هكذا ظهر بما لا يقبل الشك أن احتلال العراق ما كان إلا تلبية لمطلب إسرائيلي. كانت العراق تشكّل قوة خلفية لا يستهان بها تهدد أمن إسرائيل. وبعد الاحتلال لم يعد لتلك القوة الخلفية عملياً وجود. هذا في اقتناعنا مبرر الحرب الأميركية على العراق.

هذه نماذج حيّة معاصرة عن تلازم السياستين الأميركية والإسرائيلية في المنطقة، علماً بأن تاريخ المنطقة حافل بحالات الدعم المطلق الذي قدّمته الدولة العظمى للكيان الصهيوني سياسياً ودبلوماسياً ومادّياً وتكنولوجياً. والمجال هنا يضيق عن تعداد هذه الحالات. ولعل أخطر ما تمّ على هذا الصعيد إقدام مصر ثم الأردن، بتشجيع ودفع وضغط من الولايات المتحدة الأميركية، على توقيع صلح منفرد مع الدولة العبرية قبل أن يتحقق شيء من حقوق الشعب الفلسطيني أو من حقوق العرب القومية في فلسطين.

هكذا انتهت الحرب فعلياً مع إسرائيل، مع أن سائر الأقطار العربية، ومنها سوريا ولبنان من دول الطوق المحيط بفلسطين، كما بقية الدول العربية، ما زالت تزعم أنها في حالة حرب مع إسرائيل وتتصرّف رسمياً، وإن لم يكن دوماً بأمانة، تبعاً لذلك. فبعض الدول العربية استقبلت إسرائيليين في نطاق مؤتمرات عقدت، وبعض المسؤولين العرب لم يتورّعوا عن إقامة خطوط تواصل مع مسؤولين إسرائيليين ولو بصورة غير مباشرة أو معلنة.

انتهت الحرب فعلياً بين العرب وإسرائيل... وبدأت المقاومة، وما زالت مستعرة في فلسطين. وكانت المقاومة هي التي حرّرت معظم الأرض اللبنانية التي احتلتها إسرائيل على امتداد ٢٢ عاماً، ما بين ١٩٧٨ و٢٠٠٠، ولم يبقَ من الأرض المحتلة سوى مزارع شبعا ونقاط أخرى. وقد سجّلت المقاومة اللبنانية في انتِصارها مُنعطفاً تاريخياً في الصِّراع العربي الإسرائيلي. فهي المرّة الأولى التي تتحرّر فيها أرض عربية محتلّة من دون الاعتراف بالكيان الصهيوني ومن دون التوقيع على صَكّ بالصُّلح معه. كان التحرير بِلا قَيدٍ ولا شرط. ولم يكن من المُصادفة في شيء أن تكون الانتفاضة الفلسطينية الثانية، والتي يعبّر فيها الشعب الفلسطيني عن مقاومته للاحتلال الإسرائيلي، قد انفجرت بعد فترة وَجيزَة من تحرير الجنوب اللبناني على يد المقاومة اللبنانية.

.٥.

فتحرير لبنان كان بمثابة إعلان انتصار منطق المقاومة في عصر التخاذل العربي الرسمي وتهافت الأنظمة العربية على الصلح المنفرد مع العدو الصهيوني. وهذا الترابط الزمني بين مرحلة المقاومة اللبنانية الناشطة وعهد الانتفاضة الفلسطينية الثانية، هو شاهد آخر حيّ وبليغ على تداخل البعد الوطني للمقاومة مع بعدها القومي.

إنني من الذين يميّزون بين التسوية والسلام. وما حصل في كامب دايفيد مع مصر وفي وادي عربة مع الأردن كان في مستوى التسوية ولم يكن في مستوى السلام. فالتسوية تنهي حال الحرب المسّلحة، أما السلام فهو نتاج تسوية تقترن برضا الشعب واطمئنانه: الشعب الفلسطيني خصوصاً والشعب العربي عموماً. لذا فالسلام يؤدي بالضرورة إلى تطبيع العلاقات بين العرب وإسرائيل، ليس على المستوى الرسمي فحسب بل كذلك على المستوى الشعبي، وهذا ما لم يتمّ بين مصر والأردن من جهة وإسرائيل من جهة أخرى.

كل الدلائل تشير إلى أن الدول العربية سوف تبادر تباعاً إلى توقيع معاهدات صلح مع إسرائيل، والمسألة رهن بالتوقيت المناسب للأنظمة العربية. فالسلطة الفلسطينية، في شخص رئيسها، لم تخفِ يوماً توقها إلى عقد صلح مع الدولة العبرية. وكذلك سوريا. فالرئيس السوري سبق أن صرّح غير مرّة أن سوريا على استعداد «لاستئناف محادثات سلام مع إسرائيل من دون شروط مسبقة». أما لبنان فسيكون آخر دول الطوق التي توقّع على صلح مع الكيان الصهيوني. كانت محاولة في هذا الاتجاه عبر اتفاق ١٧ أيار في الثمانينات من القرن العشرين، الذي سرعان ما انهار باضطرار الدولة اللبنانية إلى إلغائه تحت الضغط الشعبي. وكان موضوع الصلح مادة سجال طويل وحامٍ بين الفئات اللبنانية، وقد حسم هذا السجال موقف مسؤول من غبطة البطريرك الماروني مار نصر الله بطرس صفير إذ قال ما مفاده: إن لبنان يجب أن يكون آخر من يوقّع على صلح مع إسرائيل. ومن المسلمات في الأوساط السياسية اللبنانية أن لبنان سيكون على استعداد للتوقيع على صلح مع إسرائيل مباشرة بعد توقيع سوريا على اتفاق مماثل.

فإذا كانت التسويات قادمة لا محالة، إن عاجلًا أم آجلًا، فكيف ستكون صورة الوضع في المنطقة بعد ذلك؟

نحن نعتقد أن التسويات سيكون من شأنها إنهاء حال الحرب المسلّحة، ولكنها لن تُنهي الصراع العربي الإسرائيلي. فالصراع سوف يستمر، وإنما في وجهه المدني السلمي، إلى أن يتحقق الحلم العربي في فلسطين، وهو يتجسّد في قيام فلسطين موحّدة، في امتدادها التاريخي من البحر إلى النهر، يتعايش فيها العربي واليهودي بسلام جنباً إلى جنب، ويعود إليها اللاجئون، كل اللاجئين، إلى ديارهم التي اقتُلعوا منها، وتكون القدس عاصمتها وفلسطين تبقى بطبيعة الحال جزءاً حيوياً من الوطن العربي الكبير.

٦٠.

الصراع المدني السلمي يمكن أن يتخذ شكل الإضرابات والتظاهرات والاعتصامات والعصيان المدني وشتّى أشكال التحرّك السياسي والدبلوماسي، وأهم من كل ذلك استمرار المقاطعة الشاملة والمحكمة على الصعيد الشعبي لأية علاقة أو أي شكل من أشكال التعامل أو التعاطي أو الاتصال مع الكيان الصهيوني. ولن يكون للمقاومة المدنية السلمية فعلها المؤثر أو الحاسم في نهاية المطاف إلّا إذا شملت الوطن العربي برمّته، من أقصاه إلى أقصاه. فلا يقتصر على فلسطين، بل يشمل الشعب العربي من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق. هنا أيضاً يبرز مدى التداخل والتشابك بين البعدين الوطني والقومي للمقاومة.

هذا الصراع قد يستمرّ لأجيال وأجيال. ولكنه لن ينتهي إلا بتحقيق الحلم العربي في فلسطين كما نراه. ومثل هذه المقاومة تحتاج إلى قيادة لا بل قيادات. ونحن في انتظار ولادتها.

ختاماً، لا يسعنا ونحن نتحدّث عن المقاومة، إلّا أن نتوقّف عند تصرف أميركا، ومعها دول كبرى، حيال فوز حركة المقاومة الفلسطينية «حماس» في انتخابات شهد الجميع بحرّيتها ونزاهتها وانتظامها. رفض الغرب نتائج عملية ديمقراطية كان هو يدعو إليها، وقرر محاصرة الحكومة الفلسطينية المنبثقة من الانتخابات وحجب الدعم والمساعدات عنها في مسعى سافر لتقويضها. وقد اشترط الغرب على حكومة «حماس» كي ينفتح عليها وقف أعمال العنف نهائياً والاعتراف بالكيان الإسرائيلي والالتزام باتفاقات سابقة. وما خطر لأميركا وسائر الدول الكبرى إذ تقف هذا الموقف مطالبة إسرائيل بوقف عمليات القتل والاغتيال، والجلاء عن أراضٍ عربية تحتلها، ووقف عمليات الاستيطان على أراضي الغير، ثم إن هؤلاء لم يتوقّفوا لحظة للتساؤل: كيف يمكن الاعتراف بإسرائيل وهي دولة لم ترسم

بعد حدودها النهائية؟ الاعتراف يكون عادة بدولة ذات حدود مرسومة. ورسم حدود إسرائيل لا يعني فلسطين فحسب بل يعني سوريا ولبنان. سيقال لنا إن رسم الحدود رهن بالتوقيع على تسوية مع إسرائيل. وهنا نعود فنذكّر بأن التسوية لن تكون في مستوى السلام إن لم تقترن بشرط الاستقرار والاطمئنان الناجمين عن رضا الشعب الفلسطيني خصوصاً والشعب العربي عموماً.

كلمة راعي المؤتمر
سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله

كنت أود في افتتاح أعمال هذا المؤتمر الفكري الثقافي أن أتطرق لثقافة المقاومة في التجربة اللبنانية والخلفيات الفكرية والثقافية لها، وأيضاً منظومة القيم والمصالح التي تقف خلفها وطبيعة الضوابط والمعايير التي فرضتها هذه الثقافة على المقاومة في سيرتها وأدائها والتزامها وسلوكها. ولكن هذا الحضور النوعي وأسباب أخرى فرضت عليَّ أن أبدل الموضوع إلى ما أرى أنه ملحٌّ في هذه الأيام ويبقى الجانب الفكري والثقافي متروكاً للسادة المناقشين المشاركين.

يوم الثلاثاء الماضي ذهبنا إلى مؤتمر الحوار وانتهينا فعلًا من مناقشة نقطة رئاسة الجمهورية وانتقل النقاش إلى الاستراتيجية الدفاعية الوطنية وطُلب مني أن أقدِّم رؤيتنا لهذه الاستراتيجية فقبلت وفعلت وكان يمكن أن أقول ـ على سبيل المناورة الحوارية ـ إنني أريد أن أستمع أولًا، ولكن نحن لا نريد أن نضيع وقت أحد فعرضنا ما عندنا بوضوح وشفافية استناداً إلى التجربة والوقائع والقواعد العلمية والإمكانات الواقعية المتاحة والاعتراف بنقاط الضعف والقوة لدى لبنان ولدى العدو وبعد عرض شبه كامل والانتهاء إلى النتيجة والمحصلة طلب رئيس الحوار دولة الرئيس نبيه بري من أطراف الحوار أن يدخلوا في النقاش، وكان من المفترض أن تنعقد جلستان صباحية

ومسائية وكنا جميعاً على موعد مع نهار حواري طويل. ولكن بعض المتحاورين قالوا: إنه بعد الذي استمعوا إليه، الأمر بحاجة إلى دراسة وتأمل وتفكير فطلبوا فسحة من الزمن، واتفقنا على موعد الثامن من حزيران.

كنا على الطاولة ننتظر النقاش والأفكار والطروحات البديلة، ليس المطلوب لا في تلك الجلسة ولا في الثامن من حزيران أن يأتي المتحاورون ويناقشوا رؤيتنا وإنما ليقدموا أيضاً رؤيتهم وما استراتيجيتهم الدفاعية على المستوى الوطني لتكون هناك خيارات متعددة ثم نناقش هذه الطروحات المتعددة، فإما أن نقبل هذه أو تلك أو نمزج بين الأفكار ونلفق بينها وإما لا نتفق.... الذي حصل أنه في اليوم الثاني بدأنا نسمع مناقشات من أطراف الحوار للاستراتيجية الدفاعية المطروحة في وسائل الإعلام وهم لم يعطوا وقتاً لليل لنكمل جلستنا ونناقشها بهدوء. وبدأنا نسمع مناقشات خطابية وهذا السبب يدعوني إلى التحدث اليوم...

وسبب آخر أن ما نُقل عما عرضته في وسائل الإعلام كان مجتزأً وغير دقيق وغير وافٍ وهناك أمور نقلت لم أتحدث عنها أصلًا في كل الأحوال طبيعة التسريبات لا أعتقد أنها قدمت صورة واضحة عن الاستراتيجية الدفاعية التي نتطلع إليها. وقد ساءني كثيراً أن أقرأ في بعض الصحف، نقلًا عن سفير دولة كبرى أنه حصل على نسخ متفاوتة ومختلفة عن ما عرضته على طاولة الحوار وأرجو أن لا يكون ذلك صحيحاً. ولكن فيما سأعرضه اليوم عليكم أقول لهذا السفير يمكنك أن تحصل على نسخة بالصوت والصورة لرؤيتنا حول الاستراتيجية الدفاعية، أضف إلى النقاش الخطابي والإعلامي والسجالي ويبدو أنه سيستمر إلى الثامن من حزيران. الناس سيستمعون إلى النقاش والحاشية دون أن يستمعوا أو يعرفوا المتن وهذا يُحدث خللًا في التقييم الموضوعي. كل هذا يحدوني إلى تقديم عرضٍ مكثَّفٍ ومركَّز لرؤيتنا وفكرتنا التي عرضناها في مؤتمر الحوار.

عندما نريد وضع استراتيجية دفاع وطني من الطبيعي افتراض وجود عدو، فالدفاع يعني أن هناك عدواً يجب مواجهته للدفاع عن سيادة وطن، وعن قراره وحريته واستقلاله، ويجب أن نحدد هذا العدو وهذه هي البداية الصحيحة. من وجهة نظرنا بل في إيماننا وفهمنا وعقيدتنا والتزامنا الوطني، أن عدو لبنان هو إسرائيل، وهذا هو السؤال الأول الذي يجب أن يجيب عليه أي باحث في الاستراتيجية الدفاعية. إذا كان الإخوة على طاولة الحوار يسلمون أن إسرائيل عدو فيمكن استكمال النقاش، أما إذا افترضنا أن إسرائيل ليست عدواً فنحن نضيع وقتنا وليس هنا تهديد ولا دفاع ولا حماية ولا مشكلة لأنه مع غير الأعداء لا يوجد قتال ولا حرب ولا مواجهة...

ثانياً: عند التحدث عن العدو الذي نواجهه عادة، إما أن تكون المشكلة معه هي طبيعته العدوانية، وإما أن تكون أطماعه التوسعية بالأرض والسيطرة والهيمنة والثروات الطبيعية وبالمياه، وإما أن تكون المشكلة معه محاولته لمعالجة أزماته بالهروب إلى الأمام، يعني ظروفه الخاصة، فيعتدي على جيرانه. في مثل حالتنا نحن نواجه عدواً طبيعته عدوانية لديه أطماعه التاريخية ولديه ظروفه الصعبة بفعل المواجهة القائمة في فلسطين المحتلة منذ سنوات. اذاً نحن نواجه هذا العدو.

ثالثاً: العدو الذي يتحرك بالخلفية العدوانية أو الخلفية الطمعية أو الخلفية المنطلقة من ظروفه الخاصة عندما نواجهه له عدة حالات أو أوضاع: إما أن يكون محتلًا لأرضنا كما كان عليه الحال في عام ١٩٧٨ و١٩٨٢ وكما هو عليه الحال الآن فيما يتعلق بمزارع شبعا وتلال كفرشوبا وبعض النقاط الحدودية، وطبعاً يعتقل الأسرى كجزء من هذه المواجهة، وإما أن يكون قد خرج من الأرض المحتلة وإنما يمارس عملًا عدوانياً بين الحين والآخر..

وأنا أتحدث لبنانياً هنا، من اختراق للسيادة والقيام بالاعتداء والقتل

والقصف والخطف كما يجري.. وهناك حالة ثالثة أن هذا العدو فعلًا لا يحتل أرضاً ولا يحتجز أسرى ولا يعتدي بالفعل ولكنه يشكل تهديداً دائماً من خلال طبيعته أو أطماعه وظروفه ولا نعرف متى يتحول هذا التهديد بالقوة إلى عدوان بالفعل.

رابعاً: نحن نفترض فيما نتحدث عنه من استراتيجية دفاعية عن مرحلة ما بعد الانسحاب من مزارع شبعا وتلال كفرشوبا وإطلاق الأسرى والمعتقلين ووقف الخروقات.. حسناً، هل يبقى العدو الإسرائيلي تهديداً أو لا؟ بالتأكيد في ظل غياب تسوية شاملة تنهي الحرب بمعزل عن موقفنا الفكري أو العقائدي أو السياسي من أي تسوية يمكن أن تصل في المنطقة، التهديد قائم وفعلي، في أي لحظة وبحجة من الحجج التي قد يخترعها الإسرائيلي نفسه، قد يتحول إلى عدوان فعلي، إذاً نحن بحاجة إلى استراتيجية دفاع.

خامساً: العدوان الذي يمكن أن يمارسه أي عدو باتجاه أي بلد، فبالتجربة الإسرائيلية من عام ١٩٤٨ إلى اليوم، قد يأخذ شكل اجتياح أراضٍ ثم الخروج منها وقد يأخذ شكل احتلال أراض والبقاء فيها، وقد يأخذ شكل الاعتداءات المتنوعة من قصف وقتل وأسر وخطف وارتكاب مجازر وتدمير بنى تحتية وتهجير الناس وهدم البيوت وتعطيل الحياة العامة وأي شكل من أشكال الاعتداءات، قد يأخذ شكل الحصار البحري أو الجوي.

هناك الاختراق الأمني للقوى السياسية اللبنانية وللقيادات اللبنانية ولوسائل الإعلام اللبنانية والأجهزة الأمنية وقطاعات معنية في المجتمع اللبناني من أجل دفع المجتمع اللبناني إلى الفتنة والتقاتل والتناحر، الذي تكون نهايته طبيعية وقطعية وهي الإحباط واليأس والضعف والوهن والسقوط والاستسلام، وهذا اعتداء غير مباشر.

أمام هذا العرض وأمام تسليمنا أن إسرائيل هي العدو وأنها تمتلك كل دوافع وخلفيات العدوان، وفي ظل معرفتنا بأشكال العدوان، فنحن بحاجة إلى وضع استراتيجية دفاع وطنية شاملة، الوطن كله والشعب كله والدولة والجيش والقوى الأمنية والقوى السياسية والأحزاب وشرائح الشعب المختلفة كلها يجب أن تكون مساهمة في تنفيذ وتطبيق هذه الاستراتيجية الدفاعية الشمولية بمعنى مشاركة الجميع وأن يكون متاحاً للجميع المساهمة فيها. وثانياً شمولية بمعنى أن هذه الاستراتيجية ليست عسكرية فقط وإنما هي شاملة لكل الأبعاد الأخرى بمعنى أننا بمواجهة التهديد والعدوان والخطر نحن بحاجة إلى الديبلوماسية والسياسة والإعلام، الذي يحدد العدو والصديق وإلى الإعلام الذي يخوض الحرب النفسية مع العدو والذي يستنهض الهمم ولا يثبط ولا يخوف، نحن بحاجة أيضاً إلى استراتيجية إعلامية وجهد إعلامي، وإلى جهد اقتصادي وبنية تحتية، وإلى جهد اجتماعي ورعاية حقيقية وخصوصاً للمناطق الأكثر تضرراً بالعدوان أو تأثراً بالتهديد.

ونحن بحاجة أيضاً إلى الثقافة والتنشئة الوطنية، لأنه لا يمكن الحديث عن استراتيجية وطنية شاملة فيما يثقف بعضنا أولاده وأحفاده أن إسرائيل عدو، وبعضنا الآخر يثقف أولاده أن إسرائيل صديق وليست عدواً، التنشئة والتربية الوطنية التي تدخل إلى مناهج التعليم في كل المدارس والجامعات. نحن بحاجة إلى أمن واستقرار داخلي وإلى تماسك وألفة وطنية داخلية.

اذاً، عندما نتحدث عن استراتيجية دفاعية وطنية لا يجوز فقط أن ننظر إلى العسكر والسلاح يجب أن تكون هناك استراتيجية شاملة، وهذا يدخلنا إلى الشرط الأول، لأنه عندما نواجه بالديبلوماسية ستكون الدولة والوزراء والنواب والسفراء وآخرون كلهم شركاء في هذه المقاومة وفي هذا الدفاع الوطني، وعندما نتحدث عن الإعلام ستكون وسائل الإعلام والصحافيون والمحررون وناقلو الأخبار والمصورون كلهم شركاء في هذا

الدفاع الوطني. عندما نتحدث عن التنشئة الوطنية سيكون أساتذة الجامعات والمعلمون والطلاب والمدراء جزءاً أساسياً في الدفاع الوطني، وهكذا عندما نتحدث عن الاقتصاد والرعاية الاجتماعية والأمن والاستقرار والجهد السياسي الداخلي. وبالتالي نحن لا نطرح أن الذي يحمي لبنان فقط هو سلاح المقاومة ولذلك رفضنا منذ البداية أن يكون عنوان النقاش في الحوار الوطني سلاح المقاومة وإنما الاستراتيجية الدفاعية وسلاح المقاومة هو جزء منها والمقاومة هي جزء من الاستراتيجية الدفاعية في أي بلد.

في العنوان العسكري ما هي الخيارات المتاحة أمامنا؟ لنفهم هذه الخيارات يجب أن نعرف عدونا وأن نعرف أنفسنا. عندما نذهب إلى العدو طبعاً نحن معنيون بدراسة هذا العدو. في تجربة مقاومتنا خلال السنوات الماضية، لا بدَّ من الإشارة إلى أنه من أهم نقاط القوة في هذه التجربة أنها عكفت بشكل تفصيلي ويومي على دراسة الكيان الإسرائيلي والمجتمع الإسرائيلي ومكوناته ونقاط الضعف والقوة لهذا الكيان الإسرائيلي وكانت دائماً تتجنب نقاط القوة وتضرب في نقاط ضعفه. ودفعاً لبعض الوهم الذي يتحدث عنه بعض اللبنانيين، نحن لا نقول إن إسرائيل ليست شيئاً أو إنها ضعيفة وواهنة، نحن نقول إن إسرائيل دولة قوية، وهذا القول يعزز ما نطرحه نحن من استراتيجية دفاعية، وهي تملك أقوى سلاح جو في الشرق الأوسط وتملك جيشاً من النخبة وتملك جيشاً من الاحتياط هو في الحقيقة كل رجال ونساء المجتمع الإسرائيلي، المدنيون في المجتمع الإسرائيلي هم الأطفال والعجزة، أما كل قادر على حمل السلاح في إسرائيل هو ليس مدنياً هو جزء من جيش الاحتياط وفي كل الحروب كان هؤلاء يشاركون بفعالية وقوة، أحدث تكنولوجيا موجودة عند الجيش الإسرائيلي والأميركيون لا يخفون شيئاً عن الإسرائيليين، يكفي أن نقول إن عندهم ٢٠٠ رأس نووي على أقل تقدير، حتى اقتصاد إسرائيل هو ليس اقتصاداً ذاتياً بكل ما للكلمة من معنى،

هو اقتصاد يعتمد بشكل أساسي على الدعم الأميركي والغربي القوي واللامحدود..

لكن هذا الكيان الذي يملك العديد من عناصر القوة يملك أيضاً عناصر ضعف. من أهمها، أنه كيان طارئ غير أصيل وأنه مجتمع غير متجانس تجمعه أسطورة ليس لها أصل أو حقيقة. من جملة نقاط ضعفه أن الذين جاؤوا إليه جاؤوا على وعد الأمن والسلام والعيش في أرض اللبن والعسل، أما لو وجدوا شيئاً آخر لغادروا هذه الأرض. من نقاط ضعف هذا الكيان أنه كفرد وكجماعة يصفهم الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، شدة تعلقهم بالدنيا وزخارفها ونعمها ومتاعها هي نقطة ضعف، بالمقابل دائماً كان استعداد شعبنا وشعوب أمتنا للتضحية والعطاء والفداء بالدم والروح والولد والنفس بالأب والأهل من أجل كرامة وسعادة وحياة هذه الأمة هي من أهم نقاط القوة عندنا. أيضاً موقعه الجغرافي في هذا المحيط العربي والإسلامي الهادر والواسع الكبير.

بالمقابل، لبنان بلد مساحته صغيرة وعدد سكانه قليل (ثلاثة أو أربعة ملايين)، إمكاناته وثرواته محدودة جداً، وضعه الاقتصادي والمالي صعب وعليه ديون ٤٠ مليار أو خمسين مليار، يمكن أن يُنظر أيضاً إلى حالة الانقسامات والاصطفافات السياسية التي تنشأ ثم تخبو ثم تعلو على السطح من جديد والنزاع الداخلي والغرق ففي الهموم والشؤون الداخلية قد تكون أيضاً من نقاط الضعف.. طبعاً من نقاط الضعف في لبنان أنه لوحده ـ في حين أن إسرائيل معها العالم ـ، هناك في العالم العربي والإسلامي من يساند ويحب لبنان ويدعو في الصلاة للبنان ولكن في المواجهة قاتلت إلى جانب اللبنانيين عام ١٩٨٢ واليوم تقول علينا أن نقاتل لوحدنا كلبنانيين بمواجهة أي اجتياح أو احتلال أو عدوان أو تهديد مفترض.

لكن هناك أيضاً مجموعة من نقاط القوة منها الجغرافيا، فلبنان جبال

ووديان، وهضاب وفيه سهول، وعندما نذهب إلى المناطق الأمامية كالجنوب وراشيا وحاصبيا والبقاع الغربي هي بالأعم الأغلب مناطق جبلية أي هضاب ووديان، وهذه نقطة تسهل حرب العصابات وتصعب أي احتلال أو بقاء في تلك الأرض، يكفي أن ننقل عن إسحاق رابين الذي كان معارضاً لاجتياح ٨٢ وكتب هذا في مذكراته في الجغرافيا في لبنان وخصوصاً جغرافيا في جنوب لبنان لو توفر فيها رجال أشداء يملكون إرادة وقدرة القتال لا نستطيع الدخول إليها وإذا دخلنا إليها لا نستطيع أن نبقى فيها وسنكون مجبرين أن نخرج منها. من نقاط القوة أيضاً هذا التنوع الطائفي في لبنان والإمام الصدر تحدث عن التنوع الطائفي أنه نعمة يمكن أن يحولها الإنسان إلى نقمة من المال والسلاح والعلم والطاقة النووية وكل شيء، فالأمر خاضع هنا لإرادة الإنسان، وفي نهاية المطاف يمكن أن يستخدمه كنعمة ويمكن أن يحوله إلى نقمة.

من جملة عناصر القوة في لبنان على قاعدة ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أن النظام القائم في لبنان ليس نظاماً مركزياً قوياً حديدياً، يمكن للعالم أن يحتجّ عليه ويطالبه ويحمله الكثير من المسؤوليات، حصلت حرب أهلية في لبنان نأسف لها وننظر إلى الحرب الأهلية كما ننظر إلى جثة ولكن قد ننظر إلى الأسنان البيضاء في الجثة، نحن وجدنا بعض الأسنان البيضاء في هذه الجثة وهي أن ما أفرزته الحرب الأهلية من تطور سياسي في البلد على مستوى الدولة أنتج لدينا في لبنان ـ شئنا أم أبينا ـ دولة غير قوية وبالتالي هذا يتيح هامش بين الدولة وبين القوى الشعبية. اليوم في أي بلد عربي حتى في سوريا إذا قامت مجموعات تقاتل في الجولان، لا يستطيع النظام السياسي في سوريا أن يقول للعالم إن عندي وضعاً شعبياً وقوى شعبية لا أتمكن من السيطرة عليها، وإذا أردت منعها سيؤدي ذلك إلى حرب أهلية وفتنة طائفية، لا أحد سيصدق هذا الكلام، ولكن في لبنان قامت

المقاومة وتحركت واستفاد لبنان من الهامش المتاح بين الدولة والمقاومة. عندما كانت تحصل مواجهات عنيفة جداً في الجنوب - إبان فترة الاحتلال وتحت القرار ٤٢٥ - كانت أميركا وكل دول العالم تضغط على الحكومة اللبنانية لوقف المقاومة، وليس قصة مزارع شبعا وهويتها لبنانية أم لا. عندما كان لا أحد يناقش في لبنان مناطق مرجعيون ولا بنت جبيل ولا حاصبيا كان مع كل طلقة نار من المقاومة لتحرير الأرض تأتي الضغوط الهائلة من المجتمع الدولي، ودولة الرئيس الحص شهد مرحلة التحرير وصعوبات تلك الأيام وحجم الضغوط الذي كانت تتعرض له الحكومة اللبنانية، ولكن أهم سلاح كان بيد الحكومة اللبنانية أن هذه المقاومة هي قوى شعبية وأن شعبنا له حق في المقاومة ونحن في الحكومة حتى لو أردنا لا نستطيع أن نسيطر على هذه القوى، ومواجهاتها ستؤدي إلى حرب أهلية وإلى فتنة قد تتطور إلى فتنة طائفية في البلد.

الآن، نحن مضطرون إلى كشف هذه النقاط وهذا التكتيك الذي عملت عليه الحكومة والمقاومة خلال السنوات الماضية وما زلنا نعمل عليه ويجب أن نستفيد منه.

نقطة القوة الأخيرة التي أريد أن أتعرض لها هي الجغرافيا التي نحاذيها. عندما نأتي إلى خريطة كيان العدو: جنوب فلسطين المحتلة صحراء، وسط فلسطين ضفة غربية مكتظة وشريط بحري يهودي، أما المدى الحيوي الطبيعي للكيان الإسرائيلي في فلسطين المحتلة هو الشمال الذي يسكنه حوالي مليونين أو أكثر من اليهود، السياحة والتزلج في حرمون، الموانئ والشواطئ والفنادق في الشمال، أهم المصانع الإسرائيلية، والزراعة، وأهم مطارات عسكرية إسرائيلية في الشمال، وأهم قواعد عسكرية إسرائيلية في الشمال، في كل هذا نقطة قوة لنا.

لو كان لبنان في جوار جنوب فلسطين لما كان يملك هذه الميزة.

والدليل هو أن الفلسطينيين في قطاع غزة لا يستطيعوان أن يضربوا سوى مستعمرة أو اثنتين.

وجودنا في جنوب لبنان بالتحديد في جوار شمال فلسطين المحتلة هو من أهم نقاط القوة المتوفرة في أيدينا. ومن أهم نقاط القوة أنه في لبنان هناك قوة في شعبه توجد عندها الإرادة والتصميم والعزم وثقافة التحدي وخيار المقاومة ويوجد لدى رجاله ونسائه وكباره وصغاره هذا الاستعداد العالي للعطاء والتضحية.

وبالتالي إذا كنا نتحدث عن المساحة وعن ضعف في الثروات وعن العجز المالي والاقتصادي كنقاط ضعف، فإن ما وهبنا الله من جغرافيا هي من نقاط القوة. ولكن أعظم نقطة قوة عندنا في لبنان هي الإنسان الموجود على هذه الأرض القادر على أن يملأ هذه الجبال والهضاب والأودية والسهول برجال مستعدين للمقاومة والصمود، إرادتهم ورسوخهم كإرادة ورسوخ الجبال في السلسلة الغربية والشرقية.

في الخيارات العسكرية المتاحة على ضوء ما لدى العدو وما لدينا في أي مواجهة عسكرية هي: الخيار الأول هو الجيش وهذا من بديهيات ما يقال في العلم العسكري عندما نتحدث عن جيوش، إذا اعتدت دولة على دولة، الدولة التي تريد أن تدافع عن نفسها وتمنع تلك الدولة من العدوان عليها أن تمتلك جيشاً يوازي بقوته جيش العدو أو يفوق بقوته قوة جيش العدو هذا هو المنطق.

ولا نستطيع القول إنه بقوة صغيرة نواجه أعتى جيش في منطقة الشرق الأوسط هذا الشيء غير منطقي.

اليوم الخيار الأول الذي يمكن أن يعمل عليه لبنان في استراتيجيته الدفاعية هو الجيش اللبناني الذي يوجد فيه إيجابيات مهمة: عقيدته القتالية

الوطنية، وطنيته التي لا يناقش أحد فيها، حضور كل أبناء لبنان بكل تنوعاته في هذا الجيش الذي يشكل إرادة جامعة وشجاعة، وإرادة ضباطه وجنوده التي لا نقاش فيها.

ولكن ليتمكن الجيش اللبناني الكلاسيكي الذي لا يستطيع إلا أن يكون هكذا من المواجهة يجب أن نجعله جيشاً يوازي قوة الجيش الإسرائيلي أو أكبر وهذا يعني أنه إذا كنا لا نريد أن نستفيد من المقاومة، ونضيِّع الهامش بين الدولة والمقاومة، لا يكفي أن نقول نريد أن نلغي المقاومة ونلغي الهامش ونبقي الدولة ضعيفة؛ البديل هو بناء دولة قوية قادرة وجيش قوي قادر على مواجهة العدوان والتهديد. هذا إذا كنا حقاً نريد للبنان أن يبقى حراً سيداً مستقلًا، وإلا نذهب بلبنان إلى البقاء في العصر الإسرائيلي. الجيش القوي هو الذي يملك ألوية وكتائب وفصائل ودبابات وقواعد عسكرية، وهذا الجيش بحاجة إلى عديد ليصبح بموازاة قوة الجيش الإسرائيلي، وأن يتحول كل قادر على حمل السلاح في لبنان من الرجال والنساء إلى أعضاء في جيش احتياط وطني.

هل نحن قادرون على ذلك وهل موازنة الدولة قادرة على أن تغطي رواتب ونفقات هذا العديد؟...

لو وفرنا العديد، لو كان لدينا خمسمائة ألف عسكري في الجيش، ولم نعطهم دفاعات جوية حقيقية ماذا يحصل بهم؟... يجب أن نعطي هذا الجيش دفاعات جوية حقيقية من صواريخ وغيرها ويجب أن نعطي هذا الجيش سلاحاً جوياً قوياً موازياً لسلاح الجو الإسرائيلي وإلا تعرض الجيش للإبادة الشاملة من قبل سلاح الجو الإسرائيلي ولا يبقى لجيشنا أثر، هكذا حصل في العام ١٩٦٧ والعام ١٩٨٢. في كل الأحوال السؤال هنا: ليكون جيشنا قوياً، هل نملك المال لنؤمن هذه العدة؟... ولو كنا نملك المال هل ستسمح الولايات المتحدة والغرب أن تبيعنا بعض السلاح النووي الذي يكفل للجيش اللبناني شيئاً من الحماية الجوية؟ الأجوبة واضحة.

هذا هو الخيار الأول الذي هو برأينا أن من يريد أن يزجّ بالجيش دون أن يمكنه ودون أن يعدّه ويقويه ويسلحه في مواجهة مع العدو الإسرائيلي هو يدمر الجيش سواء كان يعرف ذلك أو لا.

عندما لا تكون الدولة قادرة، تأتي مسؤولية القوى الشعبية، الشعب إما أن يتحمل مسؤوليته أو أن يتخلى عنها. قد لا يُقبل الشعب كله على تحمل المسؤولية، ويكفي أن يُقبل جزء من هذا الشعب ويوجِد مقاومة شعبية، هذا يكفي. المقاومة الشعبية في لبنان وفي فيتنام والجزائر وأماكن كثيرة من العالم أثبتت قدرتها وجدواها واستفادت من كل عناصر القوة المتاحة، والمقاومة هي خيار آخر لتحرير بقية الأرض وهي قادرة على ذلك، ولو توفرت للمقاومة الظروف المناسبة لتركت إسرائيل التلال والجبال خلال شهور قليلة كما خرجوا في ٢٥ أيار من العام ٢٠٠٠.

وبالمقاومة سنستعيد أسرانا بلا شك. وأنا عندما قلت قريباً جداً أعني ما أقول وما كنت أقول. في مواجهة تهديد واحتمال العدوان ماذا؟ نحن نطرح المقاومة كخيار، وطرحنا هذا متلازم مع وجود الجيش، المقاومة تمتلك الميزات الإيجابية التالية:

إنه لا يمكن تدميرها عبر الطيران كما تُدمَّر الجيوش. هؤلاء أناس يعيشون في بيوتهم ومدارسهم ومساجدهم وكنائسهم وحقولهم ومزارعهم ولا تستطيع أن تدمرهم كما تدمر الجيوش.

والانتشار الجغرافي الواسع في كل قرية ومكان ووادٍ وجبل، والعدو الإسرائيلي في كل الحروب التي شنها علينا كان يقوم بقطع الطرق من أجل تعطيل الحركة لكن هذا العمل يعطل حركة جيش نظامي لكنه لا يعطل حركة المقاومة الشعبية الموجودة في قريتها ومدينتها وجبلها ووديها، سلاح الجو الإسرائيلي لا يستطيع أن يحول بين هؤلاء الناس وبين سلاحهم حتى لو قطع

الطريق وقصف الجسور والسيارات. مع ذلك لا يستطيع أن يمنع المدد اللوجستي لأن هذا المدد موجود عندهم وبين أيديهم.

في مقابل التكنولوجيا المعقدة والاستراتيجيات المعقدة وأعظم تكتيك عسكري في العالم موجود عند الجيش الإسرائيلي في مواجهة قمة التعقيد يمكن أن نقاتلهم بقمة البساطة.

أنا ذكرت على طاولة الحوار مثلًا الإسرائيليون يعتمدون على الأجهزة المغلقة، نحن لا نحتاج إلى ذلك، نحن إذا تحدث أهل القرى مع بعضهم، أكبر عقل إلكتروني لا يستطيع فهم الرموز التي يتحدثون بها. هذا التواجد الشعبي المباشر من جملة ميزاته هو وفرة المقاتلين والاحتضان الشعبي والذي يعتبر مهماً جداً لأنه يأخذ منه المدد والعدة وتضميد الجراح. المقاومة لم تكن تقاتل في أرض صديقة، بل كانت تقاتل في أرض أبوية وأخوية. إذا كانت المقاومة من هذا النوع وجاء الإسرائيلي ليعتدي على لبنان، ما الذي يحصل؟...

الذي يعتمده العدو الاجتياح البري وقصف الطيران والاعتداءات. في الاعتداءات يمكنك أن تقابل كل فعل عدواني برد فعل مقاومة وهذا ما هو قائم الآن في جنوب لبنان.

من هنا أقول إذا عملنا جولة في المناطق المحررة نرى الناس يتجولون على الطرقات المحاذية للشريط الشائك. عندما تتحدث مع الناس تجد أن السكينة والطمأنينة في أعماق نفوسهم. الأمن المتوفر في الجنوب ليس أمناً جسدياً، أي أنه لا أحد يعتدي على جسدنا ومالنا، الأمن اخترق ودخل إلى القلوب وسكنها وعندما تسأل الناس هل تثق بهذا العدو؟ يقولون لا، هل تخافون منه؟ يقولون نعم، ونحذر منه، لكن نحن مطمئنون أن أي عمل يقدم عليه العدو ستقوم المقاومة برد مماثل وهذا يمنع العدو من الاعتداء. الذي يمنع العدوان هو وجود المقاومة وجهوزيتها للرد بشكل دائم.

إذا حصل اجتياح بري، والدبابات والآليات والألوية الإسرائيلية تريد أن تدخل إلى الجنوب وأجزاء من البقاع قد تفكر بالوصول إلى بيروت، أنا أقول لكم في ظل مقاومة شعبية وفي المميزات التي تحدثت عنها قبل قليل، نحن نحقق الشرط الذي تحدث عنه إسحاق رابين: هذه جغرافية يوجد فيها رجال أشداء مستعدين للقتال والتضحية. أنا لا أقول إن الجيش الإسرائيلي لا يستطيع أن يدخل، هو يدخل ولكنه ستلحق به خسائر فادحة جداً ولا يستطيع البقاء وهذا يعني الهزيمة في مواجهة أي اجتياح بري. المقاومة هي سلاح ماضٍ وقاسٍ في مواجهة أي اجتياح جوي أو قصف لبنى تحتية وطرق وجسور وتهجير. هنا نرجع إلى الشمال أي شمال فلسطين وأنا ذكرت على طاولة الحوار. في مثل هذه الأيام في بنت جبيل قلت المقاومة تملك أكثر من اثني عشر ألف صاروخ، وأنا أقول أكثر، أنا أعترف أنه لدى المقاومة منذ سنوات طويلة ـ منذ العام ١٩٩٢ بالتحديد ـ لدى المقاومة قوة صاروخية محترمة ومعتدٌّ بها ومهمة كمّاً ونوعاً، وبالتالي أستطيع أن أقول إن شمال فلسطين المحتلة كله يقع تحت مرمى صواريخ المقاومة.

هذا في الحد الأدنى، أما فيما هو أبعد من الشمال، فأمر لا داعي أن نقول ما يوجد لدينا. هذا الشمال هو في مرمى صواريخ المقاومة بموانئه وقواعده ومصانعه وكل ما فيه. بالتالي هذا يحدث توازناً بين شمال فلسطين وجنوب لبنان وكل لبنان.

نحن لا ندعي أننا نملك قدرة تدميرية كما تملك إسرائيل، ولكن لا نحتاج أن نملك قوة تدميرية مشابهة يكفي أن يكون لدينا قدرة أن ندمر في شمال فلسطين المحتلة أهدافاً مهمة وحساسة جداً.

اليوم في لبنان أنتم تملكون قوة، حتى قوة معنوية، أنا أريد أن أكون واضحاً وشفافاً ليعرف لبنان كيف يتصرف بهذه القوة المتاحة لديه. اليوم إذا

تحدثت على شاشة التلفزيون ووجهت كلامي إلى سكان شمال فلسطين المحتلة باسم حزب الله: أنصحكم خلال ساعتين أن تنزلوا إلى الملاجئ نراهم خلال ساعتين يصبحون في تل أبيب.

آلاف الخطط من قيادات وزعماء دول قد لا يرتجف لها رمش ولا قلب في الكيان الإسرائيلي، ولكن شاب لبناني من أبنائكم باسم هذه المقاومة الناجحة يستطيع بجملة قصيرة أن يُحدث تحولًا في شمال فلسطين المحتلة، هذه قوة للبنان أم ضعف له؟ هذه قوة للبنان أم مشكلة للبنان؟ للأسف إن البعض يحوِّل نقاط القوة في هذا البلد إلى مشاكل يجب أن نتخلص منها، ولكن لمصلحة من؟ وهذا أيضاً سؤال كبير؟

هذه القوة الصاروخية ـ إضافة إلى القدرة والكم والنوع ـ من أهم أسرار قوتها هو سريتها. وأنا أقول لكم هذه نقطة قوة، البعض يقول: إن المقاومة هي من نوع واحد ومن حزب واحد، قوة المقاومة في موضوع التوازن الناري منطلقة من سريتها وسريتها منطلقة من كونها حالة مغلقة ومقفلة حتى داخل الحزب الواحد، لنضمن سريتها.

وأنا أقول: لو كان العدو الإسرائيلي يعرف منصة واحدة أو مخزناً أو مكاناً واحداً لما تردد في قصفه على الإطلاق، ولكن أنا أضمن لكم أنه لا يعرف شيئاً، هو يواجه قوة لا يعرف عنها شيئاً وهذا من أهم أسرار هذه القوة.

في كل الأحوال هذا ما عندنا في العلم والتجربة في ظل معطيات إقليمية ودولية وظروف مالية واقتصادية وأمنية وعسكرية وصعوبات. نقول في الخيار العسكري المتاح يجب أن ندعو إلى تعزيز الجيش اللبناني ولا ندعو إلى إضعافه ولا إلى البقاء على وضعه الحالي، بل بتقويته وتعزيزه لأن أي مواجهة برية سوف يشترك فيها الجميع، وإلى جانبه يجب أن نحافظ

على المقاومة وندعمها ونقويها ونعززها. هذه المقاومة المخلصة لقضيتها وهدفها الواضح والمحدد وهو مواجهة العدو بهذا التركيب من الجيش والمقاومة والتنسيق بينهما، وليس الدمج وليس وضع المقاومة تحت إمرة الجيش لأن الهامش بين الحكومة والقوة الشعبية يضيع، وأي مقاومة تكون تحت إمرة الجيش إذا أطلقت رصاصة سوف تُقصف وزارة الدفاع والسرايا الحكومي. الدولة ستتعرض للاعتداء المباشر وبالتالي وجود المقاومة إلى جانب الجيش والتنسيق بينهما (مقاومة ملتزمة وطنية) هذا هو الحل الوحيد والمتاح أمامنا.

نعترف أن هناك قضية وهناك مشكلة، لدينا قضية هي حماية لبنان وهذه قضية مقدسة ولدينا مشكلة اسمها هذا السلاح الموجود في يد فئة معينة.

هل نحل المشكلة بطريقة نطيح فيها بالقضية؟ أو نحافظ على القضية؟ ونجلس ونناقش بعقل وطني وبحرص وبشعور إنساني وبإحساس أخلاقي يستحضر في ذهنه الرجال والنساء والأطفال والكهول والمزارعين والفلاحين والذين يعيشون في القرى الأمامية، ونستحضر كل أولئك الذين قتلوا في المجازر لأننا كنا ضعافاً ولم نكن نملك وسيلة الحماية والدفاع لأننا كنا ممزقين وكنا مستعدين أن نتقاتل في الداخل دون أن نوجه رصاصة للعدو، هؤلاء إذا استحضرناهم يمكن أن نجد حلًا للمشكلة، هذا في رأينا الاستراتيجية الدفاعية المنطقية والعلمية والتجريبية الوحيدة المتاحة أمامنا ونحن نلتزم بها.

وأختم قولي بما قلته لرئيس الوزراء: أنت يجب أن تفرح، لأننا لا ندفعك لا رواتب الشباب ولا موازناتهم. هذه المقاومة لا تكلف خزينة الدولة شيئاً، تحيا على تبرعات الناس ومساعدات الخيرين والحقوق الشرعية والزكاة والخمس وغيرها. والغريب أنه يوجد بلد توفرت له قوة أثبتت

مصداقيتها والتزامها الوطني في مثل هذه الأيام عندما كنا ندخل إلى القرى والبلدات في الجنوب، تكررت تجربة فتح مكة: «اذهبوا فأنتم طلقاء»، عفت وتسامحت وغضت النظر، فهرب من هرب واستسلم من استسلم. هذه المقاومة اليوم، هي قوة للبنان. إسرائيل تعترف بها، أميركا تعترف بها، العالم كله يعترف بأنها قوة، وهناك فريق من اللبنانيين يعمل في الليل وفي النهار ليتخلص من هذه القوة دون أن يقدم بديلًا. نحن جاهزون للقبول بأي بديل منطقي علمي يحمي هذا البلد ويواجه، ويطرح فكرة مختلفة، وسنكون سعداء أن يعود شباب الجامعات إلى جامعاتهم، ورجال الدين إلى حوزاتهم، والعمال إلى مصانعهم، هذه المقاومة ليست باباً للرزق، هي باب لشظف العيش الذي يعيشه هؤلاء المجاهدون.

هذا هو ما طرحته بشكل عام، وأنا أعلنه للبنانيين جميعاً ليناقشه كل اللبنانيين، هذا ما عندنا وهاتوا ما عندكم. وبالنهاية نحن هنا نتعاطى مع أمر مصيري تاريخي ليس بالسهولة أن ننهي المقاومة ونأخذ سلاحها ونسرح شبابها على البيوت، ثم بعهدها إذا حصل اعتداء لا سمح الله، تعالي يا مقاومة، هذا جنون، هذا أمر غير منطقي، لذلك يجب أن نتصرف بموضوعية وبعقلانية وبحكمة، لنرى ما عندنا وما علينا وكيف يمكن أن نحصن بلدنا بهذا بالمعنى. لبنان المحمي، لبنان القوي لن يكون عبئاً على إخوانه وأشقائه العرب، بل سيكون عنواناً ورمزاً وعزاً ونموذجاً لكل أشقائه العرب.

أعمال المؤتمر

المحور الأول

المقاومة:
الهوية والتحديات

تقديم المحور

الشيخ فضل مخدر

إن الفكر والثقافة ومن ورائهما العلم كانا ولا يزالان عمدة الرسالات السماوية والإنسانية عبر تاريخ البشرية الطويل.

فلا يمكن لأي رسالة توجه إلى اجتماع خاص أو عام أن تكون بلا ثقافة، أو تنطلق دون بنية فكرية، تنضح بلونها أو طعمها أو رائحتها، بل تضعها في موازين التقويم، بما يعبر عن مدى ثباتها بقدر ثوابتها، ومدى تقدّمها بمستوى مبادئها، ومدى رقيها بمحاذاة قيمها، ومدى إمكانية نجاحها بالوصول إلى ذلك الاجتماع لا يمكن أن يتحقق إلا بمؤازرة مضامينها الثقافية والفكرية والعلمية.

من هنا عندما نقف على هوية المقاومة أو التحديات التي تواجه رسالتها لا يمكن أن تكون المقاومة مجرد أو لمجرد المقاومة، خصوصاً إذا أردنا أن نضعها في إطار المصطلح والتعريف: هي: «قيام البعض للبعض أو على البعض» وعندها يمكن أن يكون كلُّ قيام لمواجهةٍ «مقاومة» وإن خَوَتْ من المضامين أو كانت بلا رسالة وهدف، بل لأصبحت أي مواجهة ولو حملت مضموناً مفسداً وعادت بالويل على الاجتماعات البشرية تسمى أيضاً «مقاومة».

إن مفهوم «المقاومة» الذي أخذه الوجه التاريخي المشرق للأمم في مواجهة الباطل والشر والاضطهاد والقهر وفي سبيل رفع الظلم أو عدوانٍ ما على مجتمعٍ ما لا يمكن أن يكون بلا هوية تعبر عن ثقافة ومضمونٍ لفكره.

وما يعيشه المجتمع العربي والإسلامي في الوقت الراهن من أزمات تهافت حكوماته وقهر شعوبه وولوغ المعتدين بدمه وأمته واستقراره حتى الولوج في ثقافته وبنيته الفكرية، وتطويق مفاهيم الحرية والديمقراطية والتحرر والسيادة وحقوق الإنسان والأنظمة العادلة، بمقاييس لا تناسب سوى رداء الخبث الذي يرتديه المغتصب والمحتل العابث بنا. يضعنا كل ذلك بواقعٍ من التحدي، يحتِّم على المثقف وحامل الرسالة أن يأخذ دوره الفعلي في استنهاض هذا الجسد الغافي عن واقعه المرير لمواجهة سائر التحديات وليفتح الباب واسعاً على السؤال عن أولويات المثقف العربي والمثقف المسلم في مواجهة هذا الكم من التحديات. ولا أرى من هذا المؤتمر إلا فسحة في محل الضرورة في هذا المجال وللمحور الأول **المقاومة: الهوية والتحديات** طريقٌ إلى ذلك.

جدلية القوة والضعف
في صورة الذات والآخر

د. طلال عتريسي

بات الحديث عن صورة الذات وصورة الآخر مألوفاً وحتى تقليدياً في عالم صناعة الصور الذي تقوم به تكنولوجيا الاتصال الحديثة.

حتى بتنا نشهد اليوم كيف تحاول وسائل الإعلام صناعة صورة مفترضة للعدو وللذات في إطار الحروب النفسية والسياسية التي يتم توظيفها لإسقاط الخصم من دون الحاجة إلى خوض حرب فعلية ضده. بهذا المعنى ثمة علاقة وطيدة لا تنفصم عراها بين صورة الذات وصورة الآخر، تتغذى الواحدة فيها من الأخرى. وعلى ضوء تجربة الثقافات والهويات وحتى الأديان يُستحضر الآخر دوماً في ذروة التأكيد على صورة الذات. وقد احتلت هذه العلاقة بين الصور المتبادلة منذ سنوات مكاناً واسعاً في الدراسات الأنتروبولوجية والأدبية والسياسية لدى باحثين من الشرق والغرب معاً. بحيث بات الآخر حيناً هو العدو، أو الجاهل والمتخلف هدفاً للمطاردة وللقتل والإبادة، وهو حيناً آخر النموذج المتقدم والمتحضر الذي يبرر التقليد وتحقير الذات والالتحاق والتبعية.

إن تجريد الآخر ـ العدو من الصفات الإنسانية واستبعاده وجعله في محور الشر أو أمبراطورية الشر (كما تفعل الولايات المتحدة مع خصومها) هو أمر طبيعي ومنطقي في إطار الصراع بين الجماعات الإنسانية، لا بل يؤثر هذا التجريد والاستبعاد في حالات كثيرة على تماسك صورة الذات (الأنا) التي هي نقيض الآخر. لكن اللافت في تناول قضية الذات والآخر ـ العدو ليس الرؤية السلبية المتبادلة بينهما، بل رؤية كل طرف لذاته. ومدى مساهمة هذه الرؤية في التأثير على مسار الصراع. بحيث تشكل هذه الصورة عاملًا من عوامل القوة التي يحتاجها كل طرف في الحماية والثبات والدفاع عن النفس في حين يستهدف في الوقت نفسه زعزعة ثقة العدو بقدرته لتسهل بعدها هزيمته عندما يتواجه الطرفان. لكن ما نشهده على مستوى الصراع الذي يخوضه العرب ضد إسرائيل أن سيلًا متواصلًا من الأدبيات السياسية والاستراتيجية والثقافية ما كان يفعل طوال العقود الماضية سوى مطاردة الذات بدلًا من مطاردة العدو. وعلى المنوال نفسه بدأت قبل بضع سنوات دعوات متلاحقة في الأوساط البحثية العربية والإسلامية للتنصل من العنف الذي التصق بصورة الذات. بحيث يشعر الإنسان بالخجل ويعتقد أن العنف سمة إسلامية أو شرق أوسطية فقط. وأن على المسلمين وعلى أهل الشرق الأوسط أن يثبتوا على الدوام أنهم متسامحون وأنهم ليسوا على الصورة البشعة التي صنعتها لهم وسائل الإعلام الأميركية والأوروبية. في الوقت الذي نعرف فيه أن العنف هو سمة إنسانية. وأنه طاقة أودعها الله في الإنسان ليتمكن من حماية نفسه وإعمار الأرض وشق الطرقات وقتل الحيوان. ولولا العنف لما استمرت حياة الإنسان أو شيدت الحضارات. وما جرى لاحقاً هو محاولة لتنظيم هذا العنف ولتبرير مشروعيته عندما تحتكره الدولة أو يُلجأ إليه ضد احتلال أو اعتداء. وليس من المقبول في إطار الصراع الذي نعيشه أن تجعلنا بعض صور العنف الضال بمرجعيتها الإسلامية أو العربية ننفي أصل حاجة الذات إلى العنف، ولا أن نعمى عن

رؤية العنف الوحشي والمتمادي الذي يلجأ إليه الآخر على المستويات كافة العسكرية والسياسية والإعلامية من دون أي خجل أو مواربة.

وإذا كان من الطبيعي ومن المنطقي أن يستخدم الظالم والمستبد والمحتل السبل كافة التي تتيح له القضاء على خصومه وعلى خنق أو اقتلاع روح المقاومة من عقولهم ونفوسهم وأن يستخدم أحدث التقنيات التي تتطور يوماً بعد يوم لما يسمى اليوم «تجفيف منابع المقاومة» ضده، فإن ما يثير الاستغراب هو كيف يعمل من ليس في صف العدو من مفكرين أو باحثين على بث روح اليأس والإحباط بذرائع الموضوعية تارة والعلمية تارة أخرى من خلال التركيز الأحادي على نقاط الضعف فقط عند الطرف المظلوم (الذات) وعلى نقاط القوة فقط عند الظالم أو المحتل. والتي لا تعني سوى استحالة النهوض في وجه الظلم أو الاحتلال، وعبث التفكير أو حتى الاعتقاد بتحقيق النصر. ومن نافل القول إن هذا المنطق أشد خطورة من الحرب النفسية التي يقودها العدو فتلك إذا عُرف مصدرها فقدت فاعليتها وبريقها.

إن العودة إلى الصراع العربي ـ الإسرائيلي التاريخي المتواصل منذ أكثر من نصف قرن ستبيِّن لنا من المنظور الذي سبقت الإشارة إليه أن هزائم العرب في هذا الصراع والتي لم تقم فيها الحكومات بواجباتها على مستوى الإعداد والتعبئة والتخطيط والمبادرة، تلازمت في الوقت نفسه مع منطق ساد في أوساط كثير من النخب السياسية والثقافية العربية؛ وقد شدد هذا المنطق في أدبياته المختلفة على أمرين اثنين: نقاط الضعف الثابتة عند العرب، ونقاط القوة الثابتة عند العدو. فمن نقاط الضعف الثابتة العجز عن اللحاق بمستوى التسلح الإسرائيلي، والتخلف المعرفي، وغياب الديمقراطية، والفجوة التكنولوجية، وفقدان الحريات، واستمرار التجزئة والانقسام، وانتشار الأمية وعدم تحرير المرأة... وإذا كانت نقاط الضعف هذه حقيقية، لا يمكن إلا الإقرار بأهميتها وخطورة استمرارها على مستوى التقدم العام، فإن ما لا يمكن

الإقرار به أو الموافقة عليه هو منطق العجز عن إدراك التحولات في نقاط الضعف ونقاط القوة عند أطراف المواجهة (أي الذات والآخر). فهذا الصراع لم يتخذ بعداً واحداً طيلة ستين عاماً. فهو يشتعل حيناً وينزع إلى البرودة والتفاوض حيناً آخر. ولم يكن لهذا الصراع خط بياني واحد يرجح على الدوام عوامل القوة والتفوق إلى الطرف الأميركي ـ الإسرائيلي. فلو كان صحيحاً أن نقاط الضعف هي من الثوابت العربية (الإسلامية) التي لم تتبدل طيلة عقود فلماذا استمر هذا الصراع إلى اليوم؟ ولماذا لم يستطع الطرف الأميركي ـ الإسرائيلي وهو يمتلك كل أسباب القوة العسكرية والتكنولوجية والمعرفية والاقتصادية ألا يحقق النصر ويوجه الهزيمة الساحقة لمن لا يمتلك إلا التخلف والضعف والانقسام؟ ولماذا لم يتمكن هذا الطرف من إنهاء الصراع وتحقيق أهدافه كافة؟ ونحن نعرف أن هذا لم يحصل في الواقع ولا يستطيع أحد أن ينكر عدم حصوله بدليل استمرار الصراع لغاية اليوم مهما قيل في نقاط التقدم التي أحرزها الآخر في هذا الصراع. ثمة إذاً ما هو غير مفهوم وغير مقبول في تلك المعادلة المستمرة التي لا ترى إلا ثباتاً في نقاط الضعف عند الذات، وثباتاً في نقاط القوة عند الآخر الإسرائيلي ـ الأميركي.

إن من مسوغات هذا الاعتقاد بتلك الثوابت من القوة والضعف هي في المقارنة التي تعقد على الدوام بين مشروعين واحد عربي والآخر صهيوني، بدأ منذ مطلع القرن الماضي فاتسم الأول بحسب تلك المقارنات بالعجز والضعف والخسران (لم يحقق لا الوحدة ولا التحرير ولا التنمية ولا حتى الاشتراكية...) في حين حقق الثاني القوة والتقدم (إنشاء دولة إسرائيل...).

تبدو هذه المقارنة وكأنها تستند إلى منطق ظالم؛ ذلك أن الفارق في الظروف التي أحاطت بذينك المشروعين كان هائلًا. فالمشروع الصهيوني، كان مشروعاً دولياً. بدأ قبل تأسيس الدولة العبرية بسنوات طويلة. وحظي بأكبر وأوسع دعم دولي سياسي وعسكري ومعنوي وقانوني. وقد انتقل هذا

الدعم والتأييد من قوة عظمى إلى أخرى طيلة مراحل الصراع. والكيان الإسرائيلي اليوم هو الكيان الوحيد في العالم الذي تنبري الأمم المتحدة ورؤساء الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وسواهم... للدفاع عنه إذا ما لوح أحد إليه حتى بالتهديد اللفظي... هذا إذا لم نذكر الدعم العسكري المتواصل بأحدث ما توصلت إليه المصانع الغربية. والوقوف إلى جانبه من دون تردد في المحافل الدولية لمنع إدانته حتى عندما يرتكب مجزرة هنا أو هناك. في حين أن الدول العربية كانت عند ولادة دولة إسرائيل إما تحت الاحتلال وإما على عتبة الاستقلال. وقد حمل «المشروع العربي» أصلًا إرث التفكك والتقسيم الذي تعمده مبضع الدول الكبرى. وكانت قضية فلسطين «قضية اعتراضية» من خارج سياق انتقال الدول العربية من تحت الاحتلال إلى الاستقلال. في حين أن ولادة دولة «إسرائيل» كانت تحقيقاً لمشروع استراتيجي دولي بدأ الإعداد له قبل عشرات السنين. لهذا لا يمكن أن نقارن بين نقطة انطلاق واحدة للمشروعين العربي والصهيوني. لأن بداية السباق لم تكن أصلًا متكافئة بين الطرفين. فالأول كان مشروعاً دفاعياً (مهما قيل في عدم تحقيق الشروط الملائمة لذلك الدفاع) في حين أن الثاني قام على الهجوم والاعتداء والاحتلال تدعمه أعتى القوى وأكثرها نفوذاً وأشدها تسلحاً في العالم.

إن وضوح المقارنة الآنفة تسمح في إطار البحث عن نقاط القوة في صورة الذات ونقاط الضعف في صورة الآخر، بطرح التساؤل المحق التالي:

ماذا تحقق من المشروع الصهيوني؟ وإلى أين وصل هذا المشروع الذي كان يريد التمدد من الفرات إلى النيل؟ وما الذي أعاقه عن فعل ذلك بعدما تحول إلى مشروع يريد إنقاذ ما يمكن إنقاذه من دولة إسرائيل؟ وبعدما باتت النظريات الاستراتيجية الإسرائيلية تتحدث (بعد جدار الفصل والانسحاب من غزة) عن «منافع الانطواء» بدلًا من «عقيدة التمدد والتوسع»؟

إن التساؤل الآنف يستبطن الإجابة بأن العدو يخسر نقاط القوة الثابتة التي كانت لديه. خلافاً لكثير مما يكتب في الأدبيات العربية السياسية والاستراتيجية. وهذه الخسارة لم تحصل من تلقاء نفسها، بل حصلت في جزئها الرئيس بسبب مقاومة الطرف المقابل. أما الأجزاء الأخرى فهي تحولات في الداخل الإسرائيلي من انخفاض الروح المعنوية إلى الانقسامات بين الديني والعلماني، وبين الشرقي والغربي إلى غياب الحوافز للالتحاق بالجيش وتراجع الثقة بقدراته...

لقد اعتبر بعض الجنرالات في إسرائيل أن حرب تشرين عام ١٩٧٣ كانت بداية التراجع في «قدرة الردع الإسرائيلية» ويستند هؤلاء إلى تأكيد ذلك التراجع في قدرة الردع على المواجهة الخاسرة للجيش الإسرائيلي في «الحروب الصغيرة» (المنخفضة) مع المقاومة في جنوب لبنان والانتفاضة في فلسطين.

وليس المقصود مما تقدم إغفال أو تجاهل نقاط الضعف عند الذات، فهذا لن يؤدي بدوره سوى إلى التعجيل في إلحاق الهزيمة بهذه الذات. لأن من لم يعرف نقاط ضعفه لن يسعى إلى تحويلها إلى نقاط قوة أو إلى منع العدو من التمكن من تلك النقاط. بل المقصود أن تكون النظرة على قدر كبير من التوازن إلى الذات وإلى الآخر (العدو) في تبين نقاط القوة ونقاط الضعف وفي التحولات التي تطرأ خلال الصراع بوجوهه كافة على تلك النقاط بحيث تتراجع هنا أو تتقدم هناك، ولا تبقى ثابتة على ما هي طيلة عقود...

إن أي مقارنة نعقدها بين حجم ما كتب وما يزال يكتب عن نقاط الضعف العربية وعن نقاط ضعف العدو (حتى بعد هزيمته في لبنان وعجزه في فلسطين) تكشف لنا طغياناً هائلاً للدراسات التي لا تتحدث إلا عن استمرار الضعف والتخلف والتراجع المتواصل. وخطورة هذا الاتجاه ليس في

عدم إدراكه للواقع المتغير، بل في مساهمته الواعية أو غير الواعية في إشاعة ثقافة انعدام الثقة بالنفس، وثقافة الثقة المطلقة بقدرة العدو الذي يستطيع تحقيق ما يشاء. (أي ثقافة الهزيمة النفسية التي تلتقي مع ثقافة الحكومات التي لا تعتقد بجدوى المقاومة، ومع السياسات الغربية التي تمارس الحصار والتضييق على المقاومة ولا تريدها أصلًا...). علماً بأن هذا العدو يبدو يوماً بعد يوم أكثر عجزاً عما كان عليه في السابق. وأكثر اعتماداً على الآخرين في الوصول إلى ما يريد. (فعلى العالم الغربي بأسره أن يتدخل لإرغام حماس على الاعتراف بإسرائيل والتخلي عن خيار المقاومة. وعلى الأمم المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي برمته، التدخل وممارسة الضغوط لنزع سلاح حزب الله الذي يقلق إسرائيل ويهدد أمنها...).

ربما نجد مسوغاً لهذه الأدبيات المتشائمة في الهزائم التي لحقت بالعرب. وفي أوضاعهم المتردية الاجتماعية والاقتصادية والتنموية. ولكن ذلك لا يبرر بأي حال عدم رؤية ما طرأ على قدرة العدو نفسها من تراجع في السنوات الماضية.

إن ثقافة تدني «تقدير الذات» تدفع إلى التفكير باستحالة مواجهة الخصم فكيف بالاعتقاد بإمكان الانتصار عليه؟ وهذه الثقافة يمكن أن تبرر فكرة التصالح مع العدو الذي لا يمكن أن يهزم والقبول بما يمكن أن يتنازل عنه من تلقاء نفسه باعتباره مكسباً مهماً. وهي ثقافة تدعو في أفضل الاحتمالات إلى انتظار عشرات السنين لاستكمال عناصر القوة السياسية والاقتصادية والمعرفية والثقافية والعسكرية قبل التفكير في مواجهة العدو. ولكن من دون أن يقال لنا إذا كان العدو سينتظرنا طيلة هذه السنوات من دون أن يستمر هو في التقدم في نقاط القوة التي يمتلكها ومن دون أن يلحق بنا المزيد من الهزائم؟

لقد واجهت تجربة المقاومة في لبنان منذ أكثر من عقدين مثل هذه

الأدبيات التي كانت تشكك في قيمتها وجدواها. لا بل ذهب البعض طويلًا إلى اعتبارها أداة في يد هذا الطرف الإقليمي أو ذاك. ولم يقبل لأسباب عدة سياسية أو نفسية بأن القوة قد تكون إلى جانب الذات في بعض مراحل الصراع لأن فكرة العجز والضعف باتت شديدة الرسوخ في وعي البعض لا وعي الكثيرين. ولم يحصل الانتقال إلى الإعجاب بالمقاومة والدعم والتأييد لها إلا بعد الانتصار الذي تحقق في أيار عام ٢٠٠٠. ولولا الصور الحية التي كان يبثها إعلام المقاومة للعمليات البطولية ضد مواقع الاحتلال وجنوده وتحصيناته وعملائه، لما أيقن الكثيرون منا بحسب الخبرة السلبية التاريخية للصراع أن ما يشاهده هو حقيقة وأن هناك من يملك القدرة والإرادة والشجاعة على إذلال العدو وإهانة جنوده ونزع هالة القدسية عن الجيش الذي لا يقهر...

إن الصورة التي سبق وصنعناها نحن أيضاً لهذا العدو كانت على المستوى النفسي قبل العسكري هي الصورة التي صنعها هو لنفسه أي العدو الذي لا يقهر. ولقد ساهمت تلك الأدبيات العربية التي لم تفعل سوى التضخيم المتواصل لتلك القوة في صناعة تلك الصورة. ولهذا نفهم كيف تحول معظم الإعلام العربي إلى وصف التحرير الذي حصل عام ٢٠٠٠ بأنه «حدث غير عادي»، وهو «نقطة تحول نفسية لجيل لم يذق طعم الانتصار»، «وأن بالإمكان إلحاق الهزيمة بالعدو». وأن عصر العجرفة الإسرائيلية قد ولّى. «ونحن لسنا ضعفاء ولسنا قليلي الحيلة»...

ما نشهده اليوم هو محاولة مكشوفة للقضاء على هذا التحول في نقاط القوة بيننا وبين العدو فما يسمى «الحروب الصغيرة» يجب ألا يستمر في تهديد أمن إسرائيل وإنهاك «المجتمع الإسرائيلي» لأن أمن إسرائيل هو من المصالح الاستراتيجية الثابتة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وهذا يعني أن على تلك «الحروب الصغيرة» أن تتوقف عن الدور الذي لعبته طيلة

السنوات الماضية في أفول قدرة الردع الإسرائيلية وأن على المنظمات التي قامت بهذا الدور في قيادة تلك الحروب أن تتخلى عن سلاحها، (حزب الله، حماس، والمنظمات الفلسطينية الأخرى)، أما كيف سيتم التخلي عن هذا السلاح، فإما أن تقوم الحكومات بذلك، (الحكومة اللبنانية والسلطة الفلسطينية) تؤيدها القرارات والضغوط الدولية (١٥٥٩ بالنسبة إلى لبنان). (ومنع مشاركة من يحمل السلاح في العملية السياسية...) وإما أن تندلع حروب أهلية، وإما التهديد بما تسميه بعض الدوائر الاستراتيجية الأميركية «الفوضى البنّاءة» التي تسمح بالتحكم بالفوضى في الشرق الأوسط لإعادة تشكيل الأوضاع السياسية والأمنية بما يتلاءم والمصالح الاستراتيجية الأميركية وأمن إسرائيل... إن التأمل في كثير مما جرى ويجري على المستوى الدولي، (سرعة صدور القرارات، التدخل المباشر) في لبنان وفلسطين، وفي جوارهما منذ تحرير جنوب لبنان وبعد استمرار الانتفاضة، إلى تحرير غزة، ليس له من تفسير سوى محاولة خنق «الحروب الصغيرة» فهذه هي نقطة القوة التي امتلكها العرب في الصراع في السنوات الماضية وتمكنوا بواسطتها من تحقيق انتصارات حقيقية على العدو وتنسجم هذه المحاولات مع مشروع «الشرق الأوسط الكبير».

إن الخلاصة الأولى من هذه الدراسات التي أصبحت أكثر اتساعاً بعد «الانسحاب المذل من لبنان» عام ٢٠٠٠، وبعد اندلاع انتفاضة الأقصى، إن «الحروب الصغيرة» هي التي تسببت بشكل رئيسي في «تعب المجتمع الإسرائيلي» ولو لم تحصل تلك الحروب، لما دبَّ الوهن والتعب في جسد ذلك المجتمع (بما في ذلك الانسحاب من غزة ٢٠٠٥) وقد حصل ذلك كله على امتداد السنوات الماضية من دون أي تبدل في عوامل القوة الأخرى السياسية والعسكرية والاقتصادية... عند الطرف العربي. فلم يتقدم مستوى التسلح على إسرائيل، ولا العلاقات البينية الاقتصادية، ولا التقارب أو

التنسيق السياسي، لا في ظل الجامعة العربية ولا خارجها. وهذا يفتح باب البحث الجدي في كيفية وإمكانية نجاح «الحروب الصغيرة» أي المقاومة في لبنان، والانتفاضة في فلسطين في تحقيق ذلك التبدل النوعي في مرتكزات الأمن والردع والقوة عن الطرف الإسرائيلي المقابل. وكذلك البحث في كيفية تبني وحماية استراتيجية «الحروب الصغيرة» التي تزيد من الوهن في جسد العدو، ومن دون أن تنتظر اكتمال كل عناصر القوة التي يحتاج العرب سنوات طويلة من أجل التمكن منها.

المقاومة جزء لا يتجزأ
من شخصية المسلم

د. جمال البنا

قد لا تكون «المقاومة» من الكلمات التي تتردد في الأدبيات الإسلامية القديمة وكتب التراث. وهذا يعود إلى أنها مستحدثة بحكم التطور والملابسات التي جعلتها محوراً من محاور الاهتمام الدولي. ولكن مضمون الكلمة ومحتواها ليس غريباً على الإسلام. بل هو في الحقيقة التعبير الإسلامي الأشهر والأهم وهو «الجهاد» الذي تعد المقاومة إحدى صوره. ولكن الملابسات التي أشرنا إليها أعطت تعبير المقاومة شهرة وميزته عن التعبير الأعم.

ووصل أثر هذا الجهاد إلى درجة أعطت الإسلام طبيعة جهادية وجعلت «المقاومة» جزءاً لا يتجزأ من شخصية الإنسان المسلم.

الحياة مبارزة بين الخير والشر

ومن أين جاءت هذه الطبيعة الجهادية؟ لقد جاءت ـ بالدرجة الأولى ـ من التصور الرئيسي الذي اقترن بظهور الحياة على هذا الكوكب الأرض. بل بسببه ظهرت الحياة وارتبطت به. وهذا ما يشرحه لنا القرآن الكريم بتفصيل

رائع، وإعجاز بالغ في أكثر من سورة، وأكثر من مناسبة. ففي هذه المواضع تحدث القرآن الكريم عن آدم في الجنة يعيش فيها رغداً وكيف حذره الله من أن يستمع لغواية الشيطان، ولكن آدم في إحدى لحظات الضعف انخدع بغواية الشيطان الذي أكد له أن الشجرة التي أمره الله أن لا يقربها هي شجرة الخلد وأنه إن أكل منها فسيرزق الخلود.

وانخدع آدم. وحقت عليه كلمة الله أن يترك الجنة وأن ينزل الأرض ليبدأ عهد المعاناة.

ولكن الله تعالى في سابق علمه كان يريد لآدم شيئاً عظيماً هو أن يكون خليفته على الأرض. وقد أهّله لهذا بأمر ميزه على بقية الخلق جميعاً هو العلم ومن أجل هذا فلم يكن نزول آدم من الجنة إلى الأرض عقوبة، ولكنه كان قضاء وإرادة من الله تعالى بإعمار هذه الأرض وأن يقوم فيها بكل الأعمال العظيمة التي أهّله الله لها فضلًا عن تلك النفثة الإلهية التي نفثها فيه وهو صلصال مهين فانقلب إلى مخلوق كريم يمكن أن يحمل رسالة الله في الأرض بعد أن زوده الله تعالى بالضمير من ناحية والعلم من ناحية أخرى.

ويقص القرآن هذه القصة التي رمز بها لدور الإنسان على الأرض ومكانته فيها.. وأجرى لكي يقرب المضامين إلى أفهامنا حواراً بينه وبين الملائكة الذين هالهم أن يجعل الله تعالى خليفة له على الأرض هذا الإنسان الذي يفسد فيها ويسفك الدماء. فرد الله عليهم بأنهم لا يعلمون ما يعلمه:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/٣٠].

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة/٣١].

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة/٣٢].

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة/٣٣].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة/٣٤].

وفي الآية الأخيرة يشير القرآن الكريم إلى رفض إبليس السجود مع الملائكة على أساس أنه أفضل من آدم، فقد خلقه الله من نار وخلق آدم من طين.

ورمز القرآن الكريم بالشيطان لقوة الشر، لأن دعواه قامت على الأثرة والأنانية مع الجهل بحكمة الله تعالى وكان جديراً به أن يفهم أنه ما دام الله تعالى أراد سجود الملائكة الذين هم من نور فإن له حكمة لا يفترض ضرورة أن يعرفها. وعندما تقترن الأنانية بالجهالة فإنها تكون أصل كل الشرور.

يرفض إبليس السجود لأنه يرى نفسه أفضل من آدم ويجعل من نفسه العدو الأبدي للإنسان. وأراد الله تعالى له أن يمثل هذا الدور الذي اختاره لنفسه بحيث تكون الحياة مبارزة ما بين الإنسان من ناحية والشيطان من ناحية أخرى. وهو ما تفصله الآيات..

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف/١١].

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف/١٢].

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف/١٣].

﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف/١٤].

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف/١٥].

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف/١٦].

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف/١٧].

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف/١٨].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء/٦١].

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء/٦٢].

﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء/٦٣].

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء/٦٤].

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء/٦٥].

إننا لا نجد ديناً أبرز الشر ممثلًا في الشيطان بمثل هذه الصورة من القوة والوضوح، ولا نرى ديناً يعطي الشيطان «كارت بلانش» ليقوم بالغواية بكل ما يستطيع بل وكاد يكون أمراً له بهذه الغواية ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء/٦٤].

ولما طلب الشيطان أن يمهله طوال الحياة الدنيا، أمهله الله..

إن هذا ينم عن ثقة القرآن في الإنسان المزود بالعلم والضمير والمسلح بهداية الأنبياء والكتب المقدسة وقدرته على مقاومة الشرور وإغراء الشياطين.

هكذا يتهيأ مسرح الحياة ليكون جهاداً كأشد ما يكون الجهاد.. جهاداً ما بين نار حارقة.. ونور هادئ، بين غواية ساحرة جاذبة. وبين إيمان راسخ رصين. جهاداً يستمر ما استمرت الحياة ويضم مجالاتها وتكون أسلحة الغواية فيه المال والغرور والنساء والشهوات والمراكز والمناصب والكبرياء وأسلحة الهداية العلم والضمير والخير وهداية الأنبياء وتعاليم الكتب المنزلة.

إن هذا التصور يعطي الإسلام طبيعة جهادية تجعل المسلم على أهبة دائماً، وأبداً، وإذا كان المسيحي يحمل صليبه، والفارس يحمل سيفه ودرعه فإن المسلم يحمل إيمانه وعقله، لأنه يعلم أن الشيطان يسري من الإنسان مسرى الدم فتلك طبيعة الإسلام، وهذا هو قدر المسلم.

من أجل هذا قيل: إن الجهاد ماض إلى يوم القيامة لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل لأن رحاه تدور داخل الإنسان نفسه.

الحياة ابتلاء واختبار:

لا تقتصر الطبيعة الجهادية للإسلام على التصور الإسلامي للحياة، وكيف بدأت. وكيف تطلبت الجهاد دائماً وأبداً. إن هناك عنصراً آخر يشير إليه القرآن الكريم يحمل معنى ومضمون الجهاد وإن حمل اسماً آخر هو «الابتلاء» وهذا العنصر يوجد حتى لو لم يوجد الشيطان ويؤتى منه الإنسان من حيث لا يؤتى من الشيطان لأنه لا يكون من الشر دائماً، وإنما من الخير أيضاً ولا يكون من الفاقة والمرض والمنغصات، ولكن يكون من الصحة والثروة والراحة والبلهنية، وفي ضوء هذا الابتلاء قد تكون النقمة نعمة، كما قد تكون النعمة نقمة..

وللبلاء معنى الشدة، ولكن الابتلاء يتحول ليصبح اختباراً وليضم إلى الشدة.. الرخاء أيضاً.

من البلاء أن لا يجد الرجل الفقير في بيته ثلاجة صغيرة تتيح له الماء البارد وتحفظ له طعامه من الفساد، ولكن من البلاء أيضاً أن تحتشد ثلاجة الرجل الغني بعشرات من الأطعمة والأشربة والمعلبات والمشهيات. إن إغراء الوفرة لا يقل أثراً عن مرارة الحرمان.. لأن الأولى قد تؤدي إلى التخمة والبطنة كما أن الثانية تؤدي إلى المجاعة والمسغبة وكلاهما سيئ.

ومن البلاء أن يعيش بعض الناس على الكفاف وأن يتعرضوا لمآسي الفاقة لأن هذا بالطبع يجعلهم في صراع مع الضرورات والتزام بصنوف من الحرمان، ولكن من البلاء أيضاً أن تتضخم الثروات لدى فرد آخر لأن هذا التضخم سيجعله راعياً له وسيكون عليه أن يفرغ نفسه لذلك أو أن يستخدم فريقاً له، وإذا علمنا أن المال في الإسلام هو أصلًا مال الله وأن الإنسان مستخلف فيه، ومؤتمن عليه علمنا ثقل هذه الأمانة وأنه يندر من يقوم بحقها سواء بدفع الزكاة عنها أو حسن التصرف فيها وهذا أيضاً من الابتلاء.

والآيات القرآنية العديدة هي خير ما يوضح لنا مدلول الابتلاء وموضوعه والغاية منه.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة/١٥٥].

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران/١٨٦].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام/١٦٥].

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف/١٦٨].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد/٣١].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء/٣٥].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف/٧].

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك/٢].

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر/١٥ ـ ١٦].

هذا الذكر المتكرر لمعنى الابتلاء كاختبار يكون على المسلم أن يجتازه وأن ينتصر على ما قد يحيق به من متاعب، ومصاعب وكوارث، ومصائب.. وكذلك أن يصمد أمام إغراء المال. والقوة والصحة ومختلف النعم التي ينعم الله بها على الإنسان فيطغى البعض، ويشكر البعض الآخر.

وبقدر ما تفتن الفاقة الفقير فقد تفتن الثروة الغني بحيث يلتقيان في الافتتان وعدم الصمود... الحياة هنا اختبار مبدئي. ووقوف أمام الخير والشر، النعم والنقم موقفاً صامداً يغلب الضعف البشري.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج/١٩ ـ ٢٣].

ويصل هذا الابتلاء إلى غايته في التصوير الرمزي البليغ.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب/٧٢].

فماذا نفهم من هذا الابتلاء الثقيل الذي أشفقت الجبال والسماوات والأرض عن حمله إن لم يكن هو الحرية والإرادة التي مُنحها الإنسان والتي هي في أصل الاستخلاف، ومنعت منها الأجرام السماوية التي تسير بمقتضى القوانين التي وضعها الله ولا تملك عنها انحرافاً أو تحللًا.

إن التصور الإسلامي للحياة الإنسانية باعتبارها كفاحاً ضد غواية الشيطان وصبراً وثباتاً عند الابتلاء والاختبار يعطيان الفعالية الإنسانية تكثيفاً قد لا نجده في أي عمل درامي أو فني ولا يمكن أن يتطرق إلى نفس المسلم فكرة عن عبثية الحياة أو ما ساور الشاعر:

حـيـاة ثـم مـوت ثـم بـعـث حـديـث خـرافـة يـا أم عـمـرو..

أو ما استقر في أعماق المشركين ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا الدَّهْرُ...﴾.

الحياة فتنة

ومن التعبيرات التي يسوقها القرآن، تعبير الفتنة الذي يتضمن معان يتطلب تحقيقها نوعاً من المقاومة. وهي ترد بمعنى الفتنة ـ المال والجاه والسلطة والنفوذ والاستمتاع التي يفترض أن يقاومها المسلم، وأن لا يستسلم لأعدائها وتدخل بهذا في باب الجهاد. ولكنها كذلك ترد في القرآن بمعنى إعادة المؤمنين بالإسلام إلى عقيدة الشرك و«فتنتهم» عن دينهم الذي ارتضاه الله لهم.

وقد تصل الحدَّة فيه درجة محاولة فتنة الرسول نفسه ـ وليس عامة المؤمنين وهو ما يعطينا مؤشرا عن مدى ودرجة عدوان هذه الفتنة كما أوضحت ذلك الآيات ٧٣، ٧٤ من سورة الإسراء. وقطع القرآن بأن الفتنة أشد من القتل. لأن الفتنة لو تركت ولم تقاوم بالقتال، فإنها يمكن أن تفرض حكم القوة الباطشة على المجموعة المستخزية بحيث تجعل حياتها استعباداً وإذلالًا ومن ثم جاءت إحدى أشد الآيات أمراً بالقتال:

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/١٩١].

ثم عاد مرة أخرى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/١٩٣].

وعادت مرة ثالثة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/٢١٧].

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت/٢].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة/٢١٤].

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه/١٣١].

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/٢٧].

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة/١٢٦].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال/٢٨].

الحياة كمبارزة ما بين صلابة الأنبياء وإغواء الشياطين وكمسرح يتعرض فيه المسلم للابتلاء والفتنة هي ما توضح أن المقاومة جزء لا يتجزأ من تكييف المجتمع وطبيعة الحياة الإنسانية.

وبالطبع، فإن القتال هو أعلى درجة من درجات المقاومة ويعد مقدساً وفرض يمين عندما تتهدد العقيدة أو الأرض أو حياة الناس وأحوالهم ومقتنياتهم. فهذه الحرب هي في جوهرها حرب في سبيل مثل أعلى سواء كان عقيدة أو حياة أو ملِك.

ومن هنا يعد المقتول فيها شهيداً.

وكانت الحرب في العهد القديم سيفاً لسيف ورمحاً لرمح. ولكنها تطورت في العصور الحديث خضعت إلى أعلى فنون التكنولوجيا ووضعت في خدمتها بلايين الدولارات في البحوث العلمية والفنية بحيث توصلت إلى الطائرات باختلافها والصواريخ، والقنابل بما في ذلك القنابل النووية التي تحمل الدمار لا في الحاضر فحسب. ولكن لسنوات عديدة مقبلة.

ولا تحظى الشعوب الإسلامية عادة بهذه الطرق لعدم التوصل إلى المستوى الفني والتكنولوجي واستخدام الأقمار الصناعية وفنون الكمبيوتر. فهذه كلها يمكن أن يسلطها العالم المتقدم الذي أسلم روحه لشيطان العزة الآثمة والسيطرة على الشعوب ونهب ثرواتها الخ.... وفي هذه الحالة يكون على هذه الشعوب أن تستخدم كل ما يمكن أن تستخدمه للدفاع عن عقيدتها وأرضها ومقدساتها. وقد كان من الوسائل التي اهتدت إليها العمليات الاستشهادية وتفجير الفرد نفسه وسط تجمعات أو في مواقع عسكرية معينة. لقد قيل: إن هذه عمليات انتحارية وليست استشهادية ونحن نرى أنها تحمل أعلى درجة من الاستشهاد. وإن مشروعيتها ليست محل شك فهذه هي الوسيلة الوحيدة لدى شعوبنا، وهي تحل محل المدرعات والطائرات. وقد

ثبت أنها هي وحدها التي تروع العدو والتي تحدث أكبر قدر من الخسائر فيه بأقل تضحية.

على أن علينا أن نفرق بين حالتين:

الحالة الأولى: ما يحدث في فلسطين المحتلة. وهنا لا يوجد أي مأخذ على هذه العمليات أولًا لأن الشعب الإسرائيلي كله مجند، النساء مثل الرجال والأطفال مثل الرجال. وثانياً لأن احتمال إصابة عدد من الأطفال لا يعد نشوزاً عما يحدث في الحرب الحديثة. إن الطيار الذي يلقي بقنبلة من السماء تصيب بيوتاً ومدارس ومستشفيات وتقتل أطفالًا ونساءً عزَّل فلو جيز تحريم العمليات الاستشهادية لوجب تحريم استخدام إلقاء القنابل من الطائرات.

على أنه يجب التمييز بين حالة الاستشهاد في فلسطين وبين ما يحدث في العراق، فما يحدث في العراق أمر لا يمكن فهمه أو تبريره. أشخاص يلقون القنابل في المساجد يوم الجمعة ويختطفون الأئمة والذين يعملون في خدمة الهيئات الدولية التي جاءت لتقدم معونات للعراق في محنته، وأشخاص يختطفون رعايا إحدى الدول لأن سياسة هذه الدولة لا تعجبها ويقتلونهم بدم بارد أو يطلبوا فدية طائلة فهؤلاء لا يختلفون عن قطاع الطرق واللصوص والقتلة وهم الذين عناهم القرآن عندما تحدث عن الذين يعيثون في الأرض فساداً وأوجب عليهم أقسى العقوبات. ومن العجب إنهم يتمسحون بأسماء إسلامية ويدعون أنهم أنصار الرسول أو دعاة الإسلام والإسلام منهم بريء.

* * * *

نوع منسي من المقاومة، مقاومة التخلف

ليست المقاومة كما يتبادر إلى الأذهان مقاومة عسكرية فحسب. إن هذا لا يحدث إلا في مثل حالة فلسطين، والعراق، وأفغانستان، أو عندما

يحدث هجوم مسلح على دولة إسلامية ولكن لما كان الجهاد في الإسلام هو الجهاد في كافة مجالات الحياة. فإن هذا يستتبع مقاومة كل عوامل التخلف والتأخر التي وإن لم تهدد بغزو عسكري. فإنها تبقي الشعوب في حال من المسكنة والذل والتبعية للشعوب المتقدمة بحيث لا تكون في الحقيقة سيدة نفسها أو وقد يعود هنا إلى أن الاستعمار عندما احتل الدول الإسلامية نهب وخرب ودمر مواردها وزلزل مقوماتها وأوجد جذوراً لمشاكل اجتماعية. ومن ناحية ثانية فإن العالم المتقدم يكتسب ثمرة التراكم المعرفي المتوالي الذي يجعل تقدمه يسير بأسرع من متوالية هندسية (٦٤، ٣٢، ١٦، ٨، ٤، ٢، ١) في حين يتخبط الشرق في مشاكله الآنية الوقتية التي غرسها الاستعمار وحجبت عنه نوعاً من أقدس المقاومات مقاومة الجهل.. ومقاومة التخلف.

لقد أصبح معلوماً أن التقدم الأوروبي الذي بدأ مع الثورة الصناعية الأولى التي تمخضت عن التوصل إلى التجار كقوة محركة. والى الحديد لصنع الآلات حتى الثورة النووية، وحتى ثورة الاتصالات الكونية والقنوات الفضائية كل هذا إنما يعود إلى أنها طبقت العلم والعمل وقد تم هذا ويا للعجب بفضل ما قدمه العلماء المسلمون إلى الغرب في مستهل نهضته فتعرفت على أسرار المادة والطبيعة وسخرت هذا في صنع الآلات من كل نوع والقوة المحركة في كل مادة حتى انتهى إلى العالم الرقمي تشغل فيه الرياضة العالية الصدارة.

ويصب هذا كله في إشباع الحاجات ورفع مستوى المعيشة والتوصل إلى السيطرة على العالم بفضل حاملات للطائرات كأنها ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ كل منها كأنها جزيرة تمخر وسط أمواج المحيطات وتحمل على متنها الطائرات والدبابات والمدافع. وهذه البوارج حاملات الطائرات هي التي حلت محل الأسطول البريطاني القديم الذي دكت مدافعه موانئ الشرق والهند والصين في القرن التاسع عشر.

فإذا أردنا ألا نكون عبيداً أو أقناناً للشعوب القاهرة التي تتسلح بقوة الطبيعة القاهرة فإن علينا أن نقاوم الجهل المتفشي. ولم يعد الجهل في الدول المتقدمة يعني جهل القراءة والكتابة ولكن يعني عدم معرفة المهارات الكهربائية والكمبيوتر. ولدينا الجهل «متلتل» بدءاً من عدم معرفة القراءة حتى جهالة المهارات وعلينا أن نبدأ بكل سرعة وبكل همة في القفز على الحواجز لأن السير والجري لم يعد كافياً ولأن الطيران ليس متاحاً فلا بدَّ من القفز على الحواجز حتى نصل إلى المستوى المنشود وندخل إلى النادي النووي..

لقد كان مداد العلماء يعدل دماء الشهداء قديماً وهو اليوم يفوقه فضلًا عن أنه الأصل لأن الإسلام إنما أنزل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. وهذا هو ما يجب أن تتنبأ له شعوبنا؛ إن أعظم صور المقاومة قداسة هي مقاومة التخلف والوصول إلى درجة من المعرفة تمكننا من أن نصل لا أقول إلى الندّية مع الدول المتقدمة فهذا أمر لن يحدث إلا إذا أصيب العالم المتقدم بقارعة نووية تحول دون تقدمه لفترة ولكن يمكن لشعوبنا الإسلامية أن تقف موقف المقاربة الذي يجعل الانتصار علينا عسيراً وليس سهلًا كما يتصورون.

وهناك جانب آخر إن هذا التقدم العلمي الذي سييسر لنا القوة العسكرية التي تحمينا من العدوان الخارجي هو نفسه الذي سيكفل لنا الانتصار في مقاومة أخرى هي مقاومة الفقر لأن الاستخدام المألوف للتقدم التكنولوجي إنما يطبق في المجالات العادية، مجالات تحصيل الزراعة بدءاً من معالجة البذور إلى تخصيب الأرض إلى تحسين وسائل الحصاد والتعبئة والتخزين، كما يتجلى أيضاً في تيسير كل متطلبات الحياة وكل ما يرفع مستوى المعيشة وما ييسرها من مرافق واتصالات وإضاءة وصرف صحي إلى آخره.

إن ثمرة هذه المقاومة ستكون هي العزة التي أرادها الله للمؤمنين ورغد العيش والكرامة للمواطنين.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وضع الإسلام توجيهاً عاماً، ويمكن أن يكون آلية، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقدم القرآن ذلك على الصلاة والصيام. وذكر في مديح المؤمنين ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران/١١٠]، وانتقد على بني إسرائيل ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة/٧٩].

ومن الواضح أن تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن نوعاً من المقاومة وأن الرسول في حديثه المشهور «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان».

على أن هذا التوجه عندما يتحول إلى آليات فإن إساءة فهمه توجد نوعاً من التطفل والمبادأة يمكن أن تؤدي إلى إحراج وإضرار ولكن عندما توضع لها الضوابط والضمانات يمكن أن تحقق غاية جليلة هي التكافل الاجتماعي واعتبار كل أفراد المجتمع متضامنين في النهضة به والحيلولة دون تسرب الفساد إليه. ولا جدال أن هذا سيؤدي إلى صور من المقاومات تبدأ باليد حتى تنتهي بالإنكار القلبي لمن لا يستطيع غير ذلك حتى لا يعد مشاركاً فيما يراه من صور الخطأ والضلال والفساد.

المقاومة السلبية

وهناك سبيل للمقاومة لم نذكره حتى الآن هو المقاومة السلبية، مع أن كلمة المقاومة نفسها أقرب إلى الناحية السلبية من الناحية الإيجابية، لو أنها رد فعل أكثر من هي فعل أصيل. هذا السبيل هو المقاومة السلبية، وهو يعد أنجح سلاح في بعض المجالات كالمجال الاقتصادي خاصة بعد أن

استطاعت العولمة والانفتاحات الدولية للتجارة أن تقلص سلطات الدولة، وأن تحول دون أن تفرض الدولة ضرائب على الواردات أو أن تقدم معونات للصادرات، فانفسح المجال للسلع الأوروبية والأميركية لكي تغزو السوق ولكي تنتصر لأنها لامعة، متقنة، مغرية فضلًا عما يصاحبها من دعاية سيكولوجية عميقة. في هذا المجال، وهو لا يقل عن المجال العسكري. وعندما يحكم استخدامه فإن كل تكتيكات الشركات عابرة القارات، والاتفاقية الدولية تشل تماماً دون أي حرج على الحكومات. لأنه ما من حكومة تستطيع، أو تطالب بأن يشتري الناس سلعاً معينة. وقد جربنا هذا السلاح في حادثة الصورة الكريهة المسيئة للرسول. فبعد أن كانت حكومة الدانمرك متعالية، متغطرسة ترفض أن تقابل ١١ سفيراً عربياً وإسلامياً، فإنها ما أن بدأت المقاطعة حتى أصبحت تستجدي رضاء المسلمين وفي نظري إن هذا السلاح هو وحده الذي يمكن أن يصمد أمام تغوّل العولمة، وأنه عندما يدعم الحس القومي بالإيمان الديني حتى يصبح سلاحاً بتاراً لا يمكن أن يقف أمامه أحد. بالطبع إن الاستخدام الناجح الطويل المدى لسلاح المقاطعة يتطلب تنظيماً وإيماناً. ولكن هذا ممكن وبقدر الحماسة الوطنية والإيمان الإسلامي بقدر ما يهيأ المناخ لنجاحه نجاحاً استراتيجياً طويل الأمد.

على أن سلاح المقاطعة يمكن أن يستخدم في بقية المحاولات كموقف يعبر عن معارضة جادة وإن كانت سلبية فمقاطعة الانتخابات أو دفع الضرائب أو سحب الأموال من البنوك هذه كلها وسائل يمكن للشعب الضغط على الحكومة حتى تستجيب لإرادته.

بالمثل فإن الإضراب العمالي يمكن أن يكون من أمضى الأسلحة في يد الطبقة العاملة لإجبار الرأسماليين على إنصاف العمال ولسلاح المقاطعة تاريخ طويل منذ أن طبقه الجمهور المصري في ثورة ١٩ بمقاطعة السلع الإنجليزية حتى عندما طبقته الدول العربية بالهبوط في إنتاج البترول في

حرب رمضان. فكان هذا السلاح هو الذي جعل الشعوب الأوروبية ترتعش من البرد.

وقد نذكر أيضاً تجارب غاندي في المقاومة والعصيان المدني التي أجبرت بريطانيا على التعاون معه والاعتراف به والشعوب جميعاً إخوة في مواجهة الحكومات.

وضم هذه الإشارة إلى المقاطعة بمثل طريف لا يخلو من الدلالة ويوضح كيف أن المقاطعة يمكن أن تتحدى إرادة الحكومة وتلحق بها الفشل. وهذا المثل مستخرج من تاريخ الشعب البريطاني، تلك هي قصة «ليدي جوديفا» التي عاشت في القرن الحادي عشر وطلبت من الحاكم أن يكف مظالمه عن سكان إقليمها في كوفنتري فوضع لذلك شرطاً هي أن تسير عارية في شوارعها، وقبلت ليدي جوديفا.. وفي اليوم الموعود أغلق تجار البلدة جميعاً محالهم، وأغلق أهلها شبابيك بيوتهم بحيث أصبحت الشوارع خالية تماماً كما لو كانت الحمام الخاص لليدي جوديفا.. وفشلت مؤامرة الحاكم في إذلالها!.

المقاومة
وليدة الديمقراطية وحاميتها

د. أدونيس العكره
رئيس لجنة الدراسات في التيار الوطني الحرّ

في الوضعية السياسية الدولية الراهنة يدور الخطاب السياسي العام حول محور الديمقراطية ومبادئها، وآليات تطبيقها، وسبل نشرها بين الشعوب وفي المجتمعات السياسية الطامحة إليها. ولكن ما نشهده على الساحة السياسية الدولية، لا سيما في العلاقات بين الدول القوية والأضعف منها، يناقض أسس الديمقراطية ومبادئها إلى حدّ أصبحت فيه العلاقات الدولية مطبوعة بطابع الصراع من أجل المصالح الكبرى وفق شريعة الغاب. إن زعماء الديمقراطية الغربية الحديثة أغرقوا العالم في حروب شاملة على مدى القرن العشرين، وهي لا تزال إلى اليوم تفرغ من مضمونها على أيديهم وتصبح مجرد شعار لا يصلح لبناء عالم إنساني قابل لحياة إنسانية بشروط الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. فما هو موقع المقاومة في هذه الصورة الواقعية للديمقراطية؟ ما هو دورها؟ وهل هي نقيض الديمقراطية ومصدر تهديد أم حماية لها؟

تفسير المناقضة بين مبادئ الديمقراطية وسلوكيات الديمقراطيين في العلاقات الدولية:

- التمييز بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية.

- المرتكزات النظرية لفكرة الديمقراطية: المساواة والعدل والحرية للانتقال من شريعة الغاب إلى شريعة المجتمع.

- فلسفات العقد نجحت إلى حدٍّ بعيد في إرساء المرتكزات النظرية لفكرة الديمقراطية.

- لذلك نجد أن نسبة تحققها في السياسة الداخلية يمكن أن تكون عالية، وهي على مزيد لدى الدول كافة.

- ولكن، في مجال السياسة الخارجية لم نجد حتى اليوم فلسفة استطاعت أن تبني منظومة ديمقراطية قابلة للتحقيق في العلاقات بين الدول. وليست شرعة الأمم المتحدة والقانون الدولي سوى شروط لقيام هدنة سريعة العطب بين المتقاتلين / الدول.

- تفسير ذلك هو غياب حكم شرعي وقادر على ضبط أصول التعامل والسلوك: لم تتحقق الهدنة بعد الحرب العالمية الثانية، أي بعد شرعة الأمم المتحدة، إلا بالحرب الباردة، ثم بتوازن الرعب، والردع النووي المتبادل، والتدمير الشامل المتبادل... وعبارات أخرى من هذا النوع والعيار. وبعد زوال التأقطب الثنائي أصبحت الهدنة قائمة على مبدأ النظام الدولي الجديد. وهذا يعني عملياً أن النظام اتخذ صفة الأولية بالنسبة للعدل: النظام أولًا، ثم يأتي العدل لاحقاً. ولكن ما هو هذا النظام؟ وما هي شرعيته؟ ومن أين يستمدها؟ برهنت التجربة أن النظام هو الذي يفرضه الأقوياء، ويستمد شرعيته من قوّتهم، أي من حق الأقوى.

- هذه الحالة ليست جديدة، أي ليست ناشئة من نظرية النظام الدولي

الجديد، بل إنها استمرار لما كان حاصلًا منذ نشوء المجتمعات السياسية، **وهي التي أدت بالفيلسوف البريطاني هوبس إلى الاستيحاء منها للقول بنظرية الحالة الطبيعية القائمة على مبدأ حرب الجميع ضد الجميع.**

- إن ما يختصر هذه الوضعية القائمة في العلاقات الدولية هي النظرية الواقعية التي عبّر عنها الحوار الذي جرى بين الأثينيين والميليين خلال حرب البلوبونيز في القرن الخامس قبل الميلاد. قال الميليّون للأثينيين الذين جاؤوا **يفاوضونهم على الاستسلام والقبول بالاحتلال الأثيني: إن العدالة هي من أجل المحافظة على الحق وتدعيمه، ونحن أقوياء بحقنا، ولذلك نرفض الاستسلام. فأجابهم الأثينيون: لا تدخل العدالة في الاعتبار إلا بين الأقوياء المتساوين في** قوّتهم، أما في الحالات الأخرى فإن الأقوياء يفرضون مشيئتهم، وعلى الضعفاء أن يخضعوا لهم: (الكتاب الخامس، الفقرة ٨٣).

ماذا في الديمقراطية من آليات لحمايتها؟

- مبدئياً، إنها سريعة العطب. كان المفكّر الفرنسي جان فرنسوا ريفيل يعلن عن خوفه على الديمقراطية من انهزامها أمام الديكتاتوريات، لا سيما في كتابه: «كيف تنهار الأنظمة الديمقراطية»؟ حيث يقول: إن الأنظمة الديكتاتورية محصّنة تمام التحصين ضدّ الأنظمة الديمقراطية بالوسائل المناسبة لقمع المعترضين، وتقييد حرياتهم، أو إسكاتهم إلى الأبد. أما الديمقراطية فهي سريعة العطب بسبب تكوينها المبني على مبدأ القبول بالآخر الرافض والمعترض، ما يسمح لعدوّها بالعمل بحرّية على تقويضها من الداخل في جوّ من التسامح والتساهل.

- ولكنها متينة بالنظر إلى مرتكزات فكرتها: الإرادة العامة التي تنتج القوة العامة لحماية الحق الطبيعي الذي جاءت النظرية الديمقراطية لتحميه، وهو البقاء معاً.

- إن جميع الآليات الهادفة إلى تطبيق الديمقراطية متماهية من حيث قيمتها التبريرية والأخلاقية مع الآليات الهادفة إلى حمايتها، أكان ذلك في السياسة الداخلية أم في السياسة الخارجية؟

I. في السياسة الداخلية: صاحب السلطة ومصدرها يستعيد حقه بممارستها

- إعلان حقوق الإنسان والمواطن عام ١٧٨٩: «المادة الثانية: إن غاية الاجتماع السياسي هي المحافظة على حقوق الإنسان الطبيعية وغير القابلة للتقادم. وهذه الحقوق هي الحرية والملكية والأمن ومقاومة الاضطهاد».

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: «الديباجة»... ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني... ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكي لا يضطرّ المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم».

II. في السياسة الخارجية: الاستناد إلى مبدأ الالتزام بميثاق الأمم المتحدة في ما يتعلق بشرط المساواة في السيادة (المادة ٢ من شرعة الأمم المتحدة، الفقرة ١ و٢ لاستعادة أحقية الفقرة ٤ من المادة نفسها):

- الحق بالدفاع عن النفس.
- حق تقرير المصير وفقاً للمادة الأولى، الفقرة ٢.
- مقاومة الاحتلال.

استنتاجات:

- المقاومة هي واحدة من الآليات الحامية للديمقراطية، والتي يضطر الشعب إلى استخدامها عندما تثبت الوسائل الأخرى عدم فاعليتها، أكان ذلك في السياسة الداخلية أم الخارجية؟

ـ المقاومة ليست فقط آلية في ممارسة السياسة بين الدول، بل هي أيضاً فعل أخلاقي يثبت الالتزام بواجب الدفاع، حتى الاستشهاد، عن حق الجماعة بالحياة والبقاء.

ـ عندما تتعرض الإرادة العامة للتهديد في حقوقها الأساسية التي يكفلها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وشرعة الأمم المتحدة، وعلى رأس تلك الحقوق الحق بالحياة، ثم بالحرية والكرامة، وعندما يسكت العالم الديمقراطي عن ذلك التهديد، أو يتجاهله، أو عندما يشارك فيه، فإن هؤلاء الديمقراطيين يصبحون منتحلي صفة، ويصبح على الإرادة العامة أن تحمي نفسها وتدافع عن حقوقها بما تمليه مبادئ الديمقراطية نفسها، أي حق الدفاع عن النفس، فتصبح المقاومة الإجراء الشرعي، وربما الوحيد، الذي يمكنه أن يستعيد للديمقراطية صدقيتها وأحقيتها.

الخاتمة:

ـ بعد أن آلت شعوب الأمم المتحدة على نفسها منذ ستين عاماً، ولا سيما شعوب الدول الكبرى، أن تنقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحروب، وأن تؤكد إيمانها بالحقوق الأساسية للإنسان وبما للأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية، وأن تعزز احترام الحقوق والحريات الأساسية للناس جميعاً بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين، وأن تدفع بالرقيّ الاجتماعي قُدماً، وأن ترفع مستوى الحياة بين شعوب الأرض في جوّ من الحرية أفسح (كما ورد في شرعة الأمم المتحدة)، أليس ما يخجلها ويؤذي الضمير الإنساني أن تكون شعوب لا تحصى لا تزال غارقة في مرحلة الانهمام بثقافة المقاومة، وغيرُها بثقافة الجوع، وأخرى بثقافة الحروب الأهلية باسم الدين أو المذهب أو العرق أو النفط؟ في القرن الحادي والعشرين، ربما تكون ثقافة المقاومة هي الأمل الأخير في استنهاض ثقافة الديمقراطية بين الشعوب الساعية إليها، فقد أصبح مؤكداً أن مشروعَ التحرّر عند الشعوب المضطهدة يمشي ببطء شديد، ولذلك فهو يحتاج إلى دفشة إصبع.

المقاومة وحركة التحرر العالمية:
تحولات في الذات والموضوع،
تحديات الراهن وأسئلة المرحلة

د. مصطفى المعتصم

إذا كانت حركة التحرر في العالم قد واجهت الاستعمار الامبريالي، فإن حركة المقاومة العربية والإسلامية بالإضافة لمقاومتها الاستعمار الجديد الذي يسعى إلى الهيمنة على العالم، وبسط نفوذه من خلال إثارة حروب استعمارية مقيتة كما هو الشأن اليوم في العراق، تواجه أيضاً المشروع الصهيوني العنصري. هذه المواجهة المزدوجة تجعل من المقاومة العربية والإسلامية طليعة نضال الشعوب التوّاقة إلى الانعتاق من الاستعمار والإمبريالية.

إن صمود المقاومة في فلسطين وانتصارها في لبنان وتأججها في العراق قد أعطى الانطباع بإمكانية هزم المشروع الإمبراطوري الأميركي. وما نشاهده اليوم في فنزويلا وبوليفيا والبرازيل وفي كل قارة أميركا الجنوبية وما نلمسه من تزايد العداء لأميركا في كل أنحاء المعمور وما نلمسه من تنامي الوعي في أوروبا وداخل الولايات المتحدة الأميركية بخطورة الانجرار

وراء سياسات النيوليبراليين يعني أن الظروف قد نضجت لتحالف عالمي عريض لكل محبي الحرية والعدالة، المناضلين ضد قوى الاستعمار والإمبريالية العالمية.

* * *

١ ـ المقاومة: تحولات في الذات والموضوع

نشأت المقاومة وحركات التحرر باعتبارها رد فعل مشروع ضد الاستكبار العالمي وملحقاته السياسية والفكرية، فواجهت وتصدت على مدى سيرورة زمنية لمخططات الاحتلال والاستعمار والصهينة، مما جعلها تمثل امتداداً نوعياً للحركة الرسالية الخالدة: حركة الأنبياء والرسل والأئمة والدعاة المصلحين.

وبفعل المتغيرات التي عرفتها البشرية نهاية القرن الماضي: سقوط جدار برلين (١٩٨٩) وانهيار الاتحاد السوفياتي (١٩٩١)، وبداية هذا القرن: اعتداءات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ بنيويورك واحتلال العراق وأفغانستان والحرب على ما يسمى بالإرهاب، باتت الولايات المتحدة تحتل موقع «القائد الشمولي»، وتتصرف من هذا الموقع باحتقار وغطرسة. باعتبارها الدولة العظمى التي تقود العالم والتي تتمتع بقوة عسكرية لا نظير لها تشن الحروب الوقائية/الاستباقية عند الضرورة كلما تم تحديد «الخطر الداهم» أو المحتمل وذلك قبل أن يترجم هذا الخطر عملياً.

في هذا الصدد يكاد كل المهتمين والمتابعين للتطورات في منطقة المشرق العربي يجمعون أن استعمار العراق وأفغانستان ما هو إلا مقدمة لهجوم آخر على المدى القصير ضد إيران استجابة لضغوطات اللوبي الصهيوني المتنفذ في البيت الأبيض الذي يرى في إيران وبرنامجها النووي تهديداً مباشراً لوجوده وباعتبار أن هذا البلد مصنف في «محور الشر» تبعاً

لبوش والمحافظين الجدد به احتياط نفطي مهم يتطلعون إلى إضافته إلى النفط العراقي ليكمل غنيمة الحرب الهائلة التي تنوي واشنطن السيطرة عليها في أولى حروبها الإمبراطورية.

صحيح أنه قد حصل تحول جذري في المرجعيات والأولويات التي تتجاذب طرفي معادلة الصراع الدولي، ولكن هذا التحول وإن زعزع القناعات وخلخل اليقينيات وعدل الاستراتيجيات، فإنه لم يبلغ عتبة القطيعة النهائية، ما دام قد حافظ على جوهر مدونة الصراع وأطرافه: الاستكبار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية والكيان الصهيوني، في مواجهة شعوب العالم التوّاقة للعدل والسلم والحرية...

لقد انطفأت منذ سقوط المعسكر الاشتراكي الكثير من بؤر التوتر التي أشعلها اليسار الماركسي في العالم. ولم تبقَ على مستوى الكرة الأرضية جمعاء سوى بؤر قليلة منها في إفريقيا وأميركا الجنوبية وآسيا... وبالمقابل ظهرت وتنامت حركة جديدة تدعو للكفاح ضد الإمبريالية والاستعمار باسم الإسلام. لكن يجب أن لا تحجب الإنجازات المذهلة للمقاومة الإسلامية أمراً جوهرياً هو أن العولمة الليبرالية المتوحشة قد فاقمت من حدة الظلم والتفاوت والفقر على مستوى الكرة الأرضية وزادت عدد الناقمين والمعارضين والمقاومين لها.

وسيكون مفيداً رصد وإبراز أهم تجليات هذا التحول على الساحة العربية والإسلامية على مستويات ثلاثة:

أ ـ المقاومة والمرجعية الإيديولوجية:

إن المتأمل في الاختيارات الإيديولوجية التي تبنتها حركة المقاومة خلال مسيرة الرفض والممانعة، يلاحظ مدى تأثرها بالسياق الدولي واتجاهات التقاطب الدولية، حيث استهوتها في المرحلة الأولى (زمن

الامبريالية والاحتلال الأوروبي المباشر) الإيديولوجية الوطنية ذات النزوع الليبرالي والتي كانت حاملة لقيمتي الحرية والديمقراطية أساساً، وغاضة الطرف عن الجوهر العلماني/اللائكي. بل إن الدين عند حركات المقاومة الوطنية لم يفقد وظيفته التعبوية والاستنهاضية.

وفي زمن الاستقلالات القطرية (الاستقلال بلغة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي رائد المقاومة المسلحة بالمغرب الأقصى) سيتحول النزوع الوطني إلى نزوع قومي يستبدل الإيديولوجية الليبرالية بالإيديولوجية الاشتراكية(ماركسية وبعثية وناصرية...) متأثراً باتجاهات النضال الأممية الذي كانت تقوده حركات التحرر العالمية في آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية مسنودة بقوة الاتحاد السوفياتي. أما القوة الإسلامية فقد ظلت موجودة كامنة تترقب وجودها بالفعل والذي سيتحقق بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران، التي فضلًا عن نقلها للدين من خلفية التعبئة والتحريض إلى منظومة القيم والمرجعية المؤسسة، فإنها أي (الثورة) ستعدل مسار القوة الإسلامية الصاعدة في حلبة الصراع الدولي آنذاك، حيث لطالما تم توظيف ممكنات هذه القوة لمحاربة ما يسمى الإلحاد الشيوعي حتى وصل الأمر إلى الدفع بخبرة شباب هذه الأمة وتسفيرهم نحو أفغانستان في الوقت الذي كان الكيان السرطاني الصهيوني يتمدد في اتجاه بيروت عاصمة المقاومة والصمود، فكانت بلاغة الثورة واضحة في ترتيب سلم أولويات الفعل المقاوم: أميركا هي الشيطان الأكبر..

ب ـ المقاومة والمرجعية الهوياتية:

لقد لاحظنا آنفاً كيف تدرجت المقاومة العربية من هوية وطنية إلى هوية قومية لتستقر عند هوية دينية (حزب الله، حماس، الجهاد الإسلامي...) وهي هوية تجذّر الامتداد التاريخي للأمة وتعيد تشكيل الوعي الجمعي بما يخدم أفق الاستقلال وجوداً وحدوداً، وتشكل إجابة نوعية على

واقع الاستلاب والتنميط، باعتبارها تمتلك رؤية للصراع (تدافع لإقرار الحق والعدل) وآليات للتجنيد (مرجعية الاستشهاد).

ج ـ المقاومة والإسناد الدولي:

لقد كانت مرحلة الثنائية القطبية بعد الحرب العالمية الثانية تشكل متنفساً لحركات التحرر العالمية، حققت خلالها انتصارات، وعرفت تمدداً، وكسبت أنصاراً، إما بفعل انشغال القطبين الأميركي والسوفياتي بحربهما الباردة، أو بفعل دعم المعسكر الشرقي دعاية وتمويلًا وتدريباً. لكن بعد انفراط عقد هذا المعسكر واستفراد الولايات المتحدة الأميركية بقيادة ما تسميه زورا «العالم الحر»، ستعيش حركات المقاومة العربية والإسلامية وضعاً شديد الوطأة، حيث ستصبح المرمى الوحيد للسهم الأميركي/ الصهيوني، مدعوماً بإعلام قوي يقدمها للرأي العالمي كحركات إرهابية، يجفف منابعها المالية ويهدد كل الدول الداعمة لها كسوريا وإيران.

٢ ـ المقاومة وتحديات الراهن:

أ ـ مواجهة التوسع الأميركي:

إن الاستكبار العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية لم يعد مكتفياً بالهيمنة الاقتصادية، والسيطرة على مقدرات الشعوب عبر الأنظمة الحليفة والعميلة، بل بدأ يرجع إلى التراث الإمبريالي الغربي ويسعى نحو الاحتلال المباشر (أفغانستان والعراق)، ضارباً عرض الحائط المقررات الأممية، ومستخفاً بحركة الشعوب الرافضة للاحتلال والحروب، بل مستهيناً حتى بالخسائر الميدانية التي يتكبدها، وهذا التحول في الأجندة الأميركية نحو التوسع الإمبراطوري احتلالًا للأرض وتنصيباً مباشراً للحكام يلقي على كاهل المقاومة أعباء جديدة ويفرض عليها رهانات أخرى، لا تتمثل فقط في قتال المشروع لإخراج المحتل واستكمال مشروع التحرير، بل ينضاف إلى

ذلك بناء عدة فقهية تأصيلية لمواجهة التناحر الطائفي والإثني باعتباره ردة وفرار يوم الزحف، ومحاربة نزعات الغلو والانقتال المستندة على فقه عصور الانحطاط والتراجع الحضاري، وبمعنى أوضح توطين (إن صح التعبير) مرجعية المقاومة الوطنية /الإسلامية الفلسطينية واللبنانية بديلًا عن الانقتال الزرقاوي.

ب ـ مواجهة النيوليبرالية:

إن الولايات المتحدة الأميركية تستند على منظومة قيم تجد مرجعيتها في النيوليبرالية أو الليبرالية الجديدة، والتي لا تحتكم إلى منطق السوق وتراكم فائض القيمة والمضاربات الرأسمالية فقط، بل تعتبر هذه الأخيرة مدخلًا لبناء منظومة قيمية تجعل القوة بديلًا للحق، والعنف قاعدة لما تعتبره عدلًا، والتفكيك فلسفة في مواجهة الوحدة، وهو الأمر الذي ينعكس في ممارستها السياسية والاقتصادية والعسكرية (تفكيك الكيانات القطرية/ الحصار الاقتصادي/ التدخل والاحتلال المباشر/ رفض العدالة الدولية وخرق الإجماع الأممي/ الحروب الاستباقية)، والإسلام باعتباره رسالة عالمية يتضمن منظومة قيم بديلة تشكل معالم الجواب الإسلامي الذي يجب أن تقترحه حركة المقاومة على كل محبي العدل والسلام والحرية، ومن هذه القيم:

ب١ ـ الكرامة: وهي قيمة تخلقية وتحقيقية في الآن نفسه.

ب٢ ـ كونية الأخلاق: بمعنى الدفاع عن وجود مدونة سلوك تضبط سير البشرية أفراداً وجماعات لتحقيق الفضيلة.

ب٣ ـ الحوار: وهو قيمة بديلة للاحتراب تستوعب فضيلتي النزاهة والتدليل العقلي.

ب٤ ـ الاختيار: بما فيه حرية الاعتقاد والتدين والمذهبية.

على أن هذا الجواب الإسلامي لا يمنع التنادي إلى بناء حلف حضاري يضم كل الأديان والمذاهب والإيديولوجيات التي تلتقي حول أخلاقيات الحوار والتضامن والفضيلة.

ج ـ مواجهة العولمة:

إذا كانت الرأسمالية في المرحلة السابقة قد أفرزت الليبرالية خياراً إيديولوجياً والامبريالية تتويجاً لمسار الهيمنة والغلبة. فإن تطور النظام الرأسمالي بعد انهيار جدار برلين سيفرز بدوره الخيار النيوليبرالي كغطاء إيديولوجي للعولمة المتوحشة التي تشكل تهديداً للسلم العالمي والمكاسب الاجتماعية والتعاقدات الدولية، وتعمل عبر شركات متعددة الاستيطان على تدمير البيئة، وتمييع مفهوم السيادة، وتجزئة الكيانات القطرية، وتفكيك الثقافات وأنماط العيش المحلية، كما تعمل عبر المؤسسات الاقتصادية الدولية أو «محور الشر» المكوّن من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية على فرض ديكتاتورية السوق على العالم وفرض أولوية القطاع الخاص وتقديس الربح وإنزال أضرار جسيمة باقتصاد الدول:كالأزمة الاقتصادية التي ضربت النمور الآسيوية وهددتها بالإفلاس، والأزمة النقدية في تركيا وانهيار العملة في الأرجنتين، وكما تعمل على إدامة المديونية والتدخل في الخيارات الاقتصادية والتنموية بما يخدم الميتروبول المالي ونادي الأغنياء، حتى بلغت الفروقات الاجتماعية أحجاماً لا سابق لها وأصبح نصف البشرية يعاني من الفقر وثلثها يعيش البؤس وأكثر من مليار نسمة يشكون سوء التغذية ومثلهم في حال الأمية ومليارا ونصف مليار لا تصلهم المياه الصالحة للشرب وملياري لم تصلهم الكهرباء... بعبارة أخرى أصبحنا أمام عالمين بينهما برزخ يفصل بين «أسياد» القوة العالمية وأتباعهم من جهة والشعوب المستضعفة من جهة أخرى.

هل يمكن لهذا الوضع أن يستمر؟

أكيد لا. فالعالم يجتاز مرحلة انتقالية مردها استنفاد الماركسية كمحرك عالمي للثورة الاجتماعية. لكن الدرس الكبير الذي يمكن استخلاصه من التاريخ هو الأمر قد انتهى دائماً بالبشرية إلى الثورة في مواجهة الظلم الذي يشعر به الفقراء في العالم. صحيح أن الاحتقان العالمي لم يتطور إلى عنف سياسي بعد لكن هناك إحساساً لدى الجميع أنها مجرد حالة انتقالية. إن هزيمة المشروع الإمبراطوري الأميركي والمشروع الصهيوني في المنطقة العربية/الإسلامية بفضل ضربات المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان لن يقرر فقط مصير الصراعات الأخرى سواء في الوطن العربي/ الإسلامي أو في العالم، بل سيكون أيضاً منطلقاً لبزوغ فجر الحرية والتحرر للشعوب المظلومة.

انطلاقاً من هذه المعطيات فإن حركة المقاومة مطالبة أولًا بالقصد في مشيتها لتحقيق هدف واحد هو هزيمة المشروع الإمبريالي ـ الصهيوني في المنطقة العربية/الإسلامية، ومطالبة ثانياً بالتوجه مباشرة للانخراط الواعي في كل الحركات المناهضة لهذه العولمة المتوحشة والداعية إلى عولمة بديلة قائمة على التضامن والمساواة، بل إنها تشكل الدرع المتصدي لإحدى آليات العولمة ونعني بها: عسكرة العالم وإدامة الحروب، فإذا كانت العولمة المتوحشة خيار الاستكبار العالمي فإن العولمة البديلة خيار المستضعفين، وإذا كان الجواب الإسلامي ممكناً من ممكنات الرفض فإنه يعتبر بالضرورة شريكاً في بناء عالم آخر ممكن.

٣ ـ المقاومة وأسئلة المرحلة:

أ ـ المقاومة والإرهاب:

لا ينازع أحداً حق الشعوب في الدفاع عن حقوقها وتقرير مصيرها بما في ذلك نهج الكفاح المسلح في حالة الاحتلال وتهديد السيادة، غير أن

سيطرة الحلف الصهيوأميركي على الإعلام (المرئي منه على وجه الخصوص) وتحكمه في صياغة المعجم السياسي، جعل المقاومة تخلط أو توصم بالإرهاب، فأصبح حزب الله مثلًا والتنظيمات الانقتالية في كفة واحدة، والعمليات الاستشهادية في الأراضي الفلسطينية المحتلة معادلًا موضوعياً لتفجيرات مدريد الإجرامية.

وإذا كان الإعلام المتحيز مسؤولًا في الدرجة الأولى عن هذا الخلط والالتباس، فإن الموضوعية تقتضي أن نحمل قسطاً ولو ضئيلًا من المسؤولية لحركات المقاومة والنخب الفكرية والعلماء العاملين والمنظمات الأهلية، والذي يتجلى في إدانتها المحتشمة لما تقوم به الحركات الانقتالية المتشددة من عنف أهوج وإرهاب أعمى، إما خوفاً من الاتهام بالعمالة لأميركا أو تخوفاً من رد فعل الجماهير التي تتعاطف بفعل الإرهاب الأميركي مع بعض هذه العمليات.

إن المسؤولية والدفاع عن الخلق الإسلامي في الجهاد والمقاومة يقتضيان أن نجهر برفض الزرقاوية وما والاها من أشباه ونظائر، فتفجيرات نيويورك ولندن ومدريد وبالي والدار البيضاء وشرم الشيخ لا تفيد سوى في تشويه صورة المقاومة البطولية في لبنان والتي دحرت الكيان الصهيوني وفندت أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وصورة الاستشهاد الفدائي في أرض فلسطين ولبنان والعراق.

ب ـ المقاومة والديمقراطية:

إن المشروع الصهيوأميركي للشرق الأوسط الكبير، والذي يرفع من بين شعاراته المخادعة للرأي العام العربي والدولي: دمقرطة الأنظمة والشعوب العربية والإسلامية، مستفيداً من واقع الديكتاتورية والتسلط وحكم العسكر الفردي في الوطن العربي (مع العلم أن هذه الأنظمة كانت مدعومة ولا تزال

معظمها كذلك من طرف الولايات المتحدة الأميركية) يجعل من مهام المقاومة الدفع بمسلسل الديمقراطية والدفاع عن مجتمع المواطنة وحقوق الإنسان، ليس تماهياً مع المشروع الصهيوأميركي، ولكن تحصيناً للذات الجماعية وتأهيلًا لمقاومة هذا المشروع بالتنوع الذي يغذي الوحدة وكسباً لحركة التحرر العالمي التي تناضل من أجل الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والشعوب والأوطان. لكن مع الوعي أن الديمقراطية لا تعني الانفلات والتسيب، فثمة محرمات وخطوط حمراء لا ينبغي تجاوزها حفاظاً على اللحمة والكيان والسيادة والهوية والتي يمكن إجمالها في:

- الهوية الحضارية للأمة معتقداً وثقافة.

- السيادة التي تحفظ الوحدة الترابية من مشاريع التجزئة (العراق - السودان - المغرب) والوحدة الوطنية من المشاريع الطائفية (العراق - لبنان - الجزائر - مصر...)

- المقاومة حتى استكمال مشروع التحرير.

ت - المقاومة والتضامن الدولي:

لا يجب عزل المقاومة العربية والإسلامية عن مجمل المقاومات الأممية والكونية التي تناهض المشاريع الأميركية وسياسات العولمة النيوليبرالية، بما فيها الحركات الاجتماعية المنتظمة في المنتدى الاجتماعي العالمي الذي يؤطره ميثاق بورتواليغري، بل يجب البحث أيضاً على إقامة حلف دولي جديد يضم كل الدول المناوئة والمناهضة للهيمنة الأميركية والمتأذية من سياساتها (إيران - فنزويلا - كوبا - بوليفيا - سوريا..)، فالمراهنة على اختراق التحالف الغربي بالنظر إلى تضارب المواقف من احتلال العراق بين فرنسا وألمانيا من جهة والولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا من جهة أخرى أثبتت لا جدوائيتها بالنظر إلى الموقف الأوروبي

المتغطرس من الملف النووي الإيراني وانتخاب حكومة حماس ولبنان، وهو ما يثبت أن اختلاف الرؤى حول الأزمة العراقية كان خلافاً عرضياً وليس جوهرياً وأن صدور الغرب (باعتباره مرجعية رأسمالية وليس موقعاً جغرافياً لأنه في اعتقادنا يضم اليابان كذلك) عن فلسفة «حداثية» مأخوذة بهوس الاقتصاد والقوة، يجعل من الضروري الرهان على بناء تحالف المستضعفين جماهير أو دولًا. حلف فضول بشري أو «لاهوت» التحرير عالمي.

ث ـ المقاومة والشعوب الغربية:

منذ بداية الانتفاضة الثانية قام الآلاف من المتطوعين من ايطاليا وبلجيكا وهولندا والدانمرك وبريطانيا وفرنسا وكندا والولايات المتحدة الخ... بالمشاركة في بعثات إلى فلسطين: مزارعون وصحافيون ومرشدون اجتماعيون وأطباء وفنانون ومحامون وأعضاء مجالس محلية منتخبة ومناضلون في حركات مناهضة للعولمة الليبرالية ونقابيون وممثلون عن الكنائس، يريدون أن يراقبوا ويساهموا محلياً في حماية الفلسطينيين ويرغبون في التعبير عن تضامن ملموس بمساعدة المرضى لاجتياز الحواجز العسكرية للوصول إلى المستشفى أو المزارعين في قطف الزيتون بالرغم من تهديدات قوات الاحتلال الصهيوني والمستوطنين الدائمة. كما شاركوا في تظاهرات من أجل وضع حدٍّ للاحتلال ومن أجل إرسال قوة دولية لحماية الشعب الفلسطيني. كما يشهد العالم تزايد الزخم الشعبي الرافض للحرب على العراق وأفغانستان خصوصاً في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية مما يعكس تعبئة الرأي العام في هذه الدول نحو المزيد من رفض سياسات الهيمنة الاستعلائية الغربية. هذا الرأي العام الغربي يحتاج إلى المزيد من التواصل معه قصد تحسيسه أكثر بعدالة قضايانا وتحريره من هيمنة الإعلام المنحاز ضدنا. فوضوح القضية لدينا لا يعني وضوحها لدى غيرنا واصطفاف الرأي العام الغربي ضدنا في بعض الأحيان قد يكون مرده الجهل بعدالة

قضيتنا. من هنا تظهر حاجتنا ففي زمن عولمة الصورة إلى إعلام تلفازي وإذاعي وصحافي يصحح التمثلات ويصوب المواقف ويدعم قضايانا العادلة لدى المواطنين في الغرب. لكن لكي ينجح هذا الإعلام لا بدَّ أن يكون غربياً بمضامين منحازة إلى أطروحاتنا العادلة وليس إعلاماً عربياً ناطقاً باللغات الأوروبية.

إن ما تقوم به جمعيات المجتمع المدني في الدول الغربية من أجل عالم عادل، وما تقوم به المنظمات غير الحكومية الكبرى من أمثال غرين بيس ومنظمة العفو الدولية وأطباء بلا حدود الخ.. أمر جدير بالوقوف عنده إذ يوحي بأن دائرة المتعاطفين مع قضايانا العادلة يمكن بجهد بسيط أن تمتد وتتسع. إن التعارف والحوار والتفاهم على ما يخدم الإنسانية ممكن مع هذا الغرب الإنساني وقد يلعب العرب والمسلمون في المهجر الدور الأساس في هذا الأمر.

مقاومة التطبيع
دراسة في التجربة المصرية (١٩٧٩ ـ ٢٠٠٦)

د. رفعت سيد أحمد

مدخل:

كان لانطلاق المقاومة الإسلامية في لبنان عشية الغزو الصهيوني عام ١٩٨٢ واعتمادها سلاح الاستشهاد، سبيلًا أعلى من سبل المواجهة، صداه الواسع في أرجاء عالمنا العربي والإسلامي، الذي كان قد ابتلي في ذات التوقيت، بهزيمة سياسية كبيرة مثلت انكساراً حاداً في مجرى الصراع لصالح العدو، كان عنوانها الرئيسي توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني عام (١٩٧٩) وافتتاح سفارة للعدو في قلب القاهرة يوم ٢/٢٦/ ١٩٨٠، ثم توالى الاتفاقات العسكرية والسياسية والثقافية السرية والعلنية لتشكل معاً مشهداً شديد البؤس، حادّ الأثر، عميق الجرح، في نفسية ومشاعر وثوابت الإنسان العربي الذي يعرف قيمة مصر وموقعيتها في هذا الصراع الممتد مع العدو الصهيوني، جاء انطلاق المقاومة الإسلامية (١٩٨٢) وإنشاء (حزب الله) وتوالي عملياته النوعية لتمثل بالمقابل، الوجه الآخر الصحيح لصراع لا ينتهي باتفاقات بائسة تؤسس لخروج قوى مركزية من

الصراع (مصر نموذجاً)، ولتمثل ـ أيضاً ـ بارقة الأمل الأبرز لكل المدافعين عن هوية الأمة ومشروعها التحريري ولكل المقاومين لمشاريع الهيمنة الأميركية والإسرائيلية المفروضة فرضاً على أمتنا والمناهضين للتطبيع معها.

ـ كانت الأمة إذن أمام خندقين قد تحددا مع بداية الثمانينات، خندق المقاومة بكل مفرداته ومكوناته داخل فلسطين ولبنان وفي أرجاء المنطقة العربية والإسلامية (كانت الثورة الإسلامية في ايران قد انتصرت وأنشأت لها دولة) وخندق الاستسلام والتراجع والهزيمة النفسية والسياسية والذي اتخذ لنفسه وقتها وحتى اليوم مصطلح خندق التطبيع والمطبعين والذي مثل دخول مصر الرسمية إلى رحابة أعلى درجات انتصاره.

ـ بين الخندقين توزعت القوى والاتجاهات والمواقف، وبدأت عمليات المقاومة والمهادنة، وكانت مقاومة التطبيع في البلاد التي ابتليت به تستمد طاقتها وحيويتها مما يصلها من أنباء عن انتصارات مدوية للمقاومة في لبنان، وفلسطين خاصة مع نهاية الثمانينات وطيلة حقبة التسعينات عندما تبلورت أكثر ملامح النموذج المقاوم لحزب الله، في موازاة انطلاق الانتفاضة الأولى (١٩٨٧) والثانية (٢٠٠٠) في فلسطين بكل بسالتها وإنجازاتها ثم الانتصار النوعي البارز لحزب الله ومقاومته المجاهدة في أيار/ مايو ٢٠٠٠، والذي مثل رافعة كبرى لما يمكن أن نسميه (بفقه الانتصار) ضد (فقه الهزيمة)، وأضحى حزب الله، رمزاً لكل المجاهدين بالسلاح وبالكلمة، ومثالاً يحتذى في المقاومة الواعية المدركة لأولوياتها والقائمة على ركائز ثلاث من: الإيمان بالله إلى القيادات المضحية الواعية، فالاستعداد العسكري والجهادي لدفع ثمن الانتصار.

ـ إذن.. لقد تأثرت حركة مقاومة التطبيع في بلادنا العربية (وفي مقدمتها مصر) بانتصار حزب الله، وبدروس هذا الانتصار وتعلمت من

المقاومة المجيدة للشعب الفلسطيني المحتل طيلة نصف قرن من النضال فأبدعت هي الأخرى وسائلها الفذة في مقاومة التطبيع المفروض عليها من أنظمة فاسدة ومستبدة وتابعة وامتد التطبيع من الكلمة والتظاهرة إلى المقاومة بالسلاح (تنظيم ثورة مصر بقيادة محمود نور الدين وخالد عبد الناصر ـ الشهيد سليمان خاطر ـ والمجاهد أيمن حسن وغيرهم).

ـ حول التجربة المصرية بوجهيها: التطبيعي، والمقاوم للتطبيع نقدم هذه الدراسة محاولين تقديم أكبر قدر من المعلومات الصحيحة مستهدفين بذلك الاستفادة العربية والإسلامية الواسعة منها، فما جرى في مصر طيلة أكثر من ربع قرن (١٩٧٩ ـ ٢٠٠٦) يمثل درساً بليغاً، لمن يريد أن يقاوم هذا السرطان القادم لأغلب بلادنا العربية، سرطان الاختراق الإسرائيلي للعقل والثقافة والاقتصاد والسياسة، والذي يتردد الآن أنه قد وصل إلى ١٤ دولة عربية وإسلامية تحت لافتات وعناوين مضللة؛ إن النموذج المصري في مجال (التطبيع) ومقاومته، هام للغاية وانطلاقاً من هذه الأهمية تأتي دراستنا هذه والتي نمحورها حول محورين رئيسيين:

الأول: تجربة التطبيع السياسي/ الاقتصادي/ الثقافي في مصر: الحقائق والأبعاد.

الثاني: مقاومة التطبيع: المسار والمصير.

وبتفصيل هذين المحورين يستبين ما يلي:

* * *

المحور الأول: تجربة التطبيع السياسي/ الاقتصادي/ الثقافي في مصر: الحقائق والأبعاد:

طويلة هي قصة الصراع العربي الصهيوني، متعددة أبعادها، ولعل فصل العلاقات المصرية الإسرائيلية هو أهم هذه الفصول وأكثرها درامية، لأنه

فصل تم مع الجهاز العصبي للأمة العربية، (مصر)، كما كان يوصفها وبحق الراحل الدكتور جمال حمدان، وعلمياً إذا نشط أو أصيب (الجهاز العصبي)، بعطب أو عطل، فإن باقي الجسد، أطرافاً ووسطاً، يصاب بالنشاط أو بالانهيار.

- يحدثنا التاريخ أنه قد تم افتتاح سفارة إسرائيل بالقاهرة يوم ٢/٢٦/ ١٩٨٠ بعد أكثر من عام ونصف على توقيع اتفاقات كامب ديفيد ١٩٧٩ ولقد تنوعت العلاقة بين الحكومة المصرية وإسرائيل وأضحى لها جوانب عديدة اقتصادية وسياسية وثقافية، وسياحية، وما يهمنا في هذه الدراسة هو الجانب السياسي أو الدبلوماسي منها، وهو الجانب الذي تولته سفارة إسرائيل بالقاهرة، تلك السفارة التي ظلت لفترة وجيزة في أحد الشوارع الجانبية بمنطقة الدقي بالجيزة، أوائل الثمانينات، ونتيجة للتحركات الشعبية الرافضة لوجودهم وأيضاً لاعتبارات أمنية إسرائيلية، تم نقلها إلى الدورين الأخيرين (أعلى العمارة المكونة من ١٥ طابق) في العقار رقم ٦ شارع ابن مالك بالجيزة والذي صار اسمه (شارع الشهيد محمد الدرة) تعبيراً من المجلس المحلي بالجيزة عن التضامن مع انتفاضة الشعب الفلسطيني من ناحية ورفضاً منهم - كما أعلنوا في قرارهم - لوجود هذه السفارة بحيهم من ناحية أخرى، والتي سيضطر رجالهم إلى كتابة اسم الشهيد محمد الدرة على كل مراسلاتهم مستقبلًا.

ولقد تم اختيار الطابقين الأخيرين لاعتبارات أمنية بالأساس وربما لأسباب أخرى لم يفصح عنها من اختار العقار.

١ ـ نشأة وتطور العلاقات الدبلوماسية:

هذه (السفارة) توالى على رئاستها، وتبوأ موقع السفير بداخلها تسعة من رجال المخابرات، وبالمناسبة في داخل إسرائيل لا توجد غضاضة في أن

يتولى أمثال هؤلاء مواقع سياسية فلا فواصل هناك بين رجال الحرب ورجال الدبلوماسية، وبين مستوطن ومجند، فإسرائيل كما قال أحد كتابها الكبار(ازرائيل شاحاك) هي [جيش بنيت له دولة وليست دولة لها جيش] والمعنى مفهوم.

هؤلاء السفراء على التوالي هم:

١ ـ **الياهو بن اليسار:** وهو أول سفير لإسرائيل بالقاهرة، وكان على صلة وثيقة بالرئيس السادات، وشهد عملية اغتياله، وتأثر كثيراً بها لاعتبارات الصداقة والعلاقات الدافئة، وعلى يديه بدأت الخطوات الأولى لتطبيق الاتفاقات الموقعة في كامب ديفيد ١٩٧٩ ولقد أصدر كتاباً قبل وفاته ٢٠٠١ حول تجربة وجوده في مصر ذكر فيه العديد من الوقائع المهمة التي تحتاج إلى عرض خاص.

٢ ـ **موشيه ساسون:** وهو يعد من وجهة نظر من أرخ للعلاقات المصرية الإسرائيلية، مهندس هذه العلاقات، ولقد أصدر كتاباً بعنوان (سبع سنوات في بلاد المصريين) وروى فيه كيف نبذه الشعب المصري وبخاصة النقابات المهنية واهتم به فقط وزير الزراعة المصري د٠ يوسف والي الذي كان يستضيفه في قريته بالفيوم والكتاب ترجمة مركز يافا للدراسات ونشرته دار الكتاب العربي بدمشق والقاهرة عام ١٩٩٩.

٣ ـ **شيمون شامير:** وهو باحث مشهور ويعود له الدور الأكبر في بناء استراتيجية إسرائيلية للتدخل والاختراق الثقافي لمصر، حيث أنشأ عام ١٩٨٢ المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة [يقع مقر هذا المركز في ٩٢ شارع النيل خلف شيراتون القاهرة وأعلى منزل الكاتب المصري الكبير محمد حسنين هيكل]، وهذا الرجل تولى منصب السفير بعد أن كان قد نسج سلسلة من العلاقات مع بعض رجال الثقافة والأدب والتاريخ (مثل عبد العظيم

رمضان وتحسين شنن، ونجيب محفوظ وعلي سالم وأمين المهدي وغيرهم) ودوره في تولي منصب السفير يؤكد بوضوح حجم التداخل بين السياسي والثقافي لدى إسرائيل.

٤ ـ **جبرائيل واربورج:** وهو أحد كبار المتخصصين في الشأن المصري، ومثله مثل (شيمون شامير)، إذ بعد توليه لمنصب مدير المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة لفترة هامة، شهدت عملية شراء واسعة للآثار وللكتب اليهودية المصرية تحت زعم عمل مكتبات للاطلاع داخل المعابد اليهودية بالقاهرة، بعد ذلك قام بتولي منصب السفير فاهتم أيضاً بتهويد تاريخ وآثار مصر عبر أساليب مبتكرة.

٥ ـ **ديفيد سلطان:** وكان يتمتع بخبرة جيدة في محاولة جذب المثقفين المصريين ممن آمن بالتطبيع، وكان صديقاً شخصياً للكاتب الراحل لطفي الخولي ولعلي سالم وصلاح بسيوني ومصطفى خليل وعبد المنعم سعيد، والمخرج التليفزيوني غير المعروف نبيل فودة الذي حاول تأسيس جمعية للصداقة المصرية ـ الإسرائيلية فرفض القضاء طلبه، فضلًا عن غيره من رجال تحالف كوبنهاجن وجمعية القاهرة للسلام.

٦ ـ **تسفي مازئيل:** والذي استمر عمله في مصر ٤ سنوات وكان هذا السفير الأضعف حيلة في مجال نشاطه السياسي وجاءت فترة عمله في وقت حرج، حين انتصرت فيه المقاومة اللبنانية بقيادة حزب الله (يوم ٢٥/٥/ ٢٠٠٠م) ثم الانتفاضة الفلسطينية (٢٨/٩/٢٠٠٠) التي لا تزال مشتعلة، وتعاطف الشارع المصري معها بل وتعاطفت بعض القيادات الحاكمة، جاءت كل هذه الأحداث لتزيد من حصار السفير وطاقمه،الأمر الذي دفعه لطلب سرعة إنهاء خدمته في مصر.

٧ ـ **جدعون بن عامي:** وقد تم تعيينه وسط احتجاجات شعبية مصرية

واستياء عام لأنه جاء في نهاية شهر يناير ٢٠٠٢ في ذروة الانتفاضة الفلسطينية والتي كان متوقعاً أن تؤثر في مسألة العلاقات الدبلوماسية إلا أن الأمر لم يسر وفقاً لحركة الواقع، وتم تعيين هذا السفير وكان يبلغ عند تعيينه من العمر ٦٣ عاماً وكان يشغل نائب رئيس مركز الأبحاث السياسية في وزارة الخارجية الإسرائيلية وهو من أبرز الخبراء في الشؤون العربية ومن الذين عملوا مع الموساد الإسرائيلي بوضوح في مجال الدراسات، وهو من المتعاونين مع تحالف كوبنهاجن الشهير الذي أنشأه مجموعة من المثقفين العرب والجنرالات الإسرائيليين السابقين المؤمنين بالتطبيع (عرباً ويهوداً) عام ١٩٩٨.

٨ ـ **إيلي شاكيد:** متخصص في الشؤون الاقتصادية وبخاصة اتفاقيات الكويز التي ساهم بدور فعال في توقيعها مع مصر نهاية (٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥).

٩ ـ **شالوم كوهين:** وتم تعيينه عام ٢٠٠٥ وهو مهتم بالتطبيع الثقافي ومن أشهر مواقفه زيارته لوزير الثقافة المصري فاروق حسني واعتراضه لديه على عرض فيلم عادل إمام «السفارة في العمارة» ومطالبته بأن يتم إيقاف عرضه لأنه ـ على حد قوله ـ يسيء للعلاقات المصرية الإسرائيلية ويشوه دور السفارة الإسرائيلية في القاهرة ولا يزال هذا السفير مستمراً حتى اليوم (٢٠٠٦).

٢ ـ المركز الأكاديمي الإسرائيلي: الذراع الثقافي للعلاقات السياسية

مثّل المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة الذراع الثقافية للعمل السياسي الإسرائيلي بالقاهرة، ومثّل بالتالي بؤرة هامة لجمع المعلومات السياسية والاقتصادية عن مصر، ولكي نلم بالصورة كاملة،من المهم هنا تناول قصة هذا المركز الذي اهتم بدراسة المجتمع المصري وأحشائه وذلك

من خلال البحث في تاريخ وأنشطة رؤسائه منذ إنشائه عام ١٩٨٢وحتى اليوم (٢٠٠٥) فماذا عنه:

تقول المعلومات المتاحة إن هذا المركز قد أنشىء عام ١٩٨٢، وتوالى على رئاسته ثمانية من رجال المخابرات الإسرائيلية ذوي الاهتمام العلمي المعروف، الأول هو شيمون شامير، والثاني هو جبرائيل واربورج، والثالث هو أشير عوفاديا، والرابع هو يوسف جينات، أما الخامس فهو عمانوئيل ماركس، والسادس ساسون سوميخ والسابع هو هو يوسي اميتاي والثامن لم يعلن عن اسمه بعد، وبتفصيل دور هؤلاء المديرون نلاحظ أن **شيمون شامير** قد عمل في المركز لمدة ثلاث سنوات وأنهى عمله في تشرين الأول ـ أكتوبر ١٩٨٤ فهو يعد من كبار المتخصصين في الدراسات الشرقية بصفة عامة ومصر بصفة خاصة وطول فترة إدارته عمل على إعداد الدراسات وجمع المعلومات من خلال وسائل الإعلام المصري، وخصوصاً من الصحف والمجلات المصرية واتسمت فترة رئاسته بالنشاط السياسي / الأكاديمي المفيد لإسرائيل ثم عمل سفيراً لها في القاهرة بعد ذلك نظراً لعلاقاته بالموساد ولخبرته الواسعة عن مصر.

أما المدير الثاني جبرائيل واربورج الذي تولى رئاسة المركز الاكاديمي في تشرين الأول ـ أكتوبر ١٩٨٤، وهو يعد من أبرز الخبراء الإسرائيليين في مجالات شؤون الشرق الأوسط وبالتحديد مصر والسودان، وأدى تعيين واربورج في هذا المنصب إلى زيادة صيحات الاستنكار لتاريخه المعروف في مجال جمع المعلومات لجهاز المخابرات الإسرائيلية وكان واربورج نشيطاً للغاية، وقام فور توليه رئاسة المركز باستقبال أعدادٍ كبيرة من الباحثين الإسرائيليين القادمين إلى القاهرة لإعداد البحوث الخاصة بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المصرية لصالح صانع القرار الإسرائيلي، وانتهت مدة خدمته في المركز عام ١٩٨٧ ثم عمل بعد ذلك سفيراً لإسرائيل في مصر لمدة عامين، رحل بعدهما لإسرائيل.

أما المدير الثالث أشير عوفاديا فلقد زار مصر أكثر من ١٥ مرة قبل توليه منصبه في المركز الأكاديمي وتعرف خلالها على جميع المحافظات المصرية كما أنه شديد الاهتمام بالفن المعمارى الفرعوني والأغريقي، فضلًا عن أنه يركز بصفة رئيسية على الفن المعماري والإسلامي والمسيحي، وكان من المتوقع أن يركز المركز الأكاديمي تحت رئاسته على طبقة المعماريين والفنانين التشكيليين المصريين وكان له أيضاً علاقات وطيدة بالخارجية وجهاز المخابرات الإسرائيلي وقد أعد لهم العديد من الدراسات حول التيارات الإسلامية في مصر وحول مشاعر المصريين تجاه إسرائيل بعد عشر سنوات من توقيع اتفاقات كامب ديفيد واستمر في المركز من ١٩٨٧ ـ ١٩٨٩م.

أما المدير الرابع يوسف جينات ١٩٨٩/٨/٢٢ ـ ١٩٩٢/١٠/١ فقد كان من أهم مديري المركز (كما تؤكد الدراسات المتابعة لنشاطه الثقافي والعلمي) واستطاع أن يستقطب حوله العديد من الرموز الثقافية المصرية ـ وقد ساعده في ذلك أنه كان من أبرز المتخصصين اليهود في الأدب العربي واستمر في عمله من ١٩٨٩ ـ ١٩٩٢.

أما المدير الخامس عمانوئيل ماركس، فقد تخصص في دراسة منطقة صحراء النقب ورأس المركز منذ ١٩٩٢/١٠/١ حتى ١٩٩٨ حين جاء **ساسون سوميخ** الذي تخصص في الأدب وبخاصة أدب نجيب محفوظ وكان له علاقات خاصة به ثم **المدير السابع (يوسي اميتاي)** الذي سبق له أن أعد رسالته للدكتوراه عن (اليسار في مصر) وله دراسة مهمة عن قوى اليسار وأحزابه وله أيضاً صداقات مع البعض منهم مثل أمين عام أحد الأحزاب اليسارية في الساحة المصرية وهو معروف باتصالاته الخاصة جداً بالخارجية والأمن في إسرائيل، أما المدير الثامن (الحالي) فهو غير معروف في المجال الإعلامي والسياسي ولا تزال المعلومات عنه محدودة خاصة وأنه

قد تم تعيينه في يناير ٢٠٠٥، **ثم جاء المدير الثامن إسرائيل تشوسكي** وهو متخصص في الثقافة العربية والحركات الإسلامية خاصة جماعة الإخوان المسلمين وهو كاره بطبيعته للمصريين والعرب ولا يزال يعمل في مصر حتى اليوم ٢٠٠٦.

٣ ـ القنصليتان: الذراع التجاري للعمل السياسي

ولأن شبكة العلاقات الثقافية والسياسية والاقتصادية لا بدَّ وأن تكون مكتملة لذا كان لا بدَّ من وجود (قناصل) لإسرائيل في مصر يمثلون الذراع التجاري والاجتماعي والاقتصادي لها، وقد كان، حيث أنشئت قنصليتان إحداهما في الاسكندرية والثانية (الرئيسية أو القنصلية العامة) في القاهرة وذلك منذ بداية الثمانينات، والأخيرة كان يتولى رئاستها حتى فترة قريبة أحد خبراء الأمن الإسرائيلي واسمه [ايلي ليفي]،ومهمته مساعدة النشاط الدبلوماسي للسفارة الإسرائيلية في مزيد من التدخل والتعامل السياسي والتجاري مع شرائح وفئات المجتمع المصري الاقتصادية.

المعلومات والأرقام المتاحة عن حجم ونوع العلاقات الاقتصادية والثقافية المصرية الإسرائيلية التي تولاها السفراء والقناصل، تؤكد حقيقة، غير متوقعة ـ وهي أنه رغم ما قد يبدو من توتر في العلاقات السياسية، ورغم جمود (المستوى السياسي) للعلاقات على الأقل خلال الفترة من عام ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٥ (فترة الانتفاضة)، فإن العلاقات الاقتصادية والثقافية، وبالأخص (الاقتصادية) في تزايد ونمو ملحوظ حيث تم توقيع اتفاقية الكويز الاقتصادية وعاد السفير المصري إلى تل أبيب، وأطلق الجاسوس عزام متعب عزام ولعبت مصر دوراً مهماً في اتفاقات التهدئة بين الفلسطينيين والإسرائيليين بعد تفاهمات شرم الشيخ (مارس ٢٠٠٥) ووقعت اتفاقات الكويز والغاز وسبق كل هذه التطورات نمو ملحوظ على مستوى العلاقات الاقتصادية الرسمية، وبالعودة إلى الأرقام التاريخية نكتشف أنه في عام

١٩٩٧ كنموذج لسنوات التسعينات مثل البترول المصري المصدر الأول للطاقة بالنسبة لإسرائيل ٣٠٪ من احتياجاتها البترولية الإجمالية، وبعد أن كانت صادرات مصر لإسرائيل عام ١٩٨٠ تصل إلى ١٢ مليون دولار في العام إذ بها عام ١٩٩٦ (بعد انتخاب نتنياهو) تصل إلى ٨٤.١١٦ مليون دولار، وعام ١٩٩٧ إلى ١٠٧ مليون دولار، وفي عام ١٩٨٠ كان إجمالي الواردات المصرية من إسرائيل يصل إلى ٧ بلايين دولار، قفزت في عام ١٩٩٦ إلى ٧.١٢٤ مليون دولار، وفي عام ١٩٩٧ إلى ٢٦.١٤٢ مليون دولار واليوم ٢٠٠٥ وصلت إلى ١٦٠ مليون دولار، والأخطر من هذه القفزات الرقمية هو أنه بقياس ما تصدره مصر إلى إسرائيل يمثل ٧٢.٩٪ عام ١٩٩٦ و٠٥.٨٪ عام ١٩٩٧ وهما رقمان غاية في الدلالة إذا علمنا أن إجمالي صادرات مصر إلى الدول العربية في نفس العامين على التوالي هي ١.٦٩٪ عام ١٩٩٦ و٥.٦٣٪ عام ١٩٩٧.

- المصدر: وزارة التجارة - مصر - صادرات مصر عامي ١٩٩٦/ ١٩٩٧ - القاهرة فبراير ١٩٩٨) والأمر ازداد دفئاً في عهد باراك بل وفي أيام الانتفاضة (٢٠٠٠/٩/٢٨) وما تلاها حتى مرحلة شارون وتفاهمات شرم الشيخ.

- ولعل أبرز المشاريع الاقتصادية بين الحكومتين خلال الأعوام ١٩٧٩ - ٢٠٠٦ هي المشاريع التي تتم في القطاع الزراعي بفضل وجود يوسف والي وزير الزراعة الأسبق الذي اشتهر بدوره التطبيعي الواسع مع العدو الصهيوني في مجال التطبيع الزراعي وبخاصة في مجالات (الأسمدة - البذور - المبيدات الإسرائيلية) والتي كانت تمثل ٤٥٪ من السلع التي يستخدمها الفلاح المصري والإسرائيلي حيث يوجد الآن لإسرائيل ثلاث مستوطنات زراعية موسعة في كل من المنوفية - العامرية - طريق الاسكندرية الصحراوي وهي ملكية خاصة لهم، وتصدر الوزارة ٣٠ سلعة وتستورد ٤٦ سلعة زراعية وفواكه، وفي نفس المجال الاقتصادي أنشئت مصفاة للبترول في الاسكندرية

أسسها بعض رجال الأعمال المصريين والإسرائيليين عام ١٩٩٤ وسميت مصفاة نفط الشرق الأوسط وبدأت عملها الفعلي عام (١٩٩٨) وتكلفت مليار دولار واشتركت فيها الهيئة المصرية العامة للبترول بنسبة ٢٠٪، وبنفس الاطراد في المجال الاقتصادي انسحب الأمر على النشاط السياحي الذي زاد خلال أعوام ١٩٩٧ ـ ٢٠٠٦ بنسبة ٢٠٪ عن الأعوام السابقة رغم الحادث الذي تم في طابا نهاية عام ٢٠٠٤ وقتل فيه سياح إسرائيليون وحادث شرم الشيخ عام ٢٠٠٥، وتوسعت رقعة الأنشطة الثقافية الإسرائيلية من خلال أفراد ومؤسسات رسمية وشبه رسمية مثل المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة ـ وما يسمى بـ «جمعية القاهرة للسلام» وغيرها.

إذن غلب على العلاقات المصرية الإسرائيلية رسمياً حالة من التواصل المستمر رغم أحداث التوتر الحاصلة في المنطقة، والتي كان متوقعاً أن تؤثر سلباً إلا أن ذلك لم يحدث إلا في لحظات معينة وفي مجالات محددة وبقيت الأوضاع كما هي وهنا من المهم الالتفات إلى دور واشنطن في الضغط على النظام المصري باستمرار وإجباره على لعب دور الوسيط في صراع هو أصلًا مشرف فيه، ربما على نقيض مما يريده الشارع الشعبي وتعكسه استطلاعات الرأي العام داخل مصر وخارجها.

٤ ـ وكلاء العدو الصهيوني في مصر في مجال التطبيع الاقتصادي:

ـ إن الاقتصاد هو عصب الحياة في المجتمعات المعاصرة، والكيان الصهيوني أدرك ذلك جيداً ومبكراً، ولذلك حاول ولا يزال اختراق الاقتصاد العربي وتحويله إلى مجرد اقتصاد مهلهل، لا وزن ولا دور له في نهضة مجتمعاتنا يساندهم في ذلك المخطط الشيطاني شبكة واسعة من المساندات الغربية والأميركية، استطاعت ونجحت ـ للأسف ـ فيما أرادته.

ـ وكان لاتفاقات التسوية وبالأخص مع أهم دولة عربية (مصر) منذ عام ١٩٧٩، الدور الرئيسي في تحقيق الاختراق الإسرائيلي للاقتصاد العربي بمساندة امريكية تستهدف تركيع هذه المجتمعات وقبولها للسلام الأميركي/ الإسرائيلي الذي هو حتماً يعني الاستسلام والركوع!!

ـ إلا أن مصر قاومت، حتى داخل مؤسسة الحكم كان ولا يزال هناك مقاومة شريفة لهذا الاختراق، وباستثناء قطاعي البترول والزراعة، نجد باقي أركان النظام الحاكم تقاوم وإن بنسب متفاوتة، وشعبياً كانت المقاومة لهذا التطبيع حاضرة وعلى كافة الأصعدة السياسية والثقافية والاقتصادية كانت قوية وصامدة ولم تخترق بالكامل، إلا أن هذا لم يحل دون محاولات الاختراق الإسرائيلي للاقتصاد المصري كنموذج للاختراق المنوي تعميمه عربياً، واستطاع الصهاينة أن يطبعوا اقتصادياً مع بعض ضعاف النفوس، راغبي الثراء السريع حتى لو على حساب القيم الوطنية وثوابت الأمة المقاومة لهذا المشروع الصهيوني الأميركي بإجمال في المنطقة، وفي هذه الدراسة نحاول أن نقدم رصداً توثيقياً بذلنا في حصره جهداً كبيراً لركائز الاختراق الاقتصادي الصهيوني لمصر مستبعدين الاختراق الرسمي الذي يأتي تحت مسميات واتفاقات رسمية في قطاعي البترول والزراعة لأنهما مرصودين ومعلومين للكافة واتجهنا إلى المجالات الأخطر والتي تحتاج إلى رصد وفضح ثم مواجهة شعبية عامة بالمقاطعة، فماذا عنها؟!

أ ـ الشركات الإسرائيلية في مصر

١ ـ شركة دلتا تكستايل إيجيبت: مقرها المنطقة الصناعية بمدينة نصر، وهي توكيل (سان مايكل)، وهذه الشركة إسرائيلية برأسمال يهودي، والقيادات في هذه الشركة من مديرين ورؤساء قطاعات وأقسام كلهم من اليهود من جنسيات مختلفة، أما العمالة فقط من المصريين، وتمارس هذه الشركة عملها بمصر بموجب القوانين المنظمة للاستثمار بالمنطقة الحرة، وهي متخصصة في المنسوجات القطنية والملابس الداخلية.

٢ ـ ميرال لينش: وهي شركة يهودية أميركية برأسمال يهودي، وهذه الشركة هي المسيطرة على أعمال البورصة المصرية، وهي من آثار الخصخصة التي اتبعتها الحكومة المصرية خلال السنوات الأخيرة.

٣ ـ مجمع ميدور لتكرير البترول: مقره الاسكندرية، وهي شركة مصرية ـ إسرائيلية مشتركة لتكرير البترول وتم تصفية حصة إسرائيل فيها مؤخراً، وكان أبرز المساهمين فيها من مصر رجال الأعمال حسين سالم.

ب ـ وكلاء الشركات الإسرائيلية في مصر:

أ ـ المجال الزراعي:

١ ـ شركة كارمل: عنوانها ص. ب: ١٨٠٩ القاهرة: وتقوم هذه الشركة بالترويج للسلع الإسرائيلية في مصر مثل: العصائر والدواجن ـ اللحوم ـ الخضراوات، وتعتبر من أخطر الشركات الإسرائيلية في مصر، وقد قامت هذه الشركة مؤخراً، حسب ما أعلنته لجنة مقاومة التطبيع الزراعي في مصر التي يرأسها المهندس محسن هاشم، بتوزيع آلاف الأطنان من بذور الطماطم الإسرائيلية على الشباب والخريجين في منطقة النوبارية مثل صنف (أوريت).

٢ ـ شركة أجرولاند: مقرها مدينة طمية بالفيوم، وتقوم هذه الشركة ببيع المخصبات الزراعية الإسرائيلية والبذور خاصة بذور الطماطم وشتلات الفاكهة، كما تقوم باستيراد السلالات الإسرائيلية، وهذه الشركة مخصصة بالأساس لإنتاج وإكثار البذور.

٣ ـ الشركة الاستشارية للمشروعات والاستثمار «بيكو»: مقرها حي الزمالك بالقاهرة لصاحبها صلاح وعلاء دياب، وتعمل هذه الشركة في مجال استيراد التقاوي والمخصبات الزراعية ومعدات الري الإسرائيلية منذ عام ١٩٩٠، وتضم الشركة مجموعة من الخبراء الإسرائيليين في مجال الزراعة، كما تقوم بزراعة شتلات الفاكهة والخضر (الموز ـ الفراولة).

٤ ـ مجموعة المغربي الزراعية: ومقرها منطقة النوبارية، وهي تابعة لمجموعات شركات المغربي الشهيرة للنظارات في مصر والمنطقة العربية، وتقوم باستيراد وزراعة التقاوي والفواكه الاسرائيلية، كما تضم مجموعة من الخبراء الإسرائيليين في مجال الزراعة.

٥ ـ شركة تكنوجرين: مقرها مدينة القاهرة لصاحبها مجدي منصور، وتقوم هذه الشركة باستيراد مستلزمات وشبكات الري والمستلزمات الزراعية من إسرائيل، كما يوجد بها مجموعة من الخبراء من إسرائيل.

٦ ـ شركة سيف أجريت: وهم وكلاء شركة تتانيم الإسرائيلية والمتخصصة في عمليات الري بالتنقيط ووكلاء لشركة أركال الإسرائيلية.

٧ ـ شركة أجروتك: مقرها مدينة القاهرة لصاحبها رجل الأعمال هاني عبد المولى وتقوم هذه الشركة بالاستيراد والاستعانة بالمستلزمات وخبراء الزراعة الإسرائيليين.

٨ ـ مجموعة شركات (هريزا ـ حيفا ـ كلال): ولهذه الشركات توكيلات مباشرة للشركات الإسرائيلية وتحمل نفس الأسماء في مصر ومقرها طريق مصر الفيوم الصحراوي، وتقوم بالترويج للمنتجات الزراعية الإسرائيلية ومستلزمات الإنتاج وآلات الميكنة الزراعية بجميع أنواعها في مصر.

٩ ـ مجلس المحاصيل البستانية: ومقره مدينة القاهرة لصاحبه علاء أبو جازية ويتعاون منذ عام ١٩٨١ مع شركة (أجروكيميالز) الإسرائيلية في مجال استيراد آلات زراعية إسرائيلية.

١٠ ـ شركة زين الدين للاستيراد والتصدير: ومقرها مدينة القاهرة لصاحبها محمود زين الدين وهو وكيل استيراد آلات زراعية إسرائيلية.

١١ ـ شركة ستار سيدس إيجبيت: مديرها العام صالح سليمان محمد، وتستورد من إسرائيل تقاوي الفلفل من نوع ماكابي وتقاوي الطماطم (أ. ١٤٤ دانيلا).

ب ـ في المجال التجاري والالكتروني:

١ ـ **المجموعة الاستشارية للدواجن (إيباج):** ومقرها مدينة القاهرة، وتستورد من شركة تنيواف الإسرائيلية كتاكيت رومي من نوع (بيج سكس).

٢ ـ **المجموعة الدولية للتوريدات:** وتقوم باستيراد بعض طيور النعام الإسرائيلي لمنافستها بمثيلاتها المستوردة من الدول الأخيرة التي ترتفع فيها تكاليف الشحن بصورة كبيرة.

٣ ـ **مجموعة شركات بهجت:** تقوم هذه الشركة باستيراد مكونات أجهزة التكييف التي تصنعها تحت اسم (يورو إير)، والمكونات الإلكترونية المصنعة في إسرائيل.

٤ ـ **شركة كاتو أروماتيك:** ومقرها مدينة القاهرة لصاحبها ابراهيم كامل الذي يمتلك حصة قدرها ٥٪ من المجمع الصناعي العسكري الإسرائيلي (كور)، ويعمل في مجال تكنولوجيا الاتصالات وصناعة الكيماويات والإنشاء والتشييد وإنتاج المعدات الإسرائيلية.

ج ـ في المجال الصناعي:

١ ـ **الشركات السويسرية للملابس الجاهزة (سويس جارمنتز):** لصاحبها علاء وهو نجل رجل الأعمال المعروف أحمد عرفة، ومصانعها بمدينة العاشر من رمضان والمقر الرئيسي بمدينة نصر، وتتعاون هذه الشركة مع شركات إسرائيلية في هذا المجال منذ عام ١٩٩٠.

د ـ في المجال الملاحي:

١ ـ **شركة إليكس جروب:** ومقرها مدينة الاسكندرية لصاحبها أحمد خيري أمين عام الحزب الوطني الحاكم سابقاً بالاسكندرية، وهو وكيل لشركة

(زيم) الإسرائيلية للملاحة البحرية منذ عام ١٩٨١، وجميع صادرات مصر إلى القارة الافريقية تنقل عبر هذه الشركة، نظراً لعدم وجود أسطول بحري تجاري مصري وقد استغل منافسو صاحب الشركة علاقته بإسرائيل لإسقاطه في انتخابات مجلس الشعب الأخيرة، حيث قاموا بنشر صوره وهو يصافح كبار المسؤولين في إسرائيل، وعلى رأسهم رئيس الوزراء الأسبق ايهود باراك.

- ويعتبر جورج سورس، رجل الأعمال اليهودي الأميركي من أخطر رجال الأعمال اليهود على الاقتصاد المصري، وقد تردد أنه حضر إلى مصر منذ عامين تقريباً لممارسة أعماله في البورصة المصرية، ومصدر التخوف لدى رجال الأعمال المصريين بسبب ما قيل عنه في السابق حيث منسوب له أنه كان العامل الرئيسي في توفير بورصة شمال آسيا من خلال مضارباته غير المشروعة والتي تتسبب في ارتفاعات وانخفاضات غير طبيعية، مما يؤدي إلى تدهور أحوال البورصة والقضاء على العديد من المضاربين فيها، وهناك أنباء تتردد عن دخوله مصر خلال الفترة القريبة القادمة، من أجل ضرب السوق الاستثماري المصري والعربي، ويعتبر رجل الأعمال المصري ابراهيم كامل من أكبر المستثمرين المصريين في إسرائيل، حيث قيل إنه يقيم مشروعات زراعية مشتركة في صحراء النقب، لكن هذه المشروعات الاستثمارية لإبراهيم كامل لم يعلن عنها بشكل رسمي حتى الآن.

هـ - شركات أنهت وجودها

أما الشركات الإسرائيلية التي كانت موجودة بمصر في السابق وأنهت أعمالها فهي:

١ - **شركة بنزايون:** واسمها الإسرائيلي بن زايون (ZION) أي ابن صهيون، وشركات شكوريل وصيدناوي وقطاوي، وكانت هذه الشركات مملوكة لعائلات يهودية بمصر تحمل الجنسية المصرية، قد تم تأميم هذه الشركات

إبان الثورة، وقامت إسرائيل برفع عدة دعاوى قضائية للمطالبة بحقوق اليهود في هذه الشركات وعودة ملكيتهم لها من جديد، بعد أن تقلص عدد اليهود في مصر بعد مرحلة التأميم، حيث أصبحت الدولة طاردة لهم من جديد، - حسب زعمهم - وفروا إلى إسرائيل. وفي إطار عملية السلام الراهنة والعولمة تسعى إسرائيل للعودة إلى مصر مجدداً عن طريق عدة مداخل:

أولهما: اتفاقات مباشرة مع الحكومة المصرية مثل (مجمع ميدور - شركة دلتا تكستايل) وهذا يكون بقرار سياسي مباشر من مصر.

ثانيهما: عمليات تحتية، بحيث يقوم بعض اليهود الإسرائيليين بشراء شركات مصرية أو أسهم فيها بأسماء مستعارة أو عن طريق بعض السماسرة المصريين ثم يظهرون حقيقة ملكيتهم لهذه الشركات والأسهم في فترة لاحقة، ويتواجدون بشكل رسمي في إطار نظام الخصخصة الذي تطبقه الحكومة المصرية في الفترة الأخيرة.

ثالثهما: محاولة استعادة مكليتهم للشركات والممتلكات القديمة لهم في مصر على شاكلة (بنزايون - صيدناوي - شيكوريل - قطاوي - وغيرهم).

- ويوجد لإسرائيل بمصر عدد من السماسرة الذين يقومون بتسهيل مهمة اليهود الإسرائيليين في شراء بعض الشركات والمشروعات المختلفة في مصر، ويعد نهاد سعيد أبرز سماسرتهم في هذا المجال بمنطقة سيناء. الذي تاجر باسم الأديان لمصلحة إسرائيل وقام بخطة لبناء مستوطنة إسرائيلية بمشروع المشاتل في طابا، وتم إجهاض هذه الخطة، وهو ما كشفته بعض الصحف المصرية خلال الفترة الأخيرة.

٥ ـ اتفاقية الكويز بين الحكومة المصرية وإسرائيل أحدث حلقات التطبيع الاقتصادي:

ـ على الرغم من مرور قرابة الستة عقود من الزمن على زرع الكيان الصهيوني في قلب المنطقة العربية والإسلامية، وبالرغم من الرعاية السياسية الدولية (الأميركية والغربية تحديداً) له وحدبها عليه، إلا أنه ظل طيلة هذه العقود فاقداً لشرعية القبول من المحيط العربي/الإسلامي، حتى في ذروة انتصاره العسكري (١٩٦٧ نموذجاً) أو ذروة انتصاره السياسي المتمثل في توقيع اتفاقات تسوية مع دول الجوار وبخاصة مع أكبر دولة عربية (مصر) والتي تمكن من إخراجها من المعادلة الإقليمية بتوقيع اتفاقات كامب ديفيد ١٩٧٩، رغم ذلك ظل دائماً يستشعر فقدان هذه الشرعية سواء على المستوى الرسمي أو المستوى الشعبي وإن كان الأخير أشد قوة وأعظم أثراً٠

ـ وفي سعيه لكسر جدار هذه العزلة السياسية والاقتصادية ومحاولة اكتساب الشرعية المفقودة تلك، أقام الكيان الصهيوني العديد من العلاقات السياسية مع أكثر من نصف الدول العربية عبر الاتفاقات والمعاهدات العلنية والسرية أو من خلال العلاقات الاقتصادية التي وصلت إلى مستوى خطير للغاية حيث توجد اليوم ١٤ دولة عربية إسلامية تم اختراقها اقتصادياً وبينها وبين الكيان الصهيوني علاقات اقتصادية وتبادل تجاري مشهود (كما سبق وأشرنا).

في هذا الإطار جاءت اتفاقية (الكويز) مع مصر والتي وقعت يوم ١٤/ ٢٠٠٤/١٢ بين وزير التجارة الخارجية والصناعة المصري ونظيره الإسرائيلي والسفير الأميركي بالقاهرة، جاءت لتعيد إلى الأذهان مرة أخرى اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ وما تلاها من أحداث جسام هزت مصر والعالم، ولقد كان المفكر الاقتصادي المصري البارز د٠اسماعيل صبري عبد الله صادقاً عندما أسماها بالفعل بـ (كامب ديفيد اقتصادية) لما لها من آثار

سلبية قاتلة على الاقتصاد المصري، ولما ستجره على المستوى العربي من اختراق تطبيعي مسموم، شبيه إلى حدٍّ كبير بتلك الاختراقات السياسية التي أنتجتها اتفاقات كامب ديفيد عام ١٩٧٩ في المنطقة العربية والإسلامية.

ولكن ماذا عن هذه الاتفاقية؟ وما هي حقيقتها وماذا عن آثارها المستقبلية؟ ذلك ما نحاول الإجابة عليه في هذه الدراسة.

* * *

في البداية يهمنا الإشارة إلى أن اتفاقية الكويز: (qiz): هي اختصار لـ(اتفاقية المناطق الاقتصادية المؤهلة) ويقصد بالتأهيل هنا أي القادرة على التعامل التنافسي مع السوق الأميركي في مجال الصناعات النسيجية تحديداً مع ضرورة أن تكون منتجاتها النسيجية قد دخلها مكون إسرائيلي بنسبة ١١.٨٪ هذه الاتفاقية ـ وقبل الدخول في تفاصيلها ـ جاءت في سياق علاقات اقتصادية عربية / إسرائيلية ـ للأسف ـ موسعة رغم الأحداث في فلسطين؛ وهي علاقات يهمنا الإشارة إليها أولًا وبتفصيل لأنها تمثل السياق العام الذي ولدت فيه اتفاقات (الكويز) سالفة الذكر وهو أيضاً السياق الذي ستولد فيه الاتفاقات المستقبلية الشبيهة بالكويز مع الدول العربية الأخرى، فماذا عن هذا السياق؟

ـ إن التقارير والوثائق الرسمية تقول إن ١٤ دولة عربية قامت خلال عام ٢٠٠٣ (عام زيادة الذبح الإسرائيلي للفلسطينيين) بإجراء عمليات تبادل تجاري مع إسرائيل بلغت قيمتها ١٩٣ مليوناً و٩٦٠ ألف دولار وهذه الدول جاءت وفقاً للترتيب التالي:

١ ـ المملكة الأردنية الهاشمية واحتلت الموقع الأول، بقيمة إجمالية لحجم التبادل التجاري مع الكيان الصهيوني ١٣١ مليوناً و٢٠٠ ألف دولار بلغت قيمة الصادرات ٤٤ مليوناً و٥٠٠ ألف دولار، أما الواردات فبلغت ٨٦ مليوناً و٧٠٠ ألف دولار.

٢ ـ جاءت مصر في المركز الثاني بإجمالي ٤٨ مليوناً و٦١٠ آلاف دولار، بقيمة صادرات بلغت ٢٢ مليوناً و١١٠ آلاف دولار وواردات بقيمة ٢٦ مليوناً و٥٠٠ ألف دولار.

٣ ـ في الموقع الثالث جاءت المملكة المغربية بلغ إجمالي قيمة التبادل التجاري ٧ ملايين و٨٤٠ ألف دولار منها صادرات بقيمة مليون و١٤٠ ألف دولار أما الواردات فبلغت ٦ ملايين و٧٠٠ ألف دولار.

٤ ـ في الموقع الرابع دولة جيبوتي بإجمالي مليون و٢٧٠ ألف دولار، أما الواردات فكانت بقيمة مليون و١٠٠ ألف دولار.

٥ ـ في الموقع الخامس جاءت المملكة العربية السعودية بإجمالي مليون و٢٧٠ ألف دولار أما الواردات فبلغت قيمتها مليوناً و١٠٠ ألف دولار.

٦ ـ في الموقع السادس دولة الامارات العربية المتحدة بإجمالي ٩٠٤ ألف دولار بلغت صادراتها ٤ آلاف دولار أما الواردات فبلغت ٩٠٠ ألف دولار.

٧ ـ في الموقع السابع جاءت دولة لبنان بإجمالي ٨٠٢ ألف دولار، وبلغت صادراتها ألفي دولار بينما بلغت الواردات ٨٠٠ ألف دولار.

٨ ـ وفي الموقع الثامن جاءت دولة الجزائر في المرتبة الثامنة بإجمالي ٥٠١ ألف دولار وبلغت صادراتها ألف دولار أما الواردات فكانت ٥٠٠ ألف دولار.

٩ ـ ثم تأتي العراق في الموقع التاسع بإجمالي ٥٠٢ ألف دولار بلغت صادراتها ألفي دولار والواردات ٥٠٠ ألف دولار.

أما في المواقع العاشر وحتى الثالث عشر فقد جاءت فيها كل من قطر وتونس وعمان وموريتانيا وبلغ إجمالي علاقاتها التجارية مع الصهاينة ٥٤٢ ألف دولار بلغت صادراتها ألف دولار فقط بينما تراوحت الواردات بين

٢٠٠ و٣٠٠ ألف دولار لكل منهما وبقيت سوريا وليبيا صامدة ورافضة ومعها عدد من الدول العربية خارج هذا المزاد من التطبيع الاقتصادي، والسؤال الآن: أين الالتزام بقرارات المقاطعة العربية؟! ولأن هذا السؤال سيظل بلا إجابة لأن أغلب هذه الدول تكيل بعدة مكاييل وتتعامل بعدة أوجه، ويغلب على سياساتها لغة النفاق السياسي والاقتصادي، لذلك لن تكون هناك إجابة عن هذا السؤال، وسيصبح لزاماً علينا الانتقال إلى (الكويز) المصرية وقصتها المثيرة للأسى!!

* * *

في سياق هذا التطبيع والاختراق الاقتصادي لـ ١٤ دولة عربية، جاء توقيع اتفاقية الكويز بين (مصر وأميركا وإسرائيل)، لتدشين مرحلة جديدة (خطيرة) من مراحل التطبيع الاقتصادي يمكن تسجيل قصتها، وآثارها، ومخاطرها المستقبلية في المحاور التالية:

- وفقاً للوصف الرسمي الذي قُدم عن هذه الاتفاقية، فإنها تعدّ انتصاراً وفتحاً اقتصادياً حيث جاء في بيانات وزارة التجارة والصناعة أن هذه الاتفاقية سوف تؤدي إلى دخول إسرائيل بنسبة تقرب من ١٢٪ من المواد المصنعة في بلادنا، أي اختراق اقتصادي تطبيعي يصعب رده مستقبلًا مع تحصيل نسبة كبيرة من عائد هذه الصادرات الصناعية ويقدر مبدئياً بـ (٧٤٥ مليون دولار) وهي صادرات من المفترض أن تذهب إلى الولايات المتحدة، ووفقاً لوثائق وزارة التجارة التي أكدت أيضاً أن إسرائيل وفقاً للاتفاقية ستدخل كعامل رئيسي في تشغيل ٢٠٥ مصنعاً مصرياً وستؤثر في تحريك واختراق عقول [١٦١ ألف عامل] أما هذه المناطق فهي [العاشر من رمضان - شبرا الخيمة - مدينة نصر - جنوب الجيزة - مدينة ١٥ مايو وحلوان - محافظة الاسكندرية - العامرية - برج العرب - العامرية الجديدة - الدخيلة - منطقة قناة السويس - بورسعيد] إضافة لذلك فإن الواقع يقول إن

هذا العدد من المصانع لن يعمل بأكمله، وهذا العدد من العمال لن يكون له حظ الحصول على فرصة عمل مستمرة، فضلًا عن أنهما (المصنع والعامل) سيكونان عرضة للاختراق الصهيوني السياسي والثقافي المنظم، والحقائق التي ترشحت عن أصحاب هذه المصانع والمستفيدين الرئيسيين منها تؤكد أن ثلاثة من كبار رجال الأعمال ممّن لهم علاقة بقصة التطبيع التاريخي بين إسرائيل والحكومة المصرية هم المستفيدون الوحيدون من هذه الاتفاقية وفي مقدمتهما السيد جلال الزريا ـ صاحب مصانع النسيج في العاشر من رمضان ورجل التطبيع الاقتصادي الشهير والذي سبق له زيارة إسرائيل وتوقيع عدة اتفاقات خاصة معها في مجال النسيج، وهو في ذات الوقت رئيس اتحاد الصناعات والرجل القريب من النظام، وأن ادعاء استفادة مئات العمال والأسر ادعاء باطل إلى الحد الذي دفع صحيفة (الأهالي) لوضع عنوان (مانشيت) صفحتها الأولى بهذه الكلمات ذات الدلالة (بتاريخ ١٢/٢٢/ ٢٠٠٤) [المستفيدون من اتفاقية الكويز ثلاثة أفراد].

ـ وفي نطاق النقد العلمي لهذه الاتفاقية والتي تعد اتفاقية سياسية أكثر منها اتفاقية اقتصادية أنها أتت لتقدم فيها مصر لإسرائيل تنازلًا مجانياً يفتح الباب السياسي (فضلًا عن الباب الاقتصادي) لزيادة تجارتها وتطبيعها من خلال إدخال مكون صناعي (بنسبة ٨.١١٪) الأمر الذي لم يقابله تنازل إسرائيلي مواز، ولو بشكل رمزي متمثلًا في إيقاف حمامات الدم ـ مثلًا ـ في غزة والضفة، بل العكس هو الذي حدث وفي نفس اللحظة التي كان يوقع فيها وزير التجارة المصري (رشيد محمد رشيد) على بروتوكول الاتفاقية كانت خان يونس تضرب بالقنابل الإسرائيلية الحارقة وبطائرات الأباتشي الأميركية الصنع، الأمر الذي مثّل هزيمة نفسية كبيرة أمام آلة القمع والإرهاب الإسرائيلية التي خرجت لوحدها ـ ومعها أميركا بالطبع ـ منتصرة من هذه الاتفاقية البائسة.

تقول الحقائق إن هذه الاتفاقية ستؤدي إلى الإنهاء العملي لاستراتيجية المقاطعة العربية للشركات والسلع الإسرائيلية، وهي استراتيجية كبدت العدو الصهيوني في الفترة من (١٩٤٨ ـ ٢٠٠٤) ما يقترب من مائة مليار دولار، تأتي هذه الاتفاقية لتجعل التطبيع الاقتصادي السري (والمحدود) الذي كان يجري مع ١٤ دولة عربية، تطبيعاً علنياً ومتزايداً وبأحجام كبيرة، ولمَ لا؟! ألم يقل ايهود أولمرت وزير التجارة الإسرائيلي؛ ذلك بعد توقيعه للاتفاقية وفي مؤتمر صحفي علني لم تترجم فيه كلماته كاملة من قبل المترجم المصري!! ثم ألم تقم فعلًا أكبر دولة عربية، والتي يقول قادتها عن أنفسهم إنهم الشقيقة (والقائدة الكبرى) للمنطقة، بفتح الباب العلني على مصراعيه في توقيت سيئ للغاية، توقيت تحتاج فيه فلسطين، بل والبلاد العربية مجتمعة إلى مزيد من الصلابة والصمود في وجه الغزوة الأميركية والإسرائيلية الجديدة وليس إلى هذا الاندفاع المجاني على جبهة الاقتصاد من أجل قليل الربح السريع والسهل لنفر من رجال الأعمال الراغبين في الثراء أيّاً كان الثمن السياسي أو الاستراتيجي المدفوع من دور وتاريخ وقيمة دولتهم التي كانت فيما مضى هي الدولة القائد!!

ـ ستؤدي هذه الاتفاقية إلى فتح أسواق عربية واسعة أمام إسرائيل خاصة أسواق الخليج التي ستبادر من خلال رجال الأعمال المصريين إلى توسيع دائرة التطبيع الاقتصادي مع إسرائيل دون الاعتبار لتطورات القضية الفلسطينية ودون أدنى احترام لدماء الشهداء التي تسقط في نفس اللحظات التي يطبعون فيها مع إسرائيل، وستؤثر هذه الاتفاقية بالتالي على الاتفاقات العربية / العربية مثل «السوق العربية المشتركة»، و«اتفاقية التجارة العربية الحرة»، و«اتفاقية التيسير العربية» وغيرها، جميعها سوف يتأثر سلباً لأن دخول إسرائيل وأميركا على الخط من خلال استراتيجية (الكويز) والتي ستعمم لاحقاً، سوف يحطم تدريجياً البدائل العربية ويؤدي إلى تقلصها لصالح الأسواق والاقتصاديات الإسرائيلية والأميركية.

- إذا كان هذا هو حال الخطر العام من الاتفاقية. فماذا يقول خبراء الاقتصاد المصريين عن أخطارها على الصعيد المصري، إنهم يرون هذه الاتفاقية هي لتحرير التجارة مع إسرائيل وليس مع أميركا وإنها تأتي في توقيت اقتصادي خطأ وهو بدء تطبيق (الجات) التي ستعني أصلًا فتح الأسواق العالمية وتخفيض الجمارك، فضلًا عن أنها تؤدي - أي الكويز - على المستوى المصري إلى إغلاق مئات المصانع المتخصصة في صناعة النسيج في عشرات المناطق الحيوية (والتي سبق الإشارة لبعضها مثل حلوان - المحلة - بورسعيد)، كما يؤكد الخبراء أيضاً أن المصانع المصرية التي تدعي الاستفادة من الاتفاقية لا تحتاج إلى أسواق لأن لديها أسواق أخرى بديلة (أفريقيا - أوروبا - الدول العربية) ولكنها تحتاج إلى تطوير كامل على المستوى التكنولوجي والتدريبي من أجل المنافسة، ويؤكدون على أن دخول إسرائيل بنسبة (٨.١١٪) كمكون في صناعة النسيج سوف يجعل لها وضعاً احتكارياً متحكماً في الصناعة التي لن تتم إلا به، مما قد يدفعها إلى المغالاة في أسعار هذا المكون، والتي في الغالب ستقوم إسرائيل باستيرادها من دول جنوب شرق آسيا مثل الصين بأرخص الأسعار (وهو ما كانت تقوم به مصر مباشرة) أي أن هامش الربح المتوقع سوف يضيع في فارق أسعار المكون الإسرائيلي المغالى فيه وقد يدفع هذا الوضع الاحتكاري إسرائيل إلى تعلية نسبة المكون لتصل إلى ٣٥٪ وليس ٨.١١٪ فقط، الأمر الذي يمتص نسبة الربح المتوقعة لتعود إلى إسرائيل التي ستخرج وحدها رابحة وسيخرج الطرف المصري خاسراً إلا أن الجانب المصري (وهم حفنة قليلة من رجال الأعمال) مضطر للقبول بذلك تحت وهم الثراء السريع بسبب دخول السوق الأميركية، رغم أن هذه السوق ليست بالحجم الذي يُغري إلى هذه الدرجة (ونسبة الجمارك المرفوعة منه إذا قيست بما كانت تدفعه مصر لدول الكوميسا الإفريقية أو أوروبا يعد هزيلًا للغاية ولا يستحق أن يدفع مقابلًا له كل هذه الأثمان الاقتصادية والسياسية)، بالإضافة إلى ذلك فإن السوق

الأميركية بها منافسة عالمية عالية سوف تؤدي تدريجياً إلى طرد (السلعة غير الجيدة) وكما هو معلوم فإن مستوى السلعة النسيجية المصرية ليس جيداً بسبب عوامل تاريخية تحتاج إلى إصلاح على مستوى البنية الصناعية المتخلفة تكنولوجياً والتي لا يسعى أصحاب المصانع من رجال الأعمال أبناء هذا الزمان الرديء إلى تطويرها بجدية، لأن جُلَّ همهم هو الثراء السريع دون النظر الاستراتيجي للمستقبل: مستقبل صناعتهم أو مستقبل بلادهم!! وإلى أن يتم هذا الطرد من السوق الأميركية يكون (الإسرائيلي) قد ضمن وجوداً واختراقاً كبيراً في الصناعة المصرية النسيجية سوف يمتد بعده إلى الصناعات الأخرى.

- إذا علمنا أن الكويز (qiz) اتفاقية شُرعت في عهد الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون عام ١٩٩٦ كبديل عن مشروع ما كان يسمى وقتها بـ (بنك الشرق الأوسط) وهدفت إلى ضمان اندماج إسرائيل في اقتصاديات المنطقة التي لا تزال تلفظها؛ فإنه من المفيد أن نقول إنها طُبقت أول ما طبقت مع الفلسطينيين والأردن ففشلت مع الاثنين فشلًا ذريعاً، ولم ينتج عنها سوى تغلغل إسرائيلي كبير (عمال - إداريون - خبراء - مكونات اقتصادية) احتاجت إلى جيوش من الشرطة والأمن لحراستهم، الأمر الذي رفع من التكلفة المالية (والسياسية بالطبع) مقابل عائد متواضع للغاية؛ ولنتأمل تجربة الأردن على سبيل المثال حيث وصلت الصادرات الأردنية وفقاً لاتفاقية الكويز في قطاع النسيج عام ٢٠٠٢ (كمثال) إلى حوالي ٧.٢٨٩ مليون دولار في مقابل واردات وصلت إلى (٢٨٥ مليون دولار) وأغلبه بالطبع من إسرائيل أي أن الفارق العائد للأردن لم يتجاوز (٥ مليون دولار) كان له أثمان باهظة على مستوى الاختراق الإسرائيلي الواسع للاقتصاد الأردني، **حيث اخترقت ١١ مدينة صناعية، وانشئت غرفة تجارة مشتركة، ووقعت خمس اتفاقات كبرى وانسحبت الأردن رسمياً من اتفاقية المقاطعة العربية لإسرائيل ولم**

تحضر اجتماعاتها منذ توقيعها لهذه الاتفاقية وازداد التعاون الأمني والاستخباري مع إسرائيل، كل ذلك تم في أجواء الانتفاضة والمذابح الإسرائيلية اليومية ضد الشعب الفلسطيني. هذه التجربة بكل وقائعها ومراراتها سوف تنتظر (مصر) ولكن بثمن أقسى وأكبر وأفدح.

ورغم أن البحرين والمغرب لا يمثلان أهمية كبيرة لأميركا قياساً بمصر سياسياً أو حتى بأسواق مصر بالنسبة للتجارة الأميركية (٢ مليار دولار تجارة أميركية سنوية في السوق المصري!) رغم ذلك لم يوضع لها أفضلية بل عوملت بطريقة أقل من حجمها ودورها، وهذه الاتفاقية خير نموذج على ذلك!!

ـ هذه الاتفاقية وقعت في مصر بطريقة مخالفة لدستور البلاد، أي أنها اتفاقية غير دستورية وغير قانونية، وذلك لأنه وفقاً للدستور المصري لا بدَّ وأن تعرض أية اتفاقية اقتصادية أولًا على مجلس الشعب (البرلمان) قبل التوقيع عليها، لأن للاتفاقات الاقتصادية التزامات مالية على الخزانة العامة للدولة سواء كانت خصماً أو إضافة إلى الرافد الضريبي والجمركي، وهو الأمر الذي لم يحدث مع هذه الاتفاقية حيث قامت الحكومة المصرية من خلال وزير التجارة (رشيد محمد رشيد) بتوقيعها مع الطرفين الأميركي والإسرائيلي دون عرضها على مجلس الشعب، الأمر الذي أثار عاصفة من الانتقادات الواسعة من أعضاء المجلس بمن فيهم أعضاء الحزب الوطني الحاكم ذاته بعد أن علموا بتوقيعها دون علمهم وحاولوا لاحقاً احتواء الموقف ولكن لا تزال القضية مثارة، وهو الأمر الذي يفتح الباب أمام الطعن بعدم دستوريتها ومن ثم إسقاطها وهو الإجراء الذي يسعى نفر من نشطاء حركة المقاطعة الشعبية ومقاومة التطبيع وبالتحديد (اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين ـ لجنة مصرية مستقلة) إلى الأخذ به من خلال رفع دعوى قضائية أمام المحكمة الدستورية العليا ضد هذه

الاتفاقية التطبيعية الخطرة والتي لا تقل سوءاً عن اتفاقية كامب ديفيد المصرية / الإسرائيلية (١٩٧٩).

* * *

المحور الثاني: مقاومة التطبيع: المسار والمصير:

- بداية نعني بـ (ثقافة المقاومة) لدى الشعوب وفي قلبها مصر، تلك الثقافة التي تعلي من قيم الاستنهاض والعزة والمواجهة لدى الأمة حين يحيق بها الخطر الذي يهدد وجودها، هي ثقافة تعني استنفار روح التحدي لدى الشعب، لدى النخبة، لدى مؤسسات المجتمع الأهلي، في مواجهة ثقافة أخرى للوهن، والاستسلام، يطلق عليها تارة اسم الواقعية، وأخرى اسم (السلام) وإيقاف العنف أو اتفاقيات التعاون الاقتصادي كما لاحظنا في اتفاقية الكويز المصرية الإسرائيلية كأحدث حلقات الاختراق والتطبيع.

في هذا الإطار كانت (ثقافة المقاومة) هي الأصل لدى شعوبنا العربية والإسلامية في مواجهة دائمة عبر القرون الماضية (تحديداً منذ صدر الإسلام) وهي كانت دائماً في حالة دفاع شرعي عن النفس في مواجهة الغزوات الخارجية التي تريد احتلال العقل والعقيدة بعد احتلال الوطن؛ والمتأمل للمحطات الرئيسية في مسيرة الـ ١٤٠٠ عام الماضية سيكتشف أن الأمة كانت في موقع الدفاع عن النفس ضد الهجمات القادمة من الغرب تريد افتراسها وتحطيم وجودها؛ وهي محطات بدأت بالتتار والمغول مروراً بالحروب الصليبية والاستعمار الغربي الحديث انتهاء بالغزوة الصهيونية والتي بدأت أوائل القرن الماضي (القرن العشرين) ولا زالت قائمة لأكثر من مائة عام في تحالف مصلحي عدواني مع الغرب وبخاصة الولايات المتحدة، عبر هذه (المواجهات) التي وصلت إلى قرابة العشرة قرون، تشكلت لدى الأمة تلك الثقافة الممانعة، ثقافة المقاومة، والتي كان عمودها الفقري «الإسلام»:

ديناً وقيماً وحضارة؛ لقد أضحى الإسلام هو الجامع لهذه الثقافة، ولهذا الوجود العربي ـ الإسلامي، وهو الذي أعطى الروح لهذه الأمة، فنهضت وانتشرت وقاومت وانتصرت.

في مواجهة هذه الثقافة: ثقافة المقاومة، كان هناك دائماً، ثقافة أخرى تدعو إلى (الوهن)، وإلى (القعود) بديلًا عن الجهاد والمواجهة وهي ثقافة كان يتولى دفنها بعض الحكام التابعين للآخر المهاجم، وبعض المثقفين والسياسيين والدعاة الذين ربطوا مصالحهم ومصيرهم وحياتهم بعجلة العدو الخارجي، وهم لذلك أنشؤوا له في قلوبهم وضمائرهم، قبل أن ينشئوا في بلادهم؛ مكاناً رحباً ليقيم فيه، ويتوغل، باسم (الواقعية) تارة أو السلام والحوار تارة أخرى، وكان هؤلاء لا يظهرون عادة إلا في أوقات المحن وضعف الأمة وغياب القيادات القادرة على المواجهة والجهاد.

ـ ثقافتان إذن في مواجهة بعضهما البعض، كانا هما ملخص المشهد التاريخي لأمتنا عبر الـ ١٤٠٠ عاماً الماضية: ثقافة المقاومة وثقافة (الوهن)؛ دارت حولهما ومن خلالهما المعارك، وتعددت الأسماء واللافتات، وفقاً لكل عصر، ولكنهما ظلتا ثابتتين: فدائماً كان هناك، وسيظل (حزب الله) و(حزب الشيطان)، الأول يرفع لواء المقاومة والجهاد، والثاني يرفع لواء الوهن والقعود والاستسلام.

ذلك كان هو المشهد، والمعادلة. عبر التاريخ، وهي ذاتها اليوم في قلب المشهد المصري (كنموذج للمشهد العربي)، ربما مع اختلاف الأسماء واللافتات، ولكن المضمون واحد.

في إطار هذا المشهد الدرامي؛ نتساءل أين (مصر) منه؟ ومصر التي نعنيها، هي مصر ـ الدولة، مصر ـ الدور، وليس مصر النظام السياسي الحاكم الذي ربط حاله ومصيره ومستقبله ـ للأسف الشديد ـ بشرايين

الدورة الدموية الأميركية في العالم، وكبّل أقدامه وأرجله بقيود المعونة الأميركية [حوالي ٢ مليار دولار] والتي تعود في أغلبها على من منحها في دورة شيطانية خطيرة؛ تعود مادياً تارة أو على هيئة منافع سياسية وعسكرية تارة أخرى.

والاهتمام بالسؤال: أين مصر من كل هذا نابع بالأساس من (محورية مصر) في عالمها العربي والإسلامي وليس لتعصب لها؛ فهي عاصمة هذا العالم، وهي جهازه العصبي (كما قال من قبل العالم الراحل جمال حمدان)، وهي إن نهضت، نهض وإن قاومت قاوم، وإن هزمت هزم ـ للأسف ـ مهما حاولت الأطراف أن تستفيق وتقاوم.

أين مصر من هذا الصراع الدامي بين الثقافتين؛ ثقافة (حزب الله)؛ حزب المقاومة، وثقافة (حزب الشيطان) حزب الوهن والاستسلام الذي سبق وفصلناه في المحور الأول من الدراسة والآن نسأل ماذا عن المحور الثاني للمعارضة محور مقاومة التطبيع والهيمنة في التجربة المصرية؟

* * *

في مواجهة الاختراق الأميركي/ الإسرائيلي لمصر، اصطف وعبر ربع القرن الماضي، فريق آخر مقاوم، حمل عن وعي وبإدراك مبكر راية المقاومة وثقافتها، وامتد نشاطه من الكلمة حتى حمل السلاح واستخدامه ضد رموز الخيانة، هذا الفريق اندرج فيه حوالي ٣٠ هيئة وحزب ومؤسسة اجتماعية مصرية وقطاعاً محترماً من أهل الحكم ممن رفض أو تحفظ على أسلوب الهرولة تجاه (التطبيع) مع العدو الصهيوني أو الترويج لثقافة السلام الوهمية التي أرادت أميركا أن تخترق بها مصر الدولة والدور، ومنذ خطت أقدام السادات أرض القدس عام ١٩٧٧ التقى المناضلون المصريون عبر هيئات اجتماعية وأحزاب وطنية بهدف مقاومة هذه الهجمة الشرسة التي يقودها رأس الدولة ذاته، فما كان منه إلا أن سجن ١٥٣٦ سياسياً وإعلامياً معارضاً

يوم ١٩٨١/٩/٥، بسبب أنشطتهم المضادة لخطه الاستسلامي، وبعد شهر واحد من هذه الاعتقالات الشهيرة تم تصفية السادات جسدياً على يد خالد الإسلامبولي ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٩٨١/١٠/٦ وسط جنوده وسلطانه ومجده، وكان لأحزاب (التجمع) و(العمل) والناصريين ونقابات المهندسين والأطباء والمحامين والصحفيين وللجماعات الإسلامية وبخاصة الإخوان والجهاد والجماعة، آنذاك أدوار مجيدة في الدفاع عن ثقافة الوطن وهويته ورفعت جميعها راية المقاومة في مواجهة راية الصهينة، ومع تصاعد الحملة الأميركية الإسرائيلية خلال العشرين عاماً الماضية على الجسد المصري، تشكلت عشرات اللجان الشعبية المقاومة والتي مثلت جداراً منيعاً ضد الاختراق والغزو من ناحية وأداة لدعم ومساندة المقاومة في لبنان وفلسطين من ناحية أخرى، ومن أبرزها [اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان ـ اللجنة الحزبية لمقاومة التطبيع ـ الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ـ لجان دعم الانتفاضة الأولى والثانية ـ لجان مقاومة التطبيع الزراعي ـ الجبهة الوطنية لمقاومة المشروع الأميركي الصهيوني ـ لجنة مناهضة الصهيونية ـ لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ـ اللجنة العامة لمقاطعة السلع والشركات الأميركية والإسرائيلية وغيرها] واستعملت هذه اللجان جميع وسائل المقاومة بدءاً بالمظاهرة والدعم المادي للمقاومة ومروراً بالصحف والمؤتمرات والندوات وغيرها.

وتوازى مع أنشطة هذه اللجان التي لا تزال تعمل بفاعلية حتى اليوم، الفعل العسكري المسلح حين أنجبت مصر [سليمان خاطر وأيمن حسن ومحمود نور الدين قائد تنظيم ثورة مصر] الذين قتلوا في الثمانينيات عبر العمل المسلح ما يقرب من العشرين إسرائيلياً كانوا يعيثون في مصر فساداً وكانت آخر حلقات الفعل المسلح ضد الإسرائيليين حادث طابا في نهاية ٢٠٠٤، وكان للصحف المعارضة وللكتب الوثائقية والأفلام والمناظرات

وللفضائيات دورها الإيجابي في تصعيد وإشاعة ثقافة المقاومة في مصر (وقطعاً في بلادنا العربية) في مواجهة ثقافة الصهينة والاستسلام.

* * *

واليوم التحديات القادمة بعد ثلاث سنوات، غزو العراق أميركياً كبيرة وهي تحتاج إلى يقظة وبخاصة ما يتصل منها بالمؤامرة على حزب الله وسوريا والقوى المقاومة في فلسطين، إنها تحديات تحتاج إلى الإمساك وبقوة براية المقاومة، والمقاومة تحتاج إلى شعوب حرة، ومن هنا تلازمت سواء في مصر أو في بلادنا العربية رايات الدفاع عن الديمقراطية ومقاومة الاستبداد مع رايات ثقافة المقاومة والجهاد، «**لأن المستبد لا يقاتل والعبيد لا يقاومون**» ولا تزال المعركة مستمرة، وأبوابها مشرعة على كافة الاحتمالات بين أنصار (حزب الله): حزب المقاومة على اتساعه وأنصار (حزب الشيطان): حزب الوهن والاستسلام أيضاً على اتساعه.

ونحسب أن التأمل الجاد في تجربة انتصار حزب الله ودروسها الجهادية البليغة وعلى رأسها الترتيب الصحيح للأولويات، والثقة في نصر الله، والتضحية بأعز ما نملك في سبيل المبدأ ومن أجل الانتصار. هذه المبادئ نحسبها تجسدت كقيم تاريخية ثابتة أمام أنظار كل المقاومين للتطبيع ومشاريع الهيمنة في عالمنا العربي والإسلامي وفي القلب منه (مصر) وما قصة التطبيع الطويل بين الحكومة المصرية والكيان الصهيوني بدورها منذ العام ١٩٧٩ وحتى اليوم وبآثارها السلبية المريرة على الإنسان والاقتصاد والثقافة، وعلى الدور الريادي ـ المفترض لمصر ـ سوى الوجه الآخر لمن قبل بغير المقاومة سبيلًا.

إن حركة مقاومة التطبيع في مصر، حاولت أن ترفع عن كاهل (مصر ـ الدولة) أوزار وأثقال هذا التطبيع، فنجحت رغم صعوبة المهمة، نجحت في أن تحول دون أن يكتسب هذا التطبيع رغم الرعاية الرسمية له، شرعية

الوجود وسط الشعب، ولا يزال الإسرائيليون يخشون مجرد السير في شوارع القاهرة، ولا يزال المطبعون من الإعلاميين والسياسيين والاقتصاديين (وما أقلهم) لا يجرأون على إعلان تطبيعهم في مجلس خاص أو عام، وإذا حدث فإنه يتصرف وكأنه أتى بفعل فاضح على قارعة الطريق، هذه المقاومة للتطبيع كان لحزب الله بانتصاره النقي غير المكبل بقيود كامب ديفيد ووادي عربة وأوسلو وآثامهم؛ أثره الإيجابي على تصعيدها وإن بالمعنى النفسي والإيحائي، وكان التفاعل الإيجابي مع قيم العزة والكرامة التي رسختها المقاومة الإسلامية اللبنانية وقياداتها المجاهدة وعلى رأسها السيد حسن نصر الله، وهو تفاعل لا يزال قائماً بصور وتعبيرات شتى، وقلما نجد إجماعاً مصرياً (شعبياً أو نخبوياً أو حتى رسمياً) على قيادة عربية سياسية مثلما هو الإجماع على السيد حسن نصر الله، وعلى حزبه ومقاومته. إنها روح المقاومة تسري في عروق وقلوب شعبنا العربي، وهي (روح) كلما كانت صادقة، كلما كان حجم انتشارها وتأثيرها أوسع، وهو عين ما فعله حزب الله، وعين ما تلقفته وتفاعلت معه حركة مقاومة التطبيع في مصر بكل أطيافها السياسية والاجتماعية. والله أعلم.

تعقيبات ونقاشات المحور الأول

هاني فاخوري ـ ندوة العمل الوطني ـ:

بالنسبة للدكتور طلال عتريسي، أظنّ أنّ نقطة الضعف هي التالية: إنّ المشروع العربي بدأ مشروعاً واحداً تقريباً ثمّ تحوّل إلى مشاريع مختلفة ومتناقضة، بينما الجانب الصهيوني بدأ مشاريع صهيونيّة مختلفة، فتحوّل إلى مشروع صهيوني تقريباً موحّداً.

بالنسبة للدكتور جمال البنّا، على ما أظنّ أنّ المقاومة شيء والجهاد في الإسلام شيء آخر، المقاومة بنْت الظلم سواء أكان هذا الظلم واقعاً على مسلم أو مسيحي أو بوذي أو كاثوليكي أو غيرهم، ولقد أعطى السيّد حسن نصر الله مثلًا على المقاومة في فيتنام، وهي ليست دولة مسلمة، لكنّها وقعت تحت الظلم الياباني ثمّ الظلم الفرنسي ثمّ الظلم الكبير الأميركي، والجدير بالذكر أنّ أحمد بن بلا تعلّم كثيراً من الثورة الفيتناميّة عندما كان ضابطاً في الجيش الفرنسي الذي يقاتل في فيتنام، وحتى لا نبعد كثيراً، في فلسطين يوجد هناك مجتمع عربي مسلم ومسيحي يقاوم في المهد وفي رام الله في أم الفحم وفي بقيّة المناطق، وأكبر دليل على أنّ المقاومة بنْت الظلم في لبنان، إنّ المجتمع اللبناني مجتمع تعدّديّ يمتلك ألواناً مختلفة من الطوائف وكلّها تقريباً تسلّم بأنّ المقاومة حقّ مشروع للشعب. وشكراً.

يوسف غزّاوي ـ رئيس المكتب السياسي لحركة الناصريين المستقلين (المرابطون)ـ

من الطبيعيّ أنّ مؤتمرنا اليوم هو «ثقافة المقاومة»، والمقاومة هي في

الوطن العربي حققت انتصارات هائلة أمام الاستعمار برؤوسه الثلاثة: أميركا، فرنسا وبريطانيا القاعدة العسكريّة في قلب الأمة العربية: إسرائيل.

ماذا حقّقت المقاومة الآن؟

أوّلاً: لقد حقّقت توازن رعب مع القاعدة العسكريّة للكيان الصهيوني المتمثّل بالدول الاستعماريّة الثلاث.

ثانياً: حقّقت المقاومة إنهاء حلم إسرائيل لإقامة دولتها من النيل إلى الفرات.

ثالثاً: لقد أنهت دور هذه القاعدة كقاعدة إسرائيليّة تهدّد أي بلد عربي يتمرد على أميركا في هذه المنطقة. إذن فالمقاومة حقّقت الكثير. وإسرائيل تبحث عن دولة لا عن حدود، كما أنّ المقاومة أنهت دور هذا الكيان كدولة بلا حدود. فهذه المقاومة التي أنهت دور هذه الجيوش وأجبرت التحالف الدولي بزعامة أميركا وبريطانيا وفرنسا النزول في العراق لمواجهة المقاومة في لبنان وقالوا سوف نغيّر دور هذه المقاومة في لبنان وفلسطين. وشكراً.

الشيخ شفيق جرادي:

أغتنم الفرصة للترحيب بالدكتور الكبير جمال البنّا وهو أخ للإمام الشهيد حسن البنّا، وأرحّب به في بلده الثاني لبنان، وهنا أودّ أن أطرح السؤال التالي:

ما أنشأه حسن البنّا كمؤسّس أوّل لكلّ حركة إسلاميّة جاءت فيما بعد، وحصل من بعده ما فيه حديث عن بُعد ثقافي من رحِمِه كانت نشوء الوجه الأشدّ للحركات السلفيّة التكفيريّة ـ على الأقلّ هكذا يدّعي ـ وفي نفس الوقت أيضاً نشأ فكر أمثال سيّد قطب أو فكر الهضيبي في «دعاة لا قضاة»، إلى اليوم المجتمع المصري فيما نراه ونحن في هذا المؤتمر أظنّ أنه ليس

خاصّاً بالتجربة اللبنانيّة وحدها، وموضوع المقاومة وثقافة المقاومة هو شأن أعمّ، فالمجتمع المصري في أعلى ما وصل إليه وهو أمر مجيد من ممانعة للعلاقة مع الكيان الإسرائيلي سواء في إطار حياته الأهليّة أو الاقتصاديّة في بعض وجوهها يبقى السؤال حاضراً:

لماذا لم يتحوّل هذا المجتمع إلى مجتمع مقاوم بشكل فعلي للوجود الإسرائيلي والتمركز الإسرائيلي السياسيّ ولعلّ غير السياسي في بلد عريق كمصر، سؤالي بعيداً عن المناخ السياسي البحت، هل هناك أبعاداً ثقافيّة خاصّة تحتضنها تجربة حسن البنّا كمؤسّس فيما نشره من قيم إسلاميّة وممانعة ومقاومة في المجتمع المصري؟ هل لها دخالة لأن يكون السقف الموجود لمثل هذا التصدّي هو الممانعة والممانعة فقط، أو هناك انحراف ـ لا سمح الله ـ عن الفكر الثقافي المقاوم لحسن البنّا؟

أخيراً: أودّ أن أسأل: هل توجد إرهاصات في إطارها الثقافي والعقيدي تنبىء عن أنّ التجربة المصريّة قد تخرج من إطار النزاع الوطني ـ الوطني الداخلي لمقاومة ومقاربة المقاومة مع الكيان والعدو الاستكباري الإسرائيلي والأميركي، أو أنّنا على مسافة بعيدة عن ذلك؟ وشكراً.

علي نور الدين ـ الجامعة اللبنانية / كلّيّة الآداب ـ:

بداية أهنّىء القيّمين على هذا المؤتمر بهذه الجهود الجبّارة من أجل إنجاحه، كنت أتمنّى لو كنت من المحظوظين بالمشاركة في أبحاثه من خلال أبحاثنا مثل «ثقافة المقاومة: نهج وحياة وأسلوب عمل» أو «ثورة القصيدة الثورة الدائمة».

ولكن بما أنّ الشعر هو الجذوة الأولى لكلّ ثورة ولكلّ مقاومة، أودّ أن أنشد هذين البيتين بالمناسبة من قصيدة لي بعنوان «ملاحم النصر»:

النصر كبّر خفّاقاً على الشهب نصر الجنوب فتيهي أمّة العرب

من مثلنا اليوم كأس النصر نشربها ... وقد سقينا العِدى مُهلًا على الحِقَبِ
لاذوا فراراً وما في الفرّ من فرجٍ ... أين المفرّ وجند الله في الطلبِ
بوركت نصرك نصر الله مشتملًا ... راي المزارع في شبعا على كُرُبِ
لا يرضى عزمك شطر الأرض مفخرة ... وفي المزارع شطرٌ يهفو للقُضُبِ
فاضرب عدوّاً بإذن الله قاهره ... قد أمكنتك كؤوس النصر فانتخب
واخطر بسيفك في كلّ البلاد فلا ... يحلو الحديث لغير الصارم الذّرِب
باراك هرول ذاك الأمس مشتملا ... واليوم دورك يا أولمرت فارتقب

أكرم ياغي:

أريد أن أضيف إلى ما قاله الدكتور البنا في مقاربته بين الجهاد والمقاومة، لأشير إلى أن المقاومة أوسع باعتبارها لا تحتاج إلى إعلان أو إلى فتوى، بينما الجهاد يحتاج إلى إعلان وإلى فتوى. والجهاد أنواع، وبالتالي الوجوب فيه مرة يكون عينياً وأخرى كفائياً، في حين أن المقاومة ليست ملقاة على عاتق فرد أو أشخاص معينين. المقاومة في لبنان استجمعت مختلف الاتجاهات والتيارات، إضافة إلى أنها استلهمت كل التجارب التي من حولها. ولا ننسى أن كوبا بقيت ٤٥ سنة من الحصار والممانعة وهي في فم التنين.

وليد محمد علي:

أنا أعتقد أنّ المقاومة بدأت منذ أن كان ظالم ومظلوم، لكنّ الخلط في أنّ الجهاد نمطين ومستويين: جهاد البدء، وجهاد الدفع.

جهاد البدء يحتاج استكمال مقوّمات مشروع تنموي ونهضوي وله أسس ومبادئ.

لكنّ المقاومة هي جهاد الدفع، وهي ليست بحاجة إلى فتوى ولا إلى أي عامل من العوامل، فالدفع فرض على كلّ إنسان مظلوم أن يدفع الظلم،

وهذا كلنا نقوم به. وهذا الخلط بين جهاد البدء وجهاد الدفع هو الذي خلق الإرباك في ورقة الدكتور جمال وخلق الحوار بين الفكر الذي تولد: الفكر التكفيري الذي يعتقد بتكفير المجتمع وهو ملزم بجهاد البدء وهو الذي أحبط عند الآخرين أو أجل عند الآخرين جهاد الدفع وهو المقاومة، إذن نحن نعيش مرحلة جهاد دفع وهي مقاومة الظالمين، ونحن كنّا ولا زلنا نعيش في فترة ظلم منذ فترة طويلة، ومن واجب الجميع مهما كانت عقيدتهم أو ملّتهم أن يساهموا إذا كانوا مخلصين لهذه الأمّة في الدفاع عنها. وشكراً.

نبيل قسطنطين ـ عضو مجلس الأخصّائيين في المركز التربوي ـ:

يشرّفني أن أمثّل المركز هنا، وقبل أن أبدأ بمداخلتي أودّ أن أنتهز الفرصة لأهنّىء اللبنانيين والعرب بالنصر الكبير الذي حققته المقاومة، ومن ثمّ أريد أن أقول كلمتين عن موضوع فهم الآخر، وهي قضيّة هامّة جداً. إنّ فهم الآخر في التربية لا يمكن أن يكون إلا من معرفة الآخر معرفة واعية، معرفة بحياته وعاداته وتقاليده وثقافته، وبالمقابل على الآخر أن يفهم الآخر المقابل بنفس مستوى المعرفة حتى يكون الحوار بين الاثنين حواراً متوازناً يمكن أن يؤدّي إلى نتيجة.

باختصار في لبنان حتى يكون هناك ثقافة مقاومة يجب أن ننطلق من نظام تربوي مقتنع بها ويدخلها في مناهج التربية كما قال سماحة السيّد حسن نصر الله حتى يصبح الجميع في لبنان يتحدّثون بلغة واحدة، حتى يتمكن المعلم في المدرسة والبيت من الحديث بلغة واحدة. وأعتقد هنا أن الربط مهم جداً بين الثقافة الدينية وثقافة المقاومة، ونحن في لبنان بما أننا مجتمع متعدد ومتنوع ـ ومن المستحسن اعتماد عبارة متنوع ـ ومتكامل، أعتقد أنّنا بحاجة لبناء نظامنا التربوي على مجرى الثقافة الدينيّة لا تشمل فقط الديانات السماويّة، بل مجرى الدين منذ فجر التاريخ لنصل إلى يوم يصبح فيه الطالب ـ عندما نتمنى أن يكون مواطناً صالحاً ـ واعياً لكلّ معنى

الدين وأن كل الديانات تؤدي إلى مكان واحد وإلى إله واحد هو الإله الذي نعبد جميعاً، أتمنى أن نركز في هذا المؤتمر على أن تكون ثقافة المقاومة من المناهج التربوية، وشكراً.

جميل قاسم ـ دكتوراه في الفلسفة وأستاذ في الجامعة اللبنانيّة ـ:

عند دخولي في مزايدة اصطلاحية تبيَّن لي أن مفهوم المقاومة بالمعنى الدلالي هو مفهوم سلبيّ وليس إيجابيّاً، فالمقاومة هي ردّ فعل على وجود احتلال نقوم بمقاومته وتستدعي الظروف ذلك ولا شكّ، ولكنّنا بسبب هذه المعادلة لا نجد أنفسنا فقط في موقع ردّ الفعل بل إنّ الآخرين يضعون في هذا الموقع ويشدّدون ويصرّون عليه، ويطالبون المقاومة الآن بنزع سلاحها، لماذا؟

لأنّهم يعتبرون أنّ مرحلة المقاومة انتهت بتحرير جنوب لبنان، وبرأيي إنّ المقاومة ليست كافية، لأنّ مشروع المقاومة ليس فقط تحرير الجنوب، نحن في لبنان جزء من أمّة عربيّة تبحث عن مشروع يحقّق لها المشروعيّة، وقد تحدّث الدكتور عتريسي عن مهامّ أخرى كمهمّة التنمية ومهمة الوحدة، ومهمّة الحرّيّة والديمقراطيّة.

إذن علينا أن ننتقل من مفهوم المقاومة إلى مفهوم الكفاح الشامل والشموليّ، وهذا يستدعي منا نظرة ذات بعد استراتيجي وسياسي اقتصادي، والدليل على ذلك أن شمعون بيريز ـ على سبيل المثال ـ في كتابه الشرق الأوسط الكبير كان يعتبر أن إسرائيل تستطيع أن تحقق بالاقتصاد ما لم تحققه بالحرب، إذن علينا أن نعد أنفسنا لنطور هذا المفهوم من مفهوم المقاومة إلى مفهوم الكفاح لأننا جزء من حركة تحرر عربية بل جزء من حركة تحرر عالمية.

وأشدّد أخيراً على مسألة الخطاب السياسي لقد أعطانا السيّد حسن

درساً في علم الاستراتيجيا، ولكن علينا أن نطوّر خطابنا في المعنى السياسي والاستراتيجي، مثلًا بعض الشعارات كشعار «الموت لأميركا» علينا أن لا نستعمل هكذا شعارات لأنّها تسِمنا بالإرهاب، فعلينا أن نمتلك خطاباً للذات وللآخرين لأنّنا جزء من حركة التحرّر العربيّة وحركة التحرّر العالميّة وهذه الحركة موجودة حتى في أميركا. وشكراً.

الشيخ فضل مخدر:

سؤال موجّه إلى كِلا الضيفين معاً:

ما هي أولويّات المثقّف في مواجهة هذا الكمّ أو المجموع من التحدّيات في إطار الهويّة الدينيّة من جهة وفي جدليّة القوة والضعف؟

الإجابات

الدكتور جمال البنّا:

كان أوّل استفسار أو سؤال عن أنّ المقاومة ليس شرطاً أن يكون لها دين أو مقصورة على الإسلام وضرب مثلًا عن فيتنام لأنّها تكون ضدّ الظلم، ما أريد أن أقوله هو أنّ أي مقاومة للظلم هي صميم الإسلام، لأنّ طابعه الرئيسي هو العدل، فأي مقاومة وأي انتهاك للعدل يعدّ انتهاكاً للإسلام، ففي حقيقة الحال ليس هناك اختلاف، لأنّ الظلم سواء كان في فيتنام أو في فلسطين أو في لبنان هو معادٍ لكلّ الأديان وبوجه خاص للإسلام. فكون أنّ المقاومة تحدث في دولة غير إسلاميّة ليس معنى هذا أنّها تختلف عن الإسلاميّة، فمن الممكن أن تتوافق مع بعضها البعض.

الأخ الكريم الذي سأل عن الأستاذ حسن البنّا رحمه الله، يُذكر عنه أنّه فعلًا كان الأوّل الذي تنبّه إلى ضرورة مقاومة الخطر البازغ في فلسطين من

سنة ١٩٣٦، فعندما بدأ يكوّن ما أُطلِق عليه النظام الخاص وقد أسيء فهم هذا التكوين إنّما أراد به أن يوجد قوّة شعبيّة قويّة يمكن أن تتصدّى للعدوان الإسرائيلي عندما سيظهر، وكان هذا في أواخر ١٩٣٦ وهو تاريخ الثورة الفلسطينيّة الكبرى التي استمرّت تسع سنوات تقريباً واستمرّ المدّ الفلسطيني لغاية أواخر الأربعينات عندما بدأ ظهور إسرائيل في تلك الفترة كان الأستاذ البنّا يُعِدّ المتطوّعين الذين يذهبون إلى فلسطين ليحاربوا إسرائيل. وفي ديسمبر سنة ١٩٤٨ كان يتفقّد المتطوّعين في فلسطين وهم كانوا القوّة الوحيدة التي أرهبت العصابات الإسرائيليّة كما كان يقال. فكانت فكرة حسن البنّا أن يجهّز المقاومة في فترة مبكّرة جداً ليس فحسب في فلسطين لكن أيضاً لمصر لأنّه كان يعلم أنّ في مصر ثمانين ألف جندي بريطاني يحتلّون قناة السويس والمدن المصريّة وكان لا بدّ لهم من نزال وحساب وتصفية وظهرت آثار ذلك في سنة ١٩٥١ عندما ألغيت المعاهدة التي كانت تربط مصر ببريطانيا، وبدأت المقاومة في قناة السويس وظهرت أيضاً بطولات من الإخوان المسلمين.

للأسف الشديد إنّ التجربة المصريّة لا تصلح للآن أن تكون مثالًا لأنّ عوامل قاهرة قويّة حدثت لها وبشكل سريع جداً، ولأنّ أيضاً الاستشهاد في وقت غير منتظر وغير متصوّر، وعندما كان حسن البنّا في قمّة العطاء غيّر الحسابات كلّها وبدأ الحكم العسكري في مصر الذي وضع خطة لمقاومة الاتّجاهات السياسيّة، هذا هو نفسه التوجه الذي تبنته كلّ الحكومات العربيّة تجاه المد الإسلامي، فتغيّر الجوّ وتلوّث بحيث لا يمكن أن يُصلح إلا بعهد جديد.

أخيراً: في التربية يجب أن نبتعد عن قول الموت لأميركا، لأن هذا من النظام الإسلامي، عندما كانوا يقولون للرسول ﷺ: ادع على ثقيف، قال: «اللهم اهدِ ثقيفاً، ما خلقت لعّاناً ولكن خلقت هادياً». طبعاً علينا أن نكون في

عملنا كلّه إيجابيين خيريين قدر ما يمكن لا سلبيّين، وفي وصايا الأديان جميعاً «صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك»، هذا من الأدب ولا يمنع من الكفاح ولا من الجهاد وإنّما هو من أدب الجهاد في حقيقة الحال.

الدكتور طلال عتريسي:

أريد أن أشكر الأخ العزيز الأستاذ هاني على الملاحظة حول بداية المشاريع وتحوّلاتها اللاحقة التي أصبحت نقاط ضعف هنا ونقاط قوّة هناك، ولكنّي كنت أحاول التركيز على وجهة نظر أساسيّة كانت تحمّلنا دائماً وتطارد الذات وهذه وجهة نظر ظالمة وأعتقد أنّ ما تفضّلت به يصبّ في نفس الإطار.

النقطة الثانية التي تفضّل بها الدكتور قسطنطين، أنا أوافق تماماً على أهميّة معرفة الآخر وفهم الآخر إذا كان عدواً بالدرجة الأولى أو إذا لم يكن عدوّاً إذا كان شريكاً أو صديقاً أو مواطناً علينا أن نفهم هذا الآخر تماماً إمّا لنعيش معه بشكل حقيقي وإمّا لكي نواجهه بشكل حقيقي.

وعلى مستوى المناهج هي نقطة مهمّة ومتطوّرة وجديرة بالبحث والدراسة، كيف يمكن أن تكون ثقافة المقاومة وهي ثقافة تربويّة في مناهج التربية، نحن الآن في كتب التربية والتاريخ والجغرافيا تحتلّ إسرائيل ما نسبته ١٠.١٪ إلى ١٥.١٪ من مجموع الدروس في هذه الكتب، وهي دراسة قام بها بعض الطلاب عندنا في الجامعة. وهذه المسألة تحتاج إلى إعادة نظر فعلًا إذا كنّا نريد أن نبني ثقافة المقاومة بشكل عام.

أمّا السؤال الأصعب الذي طرحه فضيلة الشيخ ما هي أولويّات المثقّف؟ هو سؤال صعب ويحتاج لبحث كبير ولكن على الأقل في العناوين الأساسيّة أعتقد أنّ من أولويّات المثقّف في مواجهة التحدّيات أن يكون هو جزء من هذه التحدّيات وفي صلب واقع التحدّيات وليس بعيداً أو منعزلًا أو

في برجٍ عاجي لأنّ أي فكرة إذا لم تقترن بالعمل والارتباط والقضايا الحياتيّة والمصيريّة للناس لا أعتقد أنّ لها قيمة كبيرة، وكل مثقّف من موقعه وخبرته وارتباطه يمكن له أن يقدّم الأفكار والنقد والاقتراحات والتصوّرات أعتقد أنّ هذا يمكن أن يساهم في مواجهة التحدّيات المختلفة. وشكراً.

علي نور الدين:

بالنسبة للدكتور مصطفى: إنّ العولمة التي تحدّثت عنها الأولى أن تسمّى البلعمة (بلع العالم)، وعلى حلف المستضعفين الذي تحدّثت عنه أن يتقن تماماً فنّ ثقافة المقاومة.

سؤال للدكتور أدونيس: انطلاقاً من قول الشاعر:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

كيف تقوّم تجربتك مع السلطة لقمع حرية التعبير في إغناء ثقافتك المقاومة، وبالتالي انعكاس ذلك على الثقافة المقاومة لدى المجتمع؟ وشكراً.

فؤاد الزين ـ مجلة العرفان ـ:

سؤال للدكتور أدونيس: لقد ذهب بعض أنصار القرار ١٥٥٩ أن يستعملوا منطق قرار الحرب والسلم بالنسبة للدولة، أنّه يجب أن يكون محصوراً بالدولة، علماً أنّ المقاومة هي دفاع ضدّ المحتلّ، ما هو ردّكم على هذا المنطق؟ وشكراً.

نبيلة صعب فتح الله ـ مديرة تنفيذيّة سابقة في جامعة الدول العربيّة ـ:

إنّ هويّة المقاومة المستمدّة من الإيمان العميق والهدف الواعد الشريف، والمتأصّلة في النفوس والتربية والنهج في الحياة، هي التي تعطيها القوة الجبّارة التي تخيف أقوى سلطة جبّارة مدجّجة بأقوى الأسلحة والعتاد،

إلى متى ينتظر العرب لوضع استراتيجيّة عربيّة للمقاومة طالما أنّ الهدف واحد وهو محاربة عدوّ وهو إسرائيل، فإذا لم تجمع العرب المصالح، ألم يحن الوقت لها أن تجمعهم في المصائب ضمن جامعتهم العربيّة، وما الذي يعيق وضع هذه الاستراتيجيّة العربيّة للمقاومة في رأيكم، وهل هناك من طريقة لجمعهم رغم ثروة المقاومة البسيطة الطبيعيّة والصافية التي تخيف العدوّ؟ وشكراً.

توفيق العبد ـ أستاذ في معهد العلوم الاجتماعيّة في الجامعة اللبنانيّة ـ:

سؤالي موجّه للأستاذ العزيز أدونيس عكرا: هو يقول: إنّ المسألة لم تظهر إلا بعد مسألة الديمقراطيّة لم تظهر بصورها الجليّة إلا بعد صدور الوصول إلى العقد الاجتماعي في الغرب الأوروبّي في مطلع القرن الثامن عشر، أحبّ أن أؤكّد معه على مسألة أنّها جاءت متأخّرة جداً في الغرب، وعندما نريد أن نحكي في مسألة الديمقراطيّة وحرّيّة الإنسان نعود إلى كونفوشيوس وإلى زرادشت، وصولًا إلى الحركة الإصلاحيّة في اليونان ومن ثمّ تجلّت في عهد النبوّة ومن ثمّ في الإسلام على زمن الرسول، وحكّام وخلفاء المسلمين الأوائل، المسألة لم تكن الوافية بالحديث إلى المجتمع الإنساني، وعندما نرى حاكماً يقول: أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، وفي رسالة الإمام علي عليه السلام إلى مالك بن الأشتر وهي دليل كامل للحاكم والمحكوم ومنهج لسلوك الرعيّة، أعتقد أنّ الغرب كان لا زال يشتغل إلى أن وصلنا إلى أميركا واوروبا، كيف يمكن أن نرى أنّ هناك ديمقراطيّة في مجتمع كالمجتمع الأميركي عندما يذهب الغرب الأوروبّي إلى أميركا ويبيد ٨٠ مليون من البشر، وينهيهم عن وجه الأرض، ومن ثمّ عندما يوالي الغرب الأوروبّي بنقل ٦٠ مليون زنجي من أفريقيا على دفعات آخر دفعة كانت ١٨٤٨ في الجزيرة المقابلة للسينيغال التي كانوا يعرفونها بجزيرة الرحيل وهذه المسألة اليوم نراها في تنظيرهم لعلم اجتماع خاص في

التنظير الأوروبي، وهذه الديمقراطيّة التي نتغنّى عنها والوافدة حديثاً من الغرب جاءت متأخّرة جداً، ولم يكن همّ الغرب إلا الإنسان الغربي. وشكراً.

محمد فقيه:

إنّ من أحد معاني «ثقافة المقاومة» أنّه لا وعي سياسي بدون وعي تاريخي، أنا أرى أنّه ليست المقاومة هي وليدة الديمقراطيّة وحسب، بل هي وليدة شخصيّات تاريخيّة لبنانيّة، وأوّل من أنذر بالخطر الصهيوني هم أشخاص لبنانيون، وبالدقّة هم مسيحيون، وأوّل من كتب في العالم العربي عن الصهيونيّة اسمه بولس عبّود خوري من جبيل عام ١٨٩٨ ثمّ نجيب عازوري عام ١٩٠٥، فمن أنذر بخطورة الصهيوني لم تكن حركات إسلاميّة، لا بل السبّاقون هم رجال مسيحيّون، حتى أنّ الخطر الصهيوني قرأه الطلاب العرب الذين هاجروا في القرن الثامن عشر، ودرسوا في أوروبا، والخطر الصهيوني كتبه المفكّرون الغربيّون، والمشروع الصهيوني كُتِب في أوروبا، لذلك أنا أرى ضرورة قراءة هذه الشخصيّات. وكنت أتمنى من الدكتور معتصم أن يثقّفنا عن تاريخ المقاومة العظيم في المغرب وخاصّة تجربة عبد الكريم الخطابي في مقاومة الأرياف. وشكراً.

هاني فاخوري:

قال الدكتور جمال البنّا: إنّ الثورة الفيتناميّة ليس معنى ذلك أنّها ضدّ الإسلام، أنا لم أقصد أنّ المقاومين ضدّ الظلم أنّهم يكونون ضدّ الإسلام، إنّن الله قال في حديثه القدسيّ: «يا عبادي إنّي حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً» قال: يا عبادي ولم يقل للمسلمين فقط.

سؤال للصديق العزيز: هل تعتقد أنّ العقد الاجتماعي بين الأفراد في لبنان موجود، أم أنّ الفرد في لبنان لا يستطيع أن يكون مواطناً طائفيّاً إلا عبر طائفته أو عبر مذهبه؟

ألا تعتقد أنّ حزب الله والتيّار الوطني الحر عندما عقدا هذا الميثاق اخترقا الصيغة اللبنانيّة وجعلا العقد بين الأفراد اللبنانيين من الإطارين يعقدون شبه عقد اجتماعي تأييداً للمقاومة ومساهمة في إحياء الديمقراطيّة الحقيقيّة في لبنان؟ وشكراً.

جميل قاسم:

أنا أرى وبصراحة أنّه ليس ثمّة وجود لعقد اجتماعي في لبنان ولا ديمقراطيّة، هناك عقد طوائفي ونظام بطركيّ أبويّ ما زلنا نعاني منه منذ تكوين دولة لبنان الكبير، أرى أنّ من مهمّة ثقافة المقاومة بل ثقافة الكفاح كما سمّيتها على الصعيد اللبناني أن تنقلنا من العقد الطوائفي إلى العقد الاجتماعي الحقيقي، العقد الديمقراطي القائم على فكرة المواطنيّة التي جاءت بها شرعة حقوق الإنسان وفلسفة الأنوار، ولهذا يؤسفني أنّ الشقيقة سوريا قد جعلتنا نستخدم مصطلح الاحتلال السوري لأنّها تصرّفت كالمحامي السيّئ لقضيّة عادلة، فلو كانت سياستها صحيحة لما استخدمنا هذه المصطلحات، ونحن بحاجة إلى عقد اجتماعي لبناني وعربي ولماذا لا يكون لدينا اتّحاد عربي كونفدرالي كالاتّحاد الأوروبي، ويكون لدينا برلمان عربي موحّد وسوق عربيّة مشتركة، وعملة عربيّة واحدة،فمهمّتنا في لبنان هي قيام حركة ديمقراطيّة تستكمل مشروع الحركة الوطنيّة لإقامة حكم وطني ديمقراطي يقوم فعلًا على فكرة الديمقراطيّة والعقد الاجتماعي. وشكراً.

الإجابات:

الدكتور مصطفى المعتصم:

في البدء قال الدكتور جميل قاسم في مداخلته الأولى، قال مسألة غاية في الأهمّيّة، وهي قضيّة الخطاب الذي يجب أن نستعمله كعرب

وكمسلمين وكمقاومين، أعتقد أنّ في العلاقات مع الحركات التحرّريّة واحدة من المشاكل التي يمكن أن تواجه حركة المقاومة العربيّة الإسلاميّة هي مسألة الخطاب، فداخل حركات التحرّر العالميّة اليوم هناك تأثير يساري، وعلاقة اليسار باليهود علاقة تاريخيّة، فبدل القول سنعمل على تدمير إسرائيل نقول مثلًا يجب العمل على تطبيق الشرعيّة الدوليّة أو نطالب بدولة ديمقراطيّة وبعودة اللاجئين، فمثل هذه المطالب العادلة وهي أممية يمكن أن تفتح آفاقاً للتلاقي والتحالف بين حركة المقاومة العربيّة وحركة التحرّر العالميّة خصوصاً في أميركا الجنوبيّة وأوروبا.

بالنسبة للدكتورة نبيلة، للأسف الشديد بدل أن ينتبه الحكّام إلى شعوبهم ويعيدوا المصالحة مع شعوبهم، بدأوا بنوع من المقاومات وفي بيئة غير صالحة تتقوقع على نفسها وهذا هو ما يجري اليوم في الأنظمة العربيّة التي أصبحت تحاول أن تجد المبرّرات لشعوبها ولمصادرة الديمقراطيّة كما يحدث اليوم في مصر وغير مصر.

بالنسبة لما قاله الأخ حول الخطر الصهيوني وأشار إلى أنّ المسيحيين كانوا سبّاقين، أنا في الأيام الأخيرة تابعت حواراً بين يهوديين يساريين تقدّميّين وكنت أتمنى أنّ حزب الله يستقبل جيفري بلاكفورد لأنّه أكثر جرأة على التصدّي للمشروع الصهيوني، فهو يعتقد أنّ المشروع الصهيوني هو الذي يقود اليوم الولايات المتّحدة الأميركيّة، والصهاينة المسيحيّين أو الأميركانيين نحو الهيمنة واعتبر أنّ استعمار العراق أو الحرب المحتملة ضدّ إيران هي أيضاً لتحقيق الأجندة الصهيونيّة، حتى داخل المعسكر اليهودي هناك يهود يحسّون الآن بخطورة المشروع الصهيوني على اليهود وهذا الشيء يمكن أن ننتبه إليه حينما نريد أن نفكّر في تأسيس حلف عالمي لمواجهة المخطّطات الصهيونيّة والإمبرياليّة. ولم يكن لدينا الوقت الكافي حتى نشرح قليلًا عن التجربة المقاوِمة المغربيّة لكن إن شاء الله في وقت لاحق إن شاء الله. وشكراً.

الدكتور أدونيس العكرا:

زميلي الدكتور علي نور الدين، تأثير ما حصل معي من سجن ومحاكمات لا تزال حتى اليوم، سؤالك دقيق أنّه ما الذي أثّر على ثقافتي وعلى ثقافة المقاومة عندي؟ باختصار، بفضل ما جرى اكتشفت أنّي كمثقّف اكتشفت دوراً لم أكن أعرفه، وهذا الدور يستطيع أن يقوم بدوره في المجتمع لا سيّما مع من يعرفني ويستمع إليّ والطلاب عندما يرون أستاذهم يتعرّض لما تعرّضت لا يخافون بعد ذلك، لأنّ من يريد أن يقاوم عليه أن لا يخاف.

أستاذ الزين، قد كنّا من أنصار ١٥٥٩ وكنّا ممّن عمل من أجله ومن المتحمّسين لمقولة إنّه لا أحد يقوم بالحرب والسلم إلا الدولة لا الأحزاب ولا القوى الفرعيّة التي تشكّل أحزاباً من الدولة، لكن عندما نقول إنّ المقاومة تلعب دوراً كبيراً كما تفضّل السيّد حسن نحن في هذا المؤتمر وفي جميع المحاضرات نركّز على المقاومة كوسيلة لاسترداد السيادة هذه المسائل لا تتعارض مع بعضها البعض، عنما نعطي للمقاومة الحق وتكون صاحبة حق لا تتعارض مع الدولة وكان الهدف من خلق فكرة تعارضها مع الدولة لإسكات المقاومة والانتهاء منها، وعندما طرحنا هذه الشعارات لم نكن نخفّف من وهج ودور وقدرة المقاومة بل كنّا نثمّنها. نحن منذ سنة ١٩٩٢ وحزب الله كنّا كتيّار وطني حرّ كنّا نعتبر أنّ حزب الله يقاوم من بيروت وحتى بوابة فاطمة ونحن نقاوم من بيروت وحتى النهر الكبير الشمالي، دور المقاومة أساسي ولكن هذا لا يمنع أن يكون القرار بيد الدولة وهي ممثّلة الشعب في اتّخاذ قراره أكان في المقاومة والحرب أو في السلم.

وبالنسبة للأستاذ هاني أقول إنّه حاليّاً ليس هناك عقد اجتماعي في لبنان، وإذا وُجِد فهو ضعيف ولا زال بعيداً عن مرحلة ما اتّفقنا نحن وحزب الله عليه، لأنّنا لسنا حزباً مسيحيّاً ولا نتحدّث باسم المسيحيين ولا ندّعي ذلك ولا نطمح لذلك، بل نحن نتحدّث باسم المواطن اللبناني وأنشأنا ورقة

التفاهم مع حزب الله وفيها نص صريح يقول نحن الدولة العلمانيّة لكي ننتقل نحن وحزب الله والقوى الأخرى السياسيّة التي نتمنّى أن تدخل معنا في ورقة التفاهم هذه لكي ننتقل معاً من دولة الرعايا إلى دولة المواطنين.

بالنسبة للزميل العبد أنا لا أتحدّث عن تاريخ الديمقراطيّة ومن بدأ بها بل أنا أناقش الديمقراطيين الغربيين بأدواتهم وعذراً إذا أسأت الكلام أو التعبير.

وبما يتعلّق بالفكرة التي تتناول الاتّحاد العربي نحن في التيار الوطني الحر الآن أنا المسؤول عن لجنة الدراسات، نحن حالياً نعمل على هذه الفكرة لكي ندفع بها للأمام ونشارك في خلق مناخ لقبولها. وشكراً.

المحور الثاني

المقاومة:
التجربة الإشكالية

تقديم المحور

د. حسين رحال

بعد أن استمعنا إلى كلمة سيد المقاومة بالأمس والتي تناولت الاستراتيجية الدفاعية التي قدمها على طاولة الحوار الوطني، اطمأن الكثيرون إلى أن المقاومة بخير لكنها بخير بين أهلها ودعاتها فهم متمسكون بهذا المبدأ العقائدي والأخلاقي والعملي والإنساني، لا تلومهم في ذلك لومة لائم في الداخل والخارج لكن ذلك لا يعني أن الوضع في لبنان ليس مقلقاً، الوضع مقلق لأن ما تتعرض له المقاومة في الخطاب السياسي والإعلامي الآن بعد ستة أعوام من انتصارها وليس من انهزامها بعد ستة أعوام من التحرير الذي أعاد فيه السيادة إلى الدولة، تتعرض لتنكر من قبل كثيرين كانوا يستثمرون قطافها الوطني لمآربهم الخاصة. هذا التنكر الذي تتعرض له المقاومة اليوم على طريقة بعض من رمى الإمام الحسين، إنهم يرمون الظاهرة الحسينية المنتصرة الآن بسهم ليقولوا لـ «بولتون» أو لغيره اشهد لنا لقد رمينا هؤلاء القوم.

نعم هذا التنكر ليس فقط مسألة سياسية تتعلق بالأداء السياسي لبعض الأطراف السياسيين في لبنان، إنما يعود إلى خلل كبير في النظام السياسي اللبناني. والذي يعرف كيف نشأت المقاومة يعرف أنه من الناحية السوسيولوجية والجغرافية نشأت المقاومة ليس في مركز النظام السياسي اللبناني، إنما في الأطراف وعلى الهوامش، ولعل في ذلك أحد العوامل التي

تفسر لنا هذا الانفصام الذي قد يبدو بين النظام السياسي اللبناني وبين ظاهرة المقاومة التي جاءت في بلد طرفي في العالم العربي وفي فئات طرفية داخل هذا البلد.

إذا قارنا بين المقاومة في هذه النقطة وبعض المقاومات الأخرى مثلًا المقاومة الفرنسية نجد أنها انطلقت من داخل النظام السياسي الفرنسي، أي من داخل بنية الدولة التي مثلها دي غول وبعض الضباط الآخرين، وهذا متعلق بحل إشكالية مهمة كانت في النظام الفرنسي وهي إشكالية الهوية التي بدأت مع تكريس نابليون للنظام التربوي وإنشائه للنخبة العلمانية الفرنسية على أسس أيديولوجية خاصة بالجمهورية الفرنسية. لكن في مسألة لبنان المقاومة جاءت في ظل حرب أهلية وفي أطراف النظام السياسي اللبناني وليس في مركزه حيث نعرف كيف أنه كان يمجد الضعف في مقابل العدو ويميل إلى الحيادية في منطق العلاقة مع الكيان الإسرائيلي. وحتى في التجربة الجزائرية نجد أن الشرائح الداعمة للمقاومة كانت تجمع مختلف شرائح المجتمع الجزائري من جمعيات وعلماء وقوى سياسية مجتمعة ومختلف القرى والبلدات، وهذا ما يعطي انطباعاً خاصاً من هذه الظاهرة الفريدة في لبنان، وهي ظاهرة المقاومة الإسلامية، لذلك فإننا نعتقد أن المشكلة ليست فقط في الأداء السياسي بل في هوية النظام السياسي اللبناني وعلاقته بالمقاومة، وهذه مشكلة في المجتمع وفي النظام السياسي اللبناني.

قد يطرح البعض الآن بعض طروحات تتعلق بدمج المقاومة في الدولة أو بعض الحلول الشكلية التي تتعلق بهذا الأمر، أنا أعتقد أنه لا بدَّ للدولة من أن ترتقي إلى منطق المقاومة ليصبح لدينا دولة ونظاماً سياسياً مقاوماً وليس العكس.

بعض هذه الإشكاليات التي أثرناها يسرنا ويشرفنا أن نناقشها ونناقش عناوين أخرى تتعلق بـ: **التجربة والإشكاليات** في تجربة المقاومة.

ثنائية الوحدة: الدولة ـ المقاومة

الأستاذ نصري الصايغ

تمثل المقاومة في الفكر السياسي، مكانة ملتبسة. تتأرجح في التوصيف بين شرعية تقتنصها، وشبهة إرهاب تُلصق بها وتقيم في منزلة التشكيك بين معترف بها ومنكرٍ لها.

في المقاوم بذاتها؟

يعرِّف الفكر العسكري الحرب بأنها صراع مسلَّح وعنيف بين جماعات منظمة. اختير هذا التعريف بين مئات التعريفات، واعتبر أنه أصفى وأدق وأصدق تعريف. لم يتعرَّف على الأسباب، لم يبحث في النتائج. لم يضف إليها حكماً قيمياً. لا هي أخلاقية أو عادلة أو وقائية أو مقدسة أو منبوذة. هي كذلك بذاتها، كآلية من آليات الصراع بين قوى منظمة ومتصارعة، حول قضية ما.

تدخل المقاومة، في هذا التعريف، استنتاجاً؛ لأنها صراع مسلَّح وعنيف، بين جماعات منظمة: بين دولة وثورة، بين عصابات ودولة، بين ميليشيات حزبية وأخرى مثلها. (الحروب الأهلية، ليست حروباً بين جيوش).

إذاً، المقاومة عمل حربي في ماهية حركتها وبنيتها. ولكنها ليست

كذلك، في كلاسيكيات الحرب والقوانين الناظمة لها. يمكن تعريف الحرب بذاتها، ولم تعرَّف المقاومة بذاتها، بل بذاتية خاصة بكل فريق من أطراف الصراع، فهي لدى طرف مقاومة مشروعة، ولدى الطرف المعادي هي إرهاب.

(راجـــع: Alian Badiou Concideratıons philosophiques sur quelques faits recents lignes. Mai 2002).

يسهل التعرف والتعريف بالجيوش، تعتبر بنية الجيش بدقتها وتنظيمها وأطر العمل فيها، وكأنها مكتملة النصاب، وتحتل أرقى مراتب الإدارة والفعالية والانضباط والقدرة على الحركة وممارسة العمل العسكري هجوماً ودفاعاً.

تحفل الكتابات العسكرية في دراسة وتأييد وإعلاء شأن الجيوش، إلى مصاف العلم المتفوق وإلى مكانة الاختصاص المتقدم، واعتباره قاطرة التقدم العلمي والاجتماعي والاقتصادي. تنقل المجتمع في أيام الاستعداد للحروب القادمة والمفترضة والمخطط لها. إلى مواقع متقدمة، تقنياً وعلمياً وصناعياً، وتترك آثارها البالغة على صيغ التحولات الاجتماعية المحلية والإقليمية والدولية.

كأن العالم يقترب أكثر فأكثر، من العسكرة الكاملة، ففي الدول الدكتاتورية، يشكّل الجيش العمود الفقري للنظام والمجتمع. وفي الدول المتقدمة والديمقراطية، يشكّل الجيش، عاملًا رئيساً من عوامل ارتفاع مؤشرات البورصة، وقائداً عملانياً للمنتوجات السلعية في الأسواق المفتوحة، وحارساً أميناً، وشريكاً حقيقياً، للشركات العملاقة، التي نصبت شبكتها العنكبوتية الدولية وبسطتها فوق الشعوب في أكثرية المجتمعات والدول.

نظر الفكر باستمرار، إلى الجيوش على أنها الركن الأقوى للدولة، أيّاً كان شكل الدولة. الدولة محتكرة العنف. وكالة الاحتكار أعطيت للقوى

المسلّحة. فلا دولة، من دون جيوش يدافع عنها ويحميها. الجيوش هي الثابت الدائم والمستقر والمؤبد..

المقاومة، ينظر إليها من خلال الحاجة المؤقتة إليها. هي مدار خلاف بين وجهات نظر مختلفة ومتناقضة.

من يحتاج المقاومة الشعبية في صراعه العسكري، طالب باستمرار بإلحاق المقاومة أو الأنصار أو المقاتلين المدنيين بالقوانين الناظمة للجيوش وحركتها. الدولة التي كانت تشعر بضعف في جهوزيتها القتالية، عدداً وعديداً، كانت تلح إبان المفاوضات، على اعتبار المقاومة جزءاً لا يتجزأ من حركة الجيوش، ولو كانت مستقلة عنها، ويلزم حمايتها بقوانين الحرب. أما الدول القوية، والتي تتمتع بميزة التفوق العسكري، فكانت ترفض الاعتراف بالمقاومة، وتعتبرهم محزبين وإرهابيين، وتعاملهم كمجرمين حقيقيين.

المقاومة، عمل حزبي، تماماً كالحرب في مفهومها الكلاسيكي، ولكن لا يعترف بها كذلك، لذا، يُنسب إليها الطرف المحتاج، قداسة وبطولة، فيما ينظر إليها الطرف الآخر، على أنها تخريب وإجرام.

المقاومة لا تستقر كحالة ثابتة. هي مؤقت مدان، أو مؤقت يقدس. فهل تغيرت وظيفتها، مع تغير العالم بكافة موازينه؟

اختلفت كل من ألمانيا وفرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حول كيفية التعامل مع الأنصار (المقاومة). وإبان المفاوضات الطويلة حدث ما يلي:

أ ـ عندما كانت ألمانيا ضعيفة ومنهكة، وفرنسا متفوقة وقوية، رفضت الأخيرة الاعتراف بحقوق عسكرية للمقاومة الألمانية.

ب ـ اشتد ساعد ألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر فرفضت الاعتراف بحقوق الأنصار الفرنسيين، وأصرت على التعامل معهم كإرهابيين بلا حقوق.

وعليه، فقد طبقت ألمانيا النازية إبان اجتياحها لفرنسا، نظريتها الخاصة، وعاملت المقاومة الفرنسية بوحشية.

ثم تمدن العالم بعد الحرب العالمية الثانية. أنشأ منظمة الأمم المتحدة ومن أهدافها الحفاظ على الأمن والسلام الدوليين. وأخذت هذه المنظمة على عاتقها، حل مشكلة التباين في النظر إلى المقاومة. وإبان المناقشات التي دارت في اللجان الخاصة، وبعد العام ١٩٧٣، ظهر أن الولايات المتحدة الأميركية، تساندها مجموعة الدول الديمقراطية وحلفائها، تحاول فرض تعريف على الإرهاب على نحو يشمل الكفاح المسلح لحركات التحرر الوطني المناضلة تحت شعار حق تقرير المصير، المقر دولياً، أوضحت ممارستها العنفية لإزالة الاحتلال والاستعمار، بينما حاولت دول المعسكر الاشتراكي أن تدرج في الإرهاب، أفعال الدولة التي تقمع حركات التحرر، من خلال عملائها والمرتزقة المأجورين الذين توظفهم لتصفية هذه الحركات.

ويشتد الخلاف بين وجهتي النظر: أميركا (ومن معها) ترى أن المقاومة إرهاباً، فيما يرى المعسكر المغلوب على أمره، أن الإرهاب هو كل من يحاول القضاء على المقاومة بالقوة.

إذاً، لا تعريفاً محدداً للمقاومة، سوى أنها حاجة الضعيف في مواجهة الأقوى، هي مسألة خاضعة لموازين القوى غير المتوازنة. يحتاج إليها الضعفاء، الذين لا جيوش لديهم للدفاع عن أرضهم وحقوقهم وحرياتهم وأعراضهم وكراماتهم.

هي قوة عنف تجترحها ميدانياً مجموعة من خارج الأطر الكلاسيكية للقتال. تولد من معارضة مقموعة، بلاد مختلفة، شعوب مظلومة، فئات مضطهدة، تمارسها مجموعات خارج أطر الجيوش التي لا تتحرك، إلا بإذن أو قرار من الأجهزة السياسية للدولة.

هي حرب بطريقة أخرى، غير تقليدية، هي نمط من القتال الحزبي يلجأ إليه الضعفاء، تستمد مشروعيتها من مظلوميتها، وتوجه أسلحتها ضد مجموعات أو دول ترتكب حروباً ظالمة.

على أنه لا بدَّ من استدراك، قد تتحول المقاومة المناهضة للظلم، إلى أداة ظالمة تعسفية، دكتاتورية، فاسدة، بعد بلوغها غاية التحرير وتسلّمها زمام السلطة.

نادرة المقاومات التي حافظت على نقاوة السلام وطهارة القضية ونظافة السلوك، وشفافية الممارسة وعفاف السلطة. بعد انتصارها وتحولها إلى سلطة.

ستبقى المقاومة زمناً غير يسير، خارج إطار التفاهم الدولي بشأنها، وخارج الاتفاق على وصف موحد لها، وقد تبقى خاضعة لازدواجية المعايير الدولية، حيث الحد الفاصل بين المقاومة والإرهاب، تصريح دولي، لدولة عظمى. وقد تبقى تارة مقاومة، وتارة إرهاباً، تماماً، كلقب «الشيطان» الأكبر الذي اعتاد المتخاصمون على إلصاقه بالعدو، فنابليون بونابرت كان الشيطان الأكبر بالنسبة للروس وهكذا دواليك.

وبناء على هذه الوضعية، لا بدَّ من النظر إلى المقاومة على أنها مسألة حركية، هي أداة صراعية في عالم منقسم بين فوضى النظام العالمي، وفوضى الضعف المتزايد والمصاحب، والمنتشر بأشكال مختلفة في مناطق النزاع المشتعلة في هذا الكوكب.

وبما أن العالم منقسم، بين قوي وضعيف، منتصر ومهزوم، مستعمِر ومستعمَر، متقدم ومتخلف، مركز وأطراف، منفتح ومنغلق، مصدِّر ومستورد، غني وفقير، إلى آخره. فإن الوسائل المشروعة، هي الوسائل الممنوعة، هي أساساً المقاومة. والوسائل المسموحة مقيدة بخيارات إلزامية يفرضها الأقوياء.

يصر الأقوياء على صيغة التفاوض، وعدم اللجوء إلى القوة. فالقوة مسموحة فقط، للأقوياء. المقاومة حرام دولي.

لم يستطع العرب، في القرن الفائت، أن يحققوا بالتفاوض إلا الفتات الممنوع عليهم اقتسامه أو توزيعه أو... فمن بيده الحل والربط الدوليين، يسيِّر التفاوض، وفق مصالحه المحروسة بقواه العسكرية والمالية والاقتصادية والصناعية والثقافية، ولا يفرط بأي قوة من هذه العناصر المتكاتفة والمتضامنة.

فالقوي، في مقام التفاوض، فائز حتماً، والويل للضعفاء.

تجربة حكومة فيصل في دمشق نموذجية:

فيصل، المنتصر مع الحلفاء، المؤيد برسائل حسين مكماهون، المطعون بسايكس ـ بيكو ووعد بلفور يفاوض الغرب (فرنسا وبريطانيا) محاولًا التحلل من قوة الجيش العربي الفتي، وعناد ضباطه الوطنيين، وقيادات أحزابه، وقرارات المؤتمر الدولي المتشدد، متكئاً على دعم موهوم من بريطانيا، ووعود كاذبة ثبت زيفها، فإذا به يصبح الأمير الطريد، الممنوع من السفر والمتوسل لقاءً مذلًا مع فرنسا ـ يعامل فيه كخاسر بلا تعويض.

يعود فيصل بفتات غير مقبول ـ ترفضه القوى السياسية. يفاوض مرة أخرى، فتشترط عليه فرنسا تصفية «المحزبين» (المقاومة)، فيتصرف بسرعة، وينفذ التصفية الأمير علي. ثم تشتد شروط الفرنسيين، فينذرونه بضرورة تسريح الجيش، فيفعل... وتكون النهاية المأساوية والزلزال الذي أسقط أول دولة عربية مستقلة حرة، ذات سيادة إلى الأبد.

خطيئة التفاوض بلا أنياب عقابها انتزاع الأظافر والقلب والحركة.

عندما تم القضاء على الجيش والمقاومة، لم يبق أمام الدبلوماسية والتفاوض إلا ذيول الخيبة.

كانت تلك الواقعة، تأسيساً كارثياً لمعظم الأحداث التي استولدت بعدما تم رسم الشرق الأوسط الحالي، على أطلال الدولة العربية الأولى.

سلسلة المفاوضات أنجبت هزائم، يدفع ثمنها من دمهم وكرامتهم وحقوقهم، واقتصادهم وسيادتهم واستقلالهم. سلسلة المفاوضات أورثت الأمة أعباء أشد فتكاً من الحرب التي خسرتها.

راهناً، وبعد قرن تقريباً يعالج العالم قضية المقاومة، على أنها شر واجب التخلي عنه. فهل يتكرر الخطأ مرة أخرى، وتكون الكارثة الأعظم، فيتم استيلاء الشرق الأوسط الكبير بقيادة الأصيل الإسرائيلي عن البديل العربي؟

ثمة حاجة إلى تبيان المسموح والممنوع دولياً.

تغرق الدول المنتجة والمصدرة للسلاح، الكثير من الأسلحة على الدول الغنية والفقيرة لتجهيز جيوشها، والهدف تجاري أولًا وثانياً وعاشراً، ثم لاستنزاف الدول الغنية (النفطية طبعاً) وإخضاع الفقيرة، وإيقاعها في مديونية متنامية. فالمسموح هو تجارة السلاح، ليس بهدف الدفاع بل بهدف تدجين الدول الزبائن وإلزامها بدفع الكلفة الباهظة، لعتاد باهظ الثمن، على أن يكون السلاح معقماً وطنياً، وموظفاً فقط في ضبط الأمن الدولي، وفق شروط الاكتساحات الاقتصادية.

فالجيوش، في كثير من دول العالم الثالث (العالم الميئوس منه راهناً) وخاصة بعد انهيار المعسكر الاشتراكي، أصبحت مرتهنة سلاحاً وتدريباً ووظيفة بالقرارات السياسية الدولية، والاستراتيجيات الدولية، التي تحدد طبيعة ومهمات هذا السلاح. وينظر إلى الخبراء العسكريين الأجانب على أنهم أهل اختصاص في السياسة، وليس في التدريب فقط. وهكذا يتم القبض على الزناد السياسي للجيوش، وتصبح غير ذات فعالية، إلا عندما تمس السلطة بمعارضة من داخل. فالجيوش المرضى عنها دولياً، وتحديداً

من الدول الديمقراطية العريقة، هي الجيوش التي تحرس الدكتاتوريات وتمنع الديمقراطية، الديمقراطية المرغوبة شعبياً في الدول الميئوس منها.

ونادراً ما تخوض هذه الجيوش، المتخمة بالأسلحة والنياشين والرتب العلمية، حروباً من تلقاء ذاتها. فهي مدعوة لأداء مهمتين فقط:

الأولى: الحفاظ على النظام والاستقرار في الدول المعنية.

الثانية: قبول بطاقات الدعوة الدولية للدخول في أحلاف وحروب وتدريبات ومناورات مشتركة ضد عدو تختاره القوى العظمى... والويل لمن عصا.

فمسموح أن تستدين لدفع فاتورة تجهيز الجيوش في الدول المغلوب على أمرها، ومسموح أن تنفق الفواش المالية. النفطية، لتصبح ترسانة مزدانة بأرقى الآليات والأعتدة، ومسموح أن توظف هذه الجيوش في حفظ الأمن الداخلي، والإمساك بآلة السلطة، والتمسك برقاب الناس، إضافة إلى وظيفتها النموذجية، والقاضية بإعانة الولايات المتحدة الأميركية في حروبها، وإجراء تدريبات مشتركة، بلغت حد الطلب والمساهمة بمناورات تشترك فيها، عندنا، إسرائيل.

سقطت حصانة الجيوش، بالضربة السياسية القاضية، والتي ألزمتها بأن تكون الجهاز المحلي ـ للمركز الدولي. سقطت سرية العمل، وباتت مكشوفة. وتقدم تقارير للأجهزة الدولية المعنية. وجاءت أحداث ١١ أيلول، لتكشف أنظمة متكتمة على معلوماتها.

إذاً، خرجت الجيوش من كونها أداة قوة ووسيلة حماية، وباتت عبئاً باهظاً على مواطنين يئنون من الديون والتخلف، والقمع والبطالة، ومن آلة عسكرية تتحول بعد سنوات قليلة إلى خردة من حديد صدئ، لا يصلح للرماية، بل للرمي في العراء، كقمامة لا تحتمل.

وإذا توفرت لجيش ما، الإرادة السياسية لمنع العدوان، أو لصيانة قرار ذاتي، فإنها ستتعرض لحظر شحنات الأسلحة. التسلح مسموح للجيوش المستقيلة عن الدفاع الموظفة في معارك بالأجرة والسخرة. والتسلح ممنوع لمن يتجرأ على الخط الأميركي الدولي. والشواهد كثيرة. فمن يعطي السلاح ويبيعه، يضع له مواصفات كثيرة، أبرزها: مصادرة الإرادة السياسية.

أليس غريباً والحالة هذه، أن الدول المغلوب على أمرها ـ بسبب ضعفها أو استضعافها أو تبنيها سياسة العجز، باختبارها ـ ما زالت تضحي بالمال النادر، وتتكبد الديون بفوائد متراكمة بسرعة جنونية، من أجل اقتناء السلاح لتجهيز جيوش عديمة الفاعلية، وغير صالحة للعمل، لا في صدّ عدوان، أو في تحرير أرض، أو في تحسين موقع أو في دخول حلف إقليمي نادر الاستقلالية. السخرية أن الشعوب المقهورة أو المسلوبة أو المضطهدة، تدفع كلفة تسليح جيوش، ليس مسموحاً لها إلا أن تقمعها كأنها تدفع ثمن القبضة التي تطبق عليها، أو كأنها تعظم آلية قمعها إذا ما تجرأت على رفع قضية الخبز.

تكاد تصبح الجيوش في الدول المغلوبة، للزينة فقط في حالات الظلم أو للقمع في حالات الاضطراب السياسي والاجتماعي، أو أنها لحراسة النظام التابع ومصالح الدولة المتبوعة، فماكدونالد يحتاج لاكتساح العالم اقتصادياً إلى ماكدوغلاس (تصنيع السلاح)، وعلى الشعوب المغلوبة، أن تمتثل لتكون شريكاً مستهلكاً للسلعتين: وجبة الغذاء، ووجبة السلاح التي تحميها.

في المواجهات العسكرية، بين الجيوش الكلاسيكية، تكون الغلبة غالباً للجيوش الأقوى. تاريخ الانتصارات الإسرائيلية مقنع جداً.

فَلِمَ الجيوش إذاً؟

ألا يجب أن تعاد صياغة جديدة لهذه الآلية المكلفة؟ أليس من

الضروري إعادة التفكير بجدوى أجهزة باهظة ومعطلة، بالسياسة أولًا، ومعطلة من حيث تخلفها تقنياً وارتباطها بمصدر تسليحها الذي يكاد يصير واحداً ووحيداً؟

بناءً على ما تقدم، صار تحييد الجيوش عن معاقل قوته، ضرورياً، وقد تكون الوظيفة الإضافية له، هي في تخريج حكام ورؤساء أوفياء للأمر اليومي الدولي.

تستبدل القوة المادية باللغة الدبلوماسية، وأسلوب الإنشاء التفاوضي تحتاج المفاوضات إلى صداقات وأحلاف من لون واحد ومن معسكر واحد خاصة، بعدما صار العالم أحادي القطبية، فلا ينفع الدول المغلوبة أن تكون صديقة لدولة ما، ولا تكون صديقة أساسية ولو بالإكراه للولايات المتحدة الأميركية. والصداقات مع الولايات المتحدة الأميركية من طرف واحد. فهي صديقة مصالحها فقط. والآخرون ملتزمون بالدخول في عقد الصداقة، وفق لائحة الشروط الأميركية، القاضية بأن تسلّم لها، بأنها هي الوحيدة المؤهلة بفض الخلافات بين الدول. غير مسموح لأي دولة أن تحل مشكلاتها مع جيرانها؟ فهذا الأمر معقود فقط للولايات المتحدة الأميركية. فما نفع الجيوش إذاً؟

عندما تسقط قوة الممانعة، أو قوة المطالبة بقوة، فإن خير ما تحصل عليه الدول المغلوبة ضمانات حماية، من شدة البربرية المعادية.

من صمد حتى الآن في وجه هذه الإرادة الدولية؟

أ ـ دول ديمقراطية حقيقية، بلا التباس في ديمقراطيتها، مستندة في مواقفها ومطالبها من إرادة شعوبها.

ب ـ مقاومة مسلّحة أثبتت قدرتها على اقتتال الإرادات الخارجية الساعية إلى إحلال مصالحها مكان مصالح الشعوب... وما أكثرها.

ج ـ قوى المجتمع المدني، بأحزابها وأنديتها وأعلامها (النادر) ومؤسساتها الدولية، المناهضة للتوحش المعولم.

لا تشكل الجيوش في الحالة الدولية الراهنة، خطراً على الاستراتيجيات الدولية الزاحفة عسكرياً وأمنياً واقتصادياً في معظم بقاع الدنيا، الجيوش غير المرغوب بها دولياً، والممنوعة من ممارسة حقها في التسلح والتقدم، هي الجيوش المتهمة حكوماتها وأنظمتها بدعم الإرهاب (المقاومة). ففي لائحة الاتهام الأميركية التي تصدر سنوياً، أسماء لدول معادية لأميركا أو لحلفائها، بسبب ممانعتها للسياسات الأميركية المجحفة. وقد أضيف إلى هذه الاتهامات القديمة، تهمة السعي لامتلاك الطاقة النووية.

ويظهر من هذا التصنيف العدواني، أن المقصود هو المقاومة وليس الجيش بذاته. ذلك أن المقاومة، بكل أشكالها، هي النقيض الفعلي، والفعال لاستراتيجيات الهيمنة، وقوى الظلم والاحتلال والاستتباع.

المقاومة تحظى بهذا العداء، بحكم طبيعة منشئها وعقيدتها وجذريتها، وخطورتها الميدانية، كل القوى الكلاسيكية غالباً، ما تكون أشد صلابة من أجهزة الدولة ـ ولو كانت ممانعة ـ في ممانعتها. فالدول مكشوفة، وتخضع لظروف قاهرة، وتعيش في نظام دولي، هي جزء منه، ولكنها الجزء الضعيف جداً.

المقاومة، خروج على النظام الدولي ومقتضياته. خروج على منطق الدولة، بمفهومها الكلاسيكي، كمنظومة حقوقية، وكجزء من نسيج دولي. الأمم المتحدة، تقيس المقاومة بمقاييس القوى المؤثرة فيها. فلا قوانين ناظمة لوجود حماة تحميها السياسة، أو تلغيها. وفق ازدواجية المعايير السائدة. وأبلغ مسيرة لهذه المقاومة، أن الكثير منها، كان إرهاباً، ثم بات

شريكاً، ثم أضحى سلطة، ثم افتقد له مكاناً في الهيئات الدولية، وصار جزءاً لا يتجزأ من النظام الدولي السائد.

ينقسم العالم راهناً، ليس بين أقوياء يتوزعون مناطق النفوذ ويقيمون توازنهم الاستراتيجي على قاعدة الاستئثار بالحصص، بل هو ينقسم بين أقوياء جداً، وضعفاء جداً. وتشكل المناطق الضعيفة جداً، في نظر الاستراتيجيات الغربية، نقاط تهديد إرهابي، للدول القوية... جداً. فهل هذا صحيح؟

بعد سقوط الثنائية القطبية، بحثت مراكز الفكر الاستراتيجي في الولايات المتحدة الأميركية، عن عدو جديد، فوجدته في دول الجنوب المتخلفة. أصابت هذه الاستراتيجية، لأنها استقرأت مكامن العنف، بعدما أصبحت طالقة من الرعاية والعناية، التي كانت تغدق عليها من الدول العظمى، بسبب حاجة هذه الدول، إلى مواطن احترام، سياساتها المتعاكسة.

كانت الدول المغلوب على أمرها، تنال فتات الحاجة من دول الرعاية في الممسكرين... ومن ثم، تُركت لشؤونها وفقرها وديونها وعوزها وأمراضها وقضاياها العالقة، فهربت إلى الحروب الداخلية والعنف الأعمى. وكان أن حظيت المنطقة العربية، بسياسة التخلي الثنائية القطبية، لصالح القطب الواحد الأعظم، الذي اختار أن يكون بكامل عنايته، إلى جانب إسرائيل. تاركاً القضية الفلسطينية، المعقدة والمتفجرة والصعبة والمستحيلة، في عهدة إسرائيل، فقط لا غير.

كان من الطبيعي أن يكون العنف، بكل أشكاله، مقاومة وإرهاباً وفوضى، هو الرد الطبيعي، لسياسات التخلي، وإحلال سياسة «الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»، التي تكرسها سياسات القوى البربرية القابضة على القرارات في البنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، وطبقة

القوى الاقتصادية، والمالية العابرة للقارات، والتي تصدر القرارات، وتلزم الحكومات بتطبيقها.

كان من الطبيعي، أن تظل المشكلات الموروثة، حية ترزق عنفاً ومقاومة، في مناطق كثيرة من العالم. تعالج دائماً ـ بمنطق الولايات المتحدة الأميركية السائد: **وهو معالجة العنف بالأمن والمزيد من الأمن ومعالجة** الاضطرابات والمشكلات، بمزيد من الرعاية الأمنية والعسكرية فأميركا لا تعالج بل تلجأ باستمرار إلى العمليات الجراحية... غير الناجحة في كثير من مواضع الوجع.

كان من الطبيعي كذلك، أن تتميز المقاومة والانتفاضة، بتسجيل حالات جديدة كلياً، تتظافر ضدها قوى دولية عملاقة، لتجريدها من قوتها، وسلاحها وحجارتها.

فالمقاومة، والحالة هذه، ليست حالة عابرة، بل حالة أصيلة، ومستقبلية لأنها قادرة بقواها الذاتية، وطبيعتها القتالية، وأساليب عملها الجدية، أن تكون الذراع القوية التي تحمي الدولة، وتحمي الجيش كذلك، من أي عدوان، لأن فعالية المقاومة، تشكل استثناءً في المواجهة المعاصرة بين قوى عملاقة شديدة التعقيد والقوة، ومقاومة شديدة التصميم والاختصاص، فلم تعد المقاومة، مشروع سلطة. بل مشروع مقاومة مديدة، لإخراج المحتل، وصيانة السيادة، وتعليب القرار وحماية المكتسبات.

كانت المقاومة، عندما تنهي مهمتها تلقي السلاح، وتطوّب نظامها بإقامة السلطة، وغالباً ما كانت تسيء إلى تاريخها. راهناً، المقاومة ليست مشروعاً ينجز مهمة محددة بزمن أو بقضية محددة. فعليها مسؤولية حماية الدولة، كبديل عن الجيوش، التي انتزعت منها، بسبب انكشاف الجيوش، وضعفها.

المقاومة، مهما كانت ضعيفة، تبقى قادرة على الحركة والفعل، أكثر من الجيوش. لذا، لم تعد المقاومة ذراعاً مؤقتاً، بل هي الذراع القوية الحارسة للحقوق والمصالح، والمصير والحدود والمستقبل.

وعليه، فإن الدولة المغلوبة، في عصر الاجتياحات الليبرالية الجديدة، والتي فقدت الكثير من استقلاليتها، وسيادتها وهامش المناورة واستعدادها الطبيعي، لدخول بيت الطاعة الدولة، (إذ لا بيت آخر يؤويها وتعاقب بالخروج من النظام الدولي وتعتبر دولة مارقة)، هذه الدولة المغلوبة قادرة أن تصوغ بنيتها، ضمن منطق الممانعة، على قاعدة القوة الجديدة المستحدثة، فهشاشة الدولة المعاصرة يقابلها، قوة المقاومة وصلابتها بكل أشكالها السياسية والثقافية والتربوية والقتالية.

(إن أصولية النظام الدولي الجديد، بكل بربريته وهمجيته، خلق رداً طبيعياً ذا جذور أصولية يمارس العنف بشكل بربري وأعمى... هو عنف مدان).

فهل ينظر إلى المقاومة كعبء أم أنها تحلّل من عبء ومكافأة عز نظيرها؟

المقاومة كما عرفت في لبنان، والانتفاضة في فلسطين، لم تكلف خزينة الدولة. هي قوة شبه مجانية، عرفت كيف تكون الدعم، وكيف توظفه، وكيف تفوز بجائزة التحرير، عرفت كيف تبقى الوحيدة المؤهلة موضوعياً، وبلا تبجح، للدفاع عن مصالح الوطن والأمة، في وجه دولة عدوانية عاتية القوة، مدعومة، بقوة دولية عظمى، وتحصين غربي نموذجي وتخاذل عربي غير مسبوق تاريخياً.

المقاومة كما تظهر اليوم هي الوحيدة المؤهلة، لقيادة كل فعل سياسي ثقافي اجتماعي، إنمائي عسكري. أي هي قطب التوظيف لردع العدوان، وإقامة المجتمع الحاضن والمنتج والمبدع والحر.

تغيّر العالم كثيراً...

تغيرت أساليب السياسة.

تبدلت طبيعة الدولة، ضعفت.

انقرضت مفاهيم الدبلوماسية وطفت مصطلحات جديدة.

منطق القوة بات المنطق الغالب.. أو شبه الوحيد.

ازداد العالم انقساماً. الظلم يفتك بأكثر القارات.

أميركا أمّمت الدول لصالح حرية التجارة، والخصخصة وعقيدة السوق والربح الغالب.

العنف، الفوضى، المجاعات، الأمراض، التمييز، التمايز، الهوة، كلها مصطلحات تطغى على السطح، وتضرب في العمق.

الإعلام، سلاح استراتيجي، وسلاح دمار ثقافي شامل، بعهدة وملكية كبريات الشركات المصنعة والمنتجة والمصدرة للأسلحة.

عالم جديد بالمرة...

ولذلك، كيف نعدل من علاقتنا بهذا العالم؟

أ ـ هل نتبعه، حذو النعل بالنعل، نطعّم أنفسنا بعقيدة النظام الدولي الجديد، ونلجأ إلى مؤسساته، لإحقاق حقوقنا، وتقديم التماسات للنظر في مطالبنا؟ وبالتالي، نكف عن المقاومة، ونوكل أمرنا إلى الدبلوماسية التي تعرج على نصائح الدولة العظمى الوحيدة.

ب ـ هل نختار الممانعة؟

أمام الدول المغلوبة إذا أرادت الحفاظ على مصالحها، وحقوقها وصيانتها من أي اعتداء أو استلاب أن تنظر إلى بنية الدولة بطريقة مختلفة، وخصوصاً في منطقتنا العربية.

١) اعتماد الديمقراطية الحقيقية، التي تطلق مقاومة الشعب السياسية، على أن تصان هذه الديمقراطية بالمزيد من الحرية، وليس بالحقوق منها.

٢) إعلاء شأن الحقوق الوطنية والقومية، واعتبار هذه الحقوق جزءاً لا يتجزأ من منظومة القيم الذاتية، وقيم حقوق الإنسان الحقيقية. قيمة الفرد، وقيمة المؤسسات، وقيمة الدولة، وقيمة الإنتاج، وقيمة العمل، وقيمة الثروة الوطنية، وقيمة التنمية.

٣) اعتبار المقاومة المسلحة، الذراع الشرعي لحماية الدولة بديمقراطيتها ومصالحها وحقوقها.

٤) إقامة منظومة تخالفية، بين الدول الممانعة، والمرتكزة إلى ديمقراطية وحقوق الإنسان والقوى المناوئة لدكتاتورية السياسات الأميركية، وعقيدة عولمتها الشرسة.

هل هذا وهم، أم وجهة نظر هشة؟

للدفاع عن هذه النظرة، فلننظر إلى البدائل، إن البدائل، هي منظومة الدول المغلوبة، التي تفقد سيادتها وقراراتها وقوتها، وأقصى ما تطمح إليه أن تجد وظيفة لها، تحفظ بقاء نظامها السياسي في الداخل.

نموذج مصر حي يرزق، نموذج الأردن أكثر بلاغة، نموذج دول الخليج، أكثر مطابقة، ونقيس على ذلك، عينة في كثير من البلدان المغلوبة. (ليبيا أكثر فظاظة).

متوهم من لم يدرك بعد حجم التغييرات المذهلة، والتحويلية،التي حصلت للعالم بعد سقوط الثنائية، متوهم من يظن أن المسالك القديمة ما تزال سالكة. متوهم من يعتبر أن آليات الأنظمة والحكومات وطرق العمل فيها يمكن أن تكون مستقلة. إن هذه الدول قد قُبض على أنفاسها، وباتت مضطرة لتقديم كشفٍ سنوي بسلوكها، في كل المجالات، وإلا شُهر فوق عنقها سيف الحصار والعقوبات و«حقوق الإنسان».

إن العالم المتحول بسرعة، لصالح قوى الضغط السياسي والعسكري والاقتصادي، والثقافي، يمكن مواجهته. عبر تجميع كل ما في الدولة من أوراق قوة، ومنه المقاومة لصيانة استقلالها وسيادتها.

هل يمكن أن يحصل زواج بين الدولة والمقاومة؟

ما هو مطروح حالياً، هو تحويل المقاومة إلى جيش، لعله من الأصوب تحويل بنية الجيش إلى بنية مقاومة، وهذا ليس مستحيلًا. وبالتالي سيكون **أقل كلفة.**

لقد ولى زمن الجيوش الصغيرة والمنهكة والفاقدة لمصادر التسلح الدائم. لعله جاء زمن الإرادات القوية، المستندة إلى طاقة أمة وقدرات شعب وعصب أحزاب، ورجال سياسة، مؤمنين بأن تعريف السياسة الجديدة، يقتضي بعصيان موضوعي، لأوامر القوى العظمى، عندما تتعارض والسيادة والحقوق والمصالح الوطنية، والقومية، كما يقضي برسم سياسات موضوعية تستمد دفعها من الحقوق المشروعة في الاقتصاد والتنمية والحرية، والسيادة، والمدعومة بقوة الديمقراطية، وبقوة المقاومة، والقوى المادية والروحية التي تزخر بها الأمة.

كيف يمكن عقد زواج بين المقاومة والسلطة، ولا يكون زواجاً إكراهياً؟ إن السلطة المنبثقة ديمقراطياً، وفق آليات ديمقراطية، يمكنها أن تعتبر المقاومة ذراعها العسكري للدفاع عن الحدود وما داخل الحدود.

إن الديمقراطية، صيانة للمقاومة، والمقاومة سياج للوطن ونظامه السياسي وحقوقه.

وأثبتت التجربة الفلسطينية أنه يمكن إنتاج مقاومة وديمقراطية معاً، حتى ولو كانت في ظل أعتى احتلال، وفي ظل أقوى احتلال في موازين القوى، تقريباً. على معظم الأصعدة، فهنا، الحفاة يقاتلون العقارب باللحم الحي.

ولبنان يستطيع أن ينتج هذه الحالة، إلا أن المانع الأساسي لقيامها، هو الطائفية.

منطق الطوائفيات في لبنان إلغائي في أوقات الأزمات، ويسعى إلى صفقة هشة، تضمنها نصوص مائعة، في زمن الهدوء الهش. لقد حظي لبنان بمقاومة نظيفة ومتينة ومنتصرة، ومع ذلك، فهي اليوم، في ظروف التأزم الداخلي والإقليمي، باتت مشكلة، والمطلوب في أحسن الأحوال لدى الطوائفيات المتناحرة، أن تُشكر وتعزل، هذا إذا لم يتجزأوا على اعتبارها امتداداً إقليمياً، يعمل وفق دفتر شروط إقليمي.

لا يغلق باب النقاش على مسائل جديدة، وآليات مطلوبة، لاحتضان وتوظيف مكامن القوة، ولذا، فإن إدخال المقاومة، كجزء في الاستراتيجيات الدفاعية للدول المغلوبة، المضطهدة، يحتاج إلى جهد كبير، وإلى توظيف طاقات علمية وميدانية، وعقد حلقات حوار ونقاش، وإقامة علاقات عميقة، مع قوى الرفض العالمية، بدءاً من البلاد العربية وصولًا إلى دول بورتي الليغري ودول الديمقراطية الجديدة في أميركا اللاتينية.

إن أميركا، تفرض على العالم إملاءاتها، والدول الصالحة هي الدول المطيعة حتى ولو أدى ذلك إلى كوارث، (في العراق) وإلى مجاعات أشد وطأة في الهولوكوست (يموت طفل جوعاً كل ثلاث ثوانٍ)، وإلى احتلال (فلسطين) وإلى نهب منظم لدول الطاقة (... الأمثلة لا تحصى) وإلى هجرة أدمغة من الأطراف إلى المركز، وإلى جر الجميع إلى نهاية التاريخ للشعوب وبدء التاريخ الجديد، لطبقة الأثرياء المتوحشين والشركات القابضة والعالمية العنكبوتية.

وعليه، فإن أميركا ليست قدراً، بل هي سياسة، ويمكن مواجهة هذه السياسات الجائرة بالممانعة، والقوة القابلة للاستمرار وتحقيق الإنجازات.

فمن واجب الدول المغلوبة، أن تتغلب على عقيدة العجز، وتبحث عن قوتها لدى شعبها، وفي ثقافتها وفي مصالحها، وفي إنسانيتها، وتخوض معركة دفاعية، دقيقة، قادرة على اتباع الرأي العام العالمي الشعبي بأخلاقية ونظافة وإنسانية المطالب التي ترفعها.

إن مطالب الشعوب المقهورة، هي في الأساس مطالب الحدود الدنيا الإنسانية، وبالإمكان انتظار رد فعل إنساني عالمي.

غير أن دون هذا الهدف، مصاعب كثيرة ذاتية، أهمها، تنقية صورة المقاومة، من الإرهاب، والتزمت، وضيق الأفق، وإمكان محاكاة الشعوب الأخرى عبر محاكاة من هم حولها من فئات أو أحزاب متعددة.

إن لحظة الاستفادة من الممانعة القوية الراهنة، لن تعود مرة أخرى، وعلى قوى المجتمعات العربية الحية، أن تنهض لمهماتها، عبر أحزاب تراجع وتفقد مسيرتها، لا أن تجلد ذاتها وغيرها انطلاقاً من حجم مساهمتها في تحقيق الإنجازات الوطنية والقومية وليس بدءاً من تحقيق المطابقة بينها وبين فكرها وثقافتها ومشروعها السياسي الخاص. هذه المراجعة تتأسس من خلال الوقوف أمام منصة جديدة هي: كيف يمكن أن نجتمع لنقاوم، وليس كيف نتفرق لنساوم؟

فلنلتق على الممانعة كشرط أولي، ولنختلف في ما بعد على الوسائل ولتحسم الديمقراطية في خيارات المواجهة.

ثقافة المقاومة من منظور رسالي

الأستاذ علي أبو الخير

مقدمة

لعل أكثر التعريفات دقة للثقافة بمفهومها الواسع هي كل ما يستعمله الإنسان لصقل إمكاناته الفكرية والجسدية وتنميتها[1]، فالإنسان هو محور الثقافة ومطورها وصاقلها، وتعمق الإنسان بالمعرفة يربطه بأخيه الإنسان ويقربه من مجتمعه ويحرره من تعصبه وتطرفه لينحاز تلقائياً إلى التسامح والعدالة وقيم الخير والحق والجمال.

ويعتبر الدين الركن الأساسي في الثقافة أو بدقة يعتبر (الدين هو جوهر الثقافة والثقافة هي شكل الدين)[2].

لكن من الأمور الشائكة نوع العلاقة التي قد تقوم بين ثقافتين متباعدتين تعتمدان دينين مختلفين، أو تختلفان في انتماءاتهما الإثنية وواقعهما الجغرافي وتراثهما السوسيو ـ ثقافي.

---

(١) د يوسف مونس ـ الثقافة بين الغزو والانفتاح ـ ضمن كتاب الهوية الثقافية ـ مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات ـ بيروت ـ ص٧٥.

(٢) نفسه.

ونوع العلاقة تلك إما تتبعان المنحى التفاعلي أو المنحى التصادمي، ويولد عن ذلك إما التفاعل الحضاري أو القتل الإثني، وهذا التصادم دوماً ما يحدث باسم الدين (شكل الثقافة) أو باسم العرق (وعاء الثقافة)، أو حسب مفهوم كل جماعة لدينها ووعاء ثقافتها، وكل جماعة تدعي أنها التي تملك الحقيقة المطلقة، وبالتالي فإن (العقائد الفاسدة هي التي يموت في سبيلها الناس أشرف ميتة)[1]، **ومنطق العقائد الفاسدة يعود لطبيعة الفاهمين لها بفساد الفهم لأن أصحابها يرونها أصح العقائد.**

إن الدين الإلهي واحد في خطابه وتبشيره، ونستطيع أن ندلل على ذلك **بكثير من الأمثلة والآيات والإصحاحات في كل الكتب المقدسة، فكل الرسالات ترفض الظلم وحرمان الإنسان من حريته، ويأبى الاستبداد** والاستعداء من داخل النفس وخارجها.

إن تجارب التاريخ تقرر لنا أصالة الدين في جميع حركات التاريخ الكبرى ولا تسمح لأحد أن يزعم أن العقيدة الدينية شيء تستطيع الجماعة أن تلغيه ويستطيع الفرد أن يستغني عنه في علاقته بتلك الجماعة أو فيما بينه وبين سريرته المطوية عمن حوله، ويقرر التاريخ أنه لم يكن قط لعامل من عوامل الحركات الإنسانية أثر أقوى وأعظم من عامل الدين[2].

الدين هو المكون الثقافي لأمم الأرض، وهو سعي الإنسان الدائم في بحثه عن الإله، وذلك عبر الإيمان الرسالي الذي يرسله الله مع رسله.

وفي سعي الإنسان في معرفته بالخالق يجد صعوبات مادية محسوسة ومعنوية غير ملموسة، يأخذ الإنسان موقف الدفاع في صدها، وموقف المقاوم لها لتأكيد حرية اختياره ونهج انتمائه، وكذلك موقف الهجوم ضد ما

(١) وول ديورانت ـ قصة الحضارة ـ جـ٨ ـ ترجمة محمد بدران ـ مكتبة الأسرة ـ القاهرة ٢٠٠٠ ـ ص ٣٠٢.

(٢) عباس العقاد ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومة ـ مكتبة الأسرة ـ القاهرة ـ ١٩٩٩ ص ١٠٣.

يقيد حريته، وهنا كان للوحي الإلهي مكان في المساواة التي شرعت للإنسان شريعتها وجعلتها حقاً من حقوق الخلق والتكوين.

إن مقاومة الإنسان للشر أيّاً كان مصدره رد فعل طبيعي لا يمكن تجاوزه، نرى ذلك في مقاومة الأعاصير والفيضانات والزلازل، كما نراها في مقاومة شرور النفس، وأيضاً في مقاومة الاستبداد والاستكبار، وتأخذ المقاومة صوراً متعددة ولكنها تستقي من ثقافة واحدة مصدرها الإيمان الفطري بوجود خالق للكون، وصيرورة فكرية مرتبطة بفطرة الإنسان المجبولة على إنكار الظلم والبحث عن العدل.

ثقافة المقاومة في المنظور الرسالي... ثورة الضمير:

أصدق ما قيل في الأديان العالمية إنها ثورات واسعة؛ ولا تقاس السعة في هذه الثورات بامتداد المكان ولا بكثرة العدد لأنها أوسع ما تكون إذا نشبت في داخل النفس الإنسانية وكانت القوة الثائرة والقوة المتغلبة فيها مملكة واحدة هي مملكة الضمير[1].

ولأن مصادر الأديان واحد فإن كل مفردات الثورة تتماثل سواء في الملكوت الذي بشر المسيح عليه السلام أو الفردوس الذي نادى به محمد صلى الله عليه وآله، أو ما نادى به إبراهيم عليه السلام من قبلهما بالحنيفية، بعد أن جعله الله أباً لجمهور من الأمم، حيث لا يمكن الوصول إلى هذه المراتب إلا بالثورة ودفع العدوان ونبذ الظلم وكبح الأثرة لترك الإنسان على فطرته وحريته واختياره، هي ثورة الضمير إذن، وهي المقاومة المثالية في أعلى صورها لأنها تقاوم النفس كما تقاوم العدوان على الأرض، تقاوم الاستعلاء والاستكبار والاحتلال كما تقاوم الخنوع والضعف والاستكانة.

---

(١) المصدر السابق ـ ص١٠٨.

ولأن الإسلام خاتم الرسالات فهو ثورة متجددة تحوي المضمون العقلي والعاطفي في مواجهة الصراع مع النفس ومع المعتدين لأنه يمثل أعظم طاقة وأكبر قوة تمتاز بها الحالة الإسلامية، لأن الإيمان بالله تعالى وبالرسالة واليوم الآخر والمضمون الأخلاقي والتشريعي ومشاعر الحب والولاء لله تعالى والعداء للشيطان وكل معالم الشر والخوف من العذاب والأمل في الفوز بالجنة والأهداف السامية النبيلة المتمثلة بالرضوان الأكبر هو القوة الحقيقية التي تتنزل عليها الملائكة[1] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2].

وبذلك يصبح المضمون المعنوي والروحي أهم بعد في مستلزمات الموقف إزاء هذه المواجهة، وحالة الإيمان بالله تعالى والشحن الروحي والعاطفي للإنسان المؤمن بالله وبالرسالة والرسول واليوم الآخر تأتي في مقدمة أبعاد هذا التطوير، الأمر الذي يحتاج إلى منهج للعقيدة والتزكية والتربية النفسية والروحية[3].

الإسلام ثورة بكل ما في الثورة من مفردات المقاومة والتحدي، وثورية الإسلام هي السبب الرئيسي في استمرارية وجود الإسلام، وتقود هذه الطبيعة الثورية إلى الصياغة الإلهية المعجزة التي أثارت درجة عالية من الانبهار والانفعال والإيحاء[4]، ودولة الإسلام التي أسسها النبي (لم تعرف الظلم ولا القهر، فالقرآن وحده الذي يستطيع أن يبني دولة لا تعرف الاضطهاد ولا الظلم)[5].

---

(١) السيد محمد باقر الحكيم ـ الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين ـ مركز يافا ـ القاهرة ٢٠٠١ ـ ص ٢٧.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٠.

(٣) الوحدة الإسلامية ـ مصدر سابق ـ ص ٢٧.

(٤) جمال البنا ـ تثوير القرآن ـ دار الفكر الإسلامي ـ القاهرة ـ بدون تاريخ ـ ص ١٨.

(٥) المقولة للإمام الخميني نقلاً من كتاب: التاج الإيراني ـ آسيمه جانو ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ ١٩٨٧ ـ ص ١٢٠.

إن مقولة طلب العدل تعني مقاومة الظلم، وطلب الأريحية تعني مقاومة الأثرة، وأهواء النفس، ويعني ذلك كله الثورة ضد الأوضاع المقلوبة، والأفكار النرجسية.

ولذلك فإن بحثنا في فكر المقاومة الرسالي سيعتمد على ما جاء في القرآن الكريم وفي سيرة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

ثقافة المقاومة في القرآن الكريم:

الإسلام هو دين التوحيد المطلق، الدين الذي اعترف بالألوهية المطلقة الكاملة لله سبحانه وتعالى، فليس في مفهوم الله عند المسلم شبهة نقص ولا شبهة مماثلة للكون أو الماديات أو الكائنات الفانية أو المتحولة[1]، فالله سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وليس في التصور الإسلامي أي ملامح بشرية للإلة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾[2] ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[3] ولذلك فإن التسليم بالألوهية المطلقة أو الكمال الإلهي والتفرد المطلق للذات الإلهية، لم يقصد به تكريم الله سبحانه فهو غني عن العباد، وإنما لتحرير الإنسان، لأنه يعني في الحقيقة تجريد الإنسان من الألوهية، هذا هو جوهر فكرة التوحيد عند التطبيق أو الممارسة في حياة البشر نزع الألوهية عن الناس، وبذلك يتساوى البشر جميعاً في الآدمية بالعجز والقصور والفناء والهلاك والإهلاك[4]...

إن التوحيد حرر العقل والإنسان المسلم، وحمل المسلم مسؤولية التفريط في تلك الحرية، فالتفريط فيها يعني العودة إلى ما قبل الرسالة التي جاء بها النبي والقرآن.

---

(١) محمد جلال كشك ـ خواطر مسلم عن الجهاد والأقليات والأناجيل ـ منشورات العصر الحديث ـ القاهرة ـ ١٩٨٥ ـ ص ١١.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٤) خواطر مسلم ـ مرجع سابق ـ ص١٣.

لقد وضح القرآن هذه الحقيقة الثورية عندما تحدث عن الأقوام الذين ظلموا الرسل وظلموا أنفسهم وظلموا الناس، وقيدوا حريتهم وقراراتهم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1]، ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[2]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ...﴾[3].

نرى أن الله سبحانه يأخذ الذين ظلموا بقانون الانتقام الدنيوي للجماعات عندما تتزايد حالة الانحراف وتتزايد الذنوب، وكلف الإنسان بالحرص والدفاع عن حريته وكرامته، وهي مسؤولية البشر.

كذلك نجد أن القرآن الكريم حدَّد بصراحة أن قانون الاختلاف يحكم البشر ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[4].

القرآن الكريم عندما اعترف باختلاف البشر، اعترف ضمناً بحرية هؤلاء البشر في الاختيار حتى بين الأديان والكفر، منذ شاءت إرادة الله هذا التنوع لكي يتعارف البشر ويتعاونون فيما بينهم، فالقرآن إطلاقاً لم يبشر بوحدة الجنس البشرى في عقيدة واحدة، والإسلام جاء ليحمي هذا التمايز لإقرار حق البشر في الاختلاف، ومجاهدة كل من يرغم البشر على أي فكرة فلا جبر للإنسان في الدخول في الملكوت، والرسول الكريم بشير ونذير للعالم، ليس له من الأمر شيء في جبر الناس في الدخول في الإسلام:

(١) سورة هود ـ الآية ١٠٢.
(٢) سورة هود ـ الآية ٦٧.
(٣) سورة آل عمران ـ الآية ١٣٥.
(٤) سورة هود ـ الآيتان ١١٨ ـ ١١٩.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[1]، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[2] و﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾[3]، و﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا...﴾[4]

فلأن الإسلام رسالة السماء للجنس البشري كله، ولأنه اعترف بوجود الاختلاف والتمايز بين البشر، ولأنه أكد حرية الإنسان في الاختيار بين الكفر والإيمان أو اعتناق رسالة سماوية أو وضعية سابقة، فإنه قاوم الظلم تحت أي شكل حتى لو كان هذا الظلم باسم الإسلام، كما شرع الحرب للدفاع عن المظلومين، وليس في القرآن الكريم أي إشارة للحروب إلا لرد العدوان وحماية المظلومين.

وحدد ردّ العدوان بـ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[5]، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[6]، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ...﴾[7] وآية ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[8] حددت هذه الآية الجهاد بعدم الطاعة للكافرين والدعوة إلى الله بالهدى والمجادلة ودفع العدوان إذا حدث.

وسيرة النبي الأعظم جعلت المفهوم القرآني نبراساً للمسلمين، فالنبي (ظل يدعو قومه ثلاث عشرة سنة كاملة متحملًا ومعه صحابته الإيذاء والنفي صابراً، وبعد تأسيس الدولة في المدينة لم يقم مطلقاً بشن حرب ضد

(١) سورة الغاشية: الآية ٢٢.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٧.
(٣) سورة الرعد: الآية ٧.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٤٥.
(٥) سورة النحل: الآية ١٢٦.
(٦) سورة الحج: الآية ٣٩.
(٧) سورة النساء: الآية ٧٥.
(٨) سورة الفرقان: الآية ٥٢.

القرشيين رغم العداوة السافرة التي أبداها أهل مكة وأحلافهم للدين الجديد، لا يكتم المشركون أنهم عقدوا النية على الإيقاع بمحمد وأصحابه، فكانت حروب بدر وأحد والخندق جميعها بدأت من المشركين، أما قبائل الجزيرة العربية لم يحاربها الرسول إلا بعد أن بادروا بالعدوان كما حدث من قبل قبائل اليهود.

فهذا هو حق السيف كما استخدمه الإسلام في أشد الأوقات حاجة إليه؛ إن حق السيف مرادف لحق الحياة، وعندما أوجبه الإسلام فإنما أوجبه لأنه مضطر إليه أو مضطر إلى التخلي عن حقه في الحياة وحقه في حرية الدعوة والاعتقاد، فإن لم يكن درءاً للعدوان والافتئات على حق الحياة وحق الحرية فالإسلام دين السلام[1].

لقد جمعت حلاوة الإيمان والأمل في المستقبل بين أعضاء المجتمع الإسلامي الأول، واعتبر مجتمع (يثرب) أول تجربة إيمانية مكتملة في التاريخ الإنساني ويرجع ذلك إلى أسباب منها أن قلوباً كثيرة توافقت مع نغمات دعوة النبي ﷺ رفعت أذرعاً وأحضاناً مشتاقة لوجه الإسلام، واتجه النبي ومعه عقلاء غير متعصبين وشعوب كادحة عطشى للحرية والكرامة، وإن هذا النبي ﷺ كان يتحدث عن العقل والتحرر من جميع أشكال العبودية وكذلك المساواة، ودام هذا الوضع ثلاثين عاماً تقريباً هو عصر خلفاء النبي[2].

برحيل النبي ﷺ أصيبت وحدة الأمة الإسلامية المثالية والتي كانت

---

(١) حقائق الإسلام - مرجع سابق - ص ١٦٩.

(٢) محمد خاتمي - الدين والفكر في فخ الاستبداد - ترجمة د. ثريا محمد علي وعلاء عبدالعزيز السباعي - مكتبة الشروق - القاهرة - ٢٠٠١ - ص ٣٢.

ملاحظة: - صرفنا النظر عن الخلافات السياسية التي حدثت بعد وفاة النبي ﷺ لأنه خارج عن نطاق بحثنا عن ثقافة المقاومة، والتجربة الإسلامية مليئة بكل صور التحرر من الجمود والتعصب فضلاً عن قتال المخالف على أساس عقائدي.

تعتمد حضوره القوي، وبدأت مشكلة المشروعية في النظام السياسي اشتدت في زمان الأمويين والعباسيين ودامت حتى سقط نظام الخلافة على يد المغول[1].

يمكن تلخيص التجربة النبوية في تحرير العقل وتحرير الإنسان وعدم **إيذاء المخالف بسبب رأيه، فهذا حرقوص بن زهير يعترض على الرسول عندما كان يوزع غنائم هوازن وقال له: اعدل فإنك لم تعدل أو هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، لم يحاسبه النبي وكل ما قاله له: ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل.**

وكما قضى النبي ﷺ على الشرك قضى على العصبية (وإن ظلت تطل برأسها أحياناً)، قضى عليها بسيرته أولًا وبإشاعة قيم المساواة والإخاء، ورغم ما حدث بعد وفاته فإن التجربة الرسالية ظلت تتحقق روحياً، فقد ظل المسلمون يعتقدون المساواة ولو نظرياً[2] أو على المستوى الشعبي.

ثقافة المقاومة في فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام:

طرح الأئمة من أهل البيت عليهم السلام نظرية للمقاومة تقوم دعائمها على تأكيد أولوية الوحدة الإسلامية وهي نظرية تتسم بالواقعية والمصداقية والتجربة الحقيقية والمعافاة والقدرة على الصبر والتحمل والسيطرة على العواطف والأحاسيس وتحكم منهج القرآن والحكمة والعقل وتقديم المصلحة الإسلامية العليا على جميع المصالح الثانوية الأخرى[3] ولعل هذا المبدأ هو

---

(١) المصدر السابق.

(٢) لا بدَّ من الفصل هنا بين السياسة والدين، فحتى بعد أن استقرت الخلافة لأبي بكر وعمر وعثمان مع اعتراضات علي بن أبي طالب عليه السلام السلمية ظلت الأخوة الإسلامية تمثل إطار الوحدة الإسلامية لأنها تعطي هذه الوحدة شكلها الاجتماعي وقيمها الإنسانية، ساعد على استقرارها الدعم المستمر من الإمام للنظام السياسي رغم أنه أكد على أحقيته في الخلافة.

(٣) الوحدة الإسلامية ـ مرجع سابق ـ ص١٠٠.

الذي كان يحكم موقف الإمام علي في سكوته تجاه قضية الخلافة فقال (فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى ثلماً أو هدماً تكون به المصيبة عليَّ به أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل)[1] وقال عليه السلام عن الذين يحكمون المسلمين بغير كتاب الله: **إِنَّ أَبْغَضَ الخَلائِقِ إِلَى اللهِ تعالى رَجُلانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ.**

وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا، موضِعٌ في جُهَّالِ الأُمَّةِ، غادر في أَغْبَاشِ الفِتْنَةِ، عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الهُدْنَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ، مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ، وَاكْثَرَ مِن غَيْرِ طَائِلٍ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا التَبَسَ عَلَى غيْرِهِ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى المُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثّاً مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ العَنْكَبُوتِ: لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، إِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ. جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالَاتٍ، عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعَضَّ عَلَى العِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ، يُذْرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الهَشِيمَ، لَا مَلِيءٌ وَاللهِ - بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إِلَيْهِ، لَا يَحْسَبُ العِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مِنْهُ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، وَتَعِجُّ مِنْهُ المَوَارِيثُ. إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا، وَيَمُوتُونَ ضُلَّالًا، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الكِتَابِ إِذَا

(١) نهج البلاغة - دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ كتاب ٦٢ ص ٤٥١.

تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً وَلَا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ المَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ المُنكَرِ!

كان همّ الإمام همّ الرعية أو الإنسان؛ وديدنه مجاهدة الظلم من أي وجه جاء وتحت أي شعار؛ وفي نفس الوقت الحرص على وحدة الأمة؛ وهي معادلة صعبة تمكن الإمام من التعامل معها؛ ولذلك قال أيضاً: **اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْد مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، وَالآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ..**

الانتصار لله هو في الحقيقة انتصار للمظلوم وأخذ حق الحياة له، وهذا هو ما حدا بالإمام الحسن عليه السلام إلى التنازل عن الخلافة لصالح معاوية، فقد كان يرى أن معاوية صمم على استمرار حربه مهما سقط فيها من قتلى وجرحى، واستئصال كل الجماعة الصالحة، كما رأى عدم توانيه عن انتهاك حرمات بيوت المسلمين لأخذ البيعة، وقام أمراؤه بذلك، رأى الحسن عليه السلام أن يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين وحرصاً على ما بقي من الجماعة الصالحة من الزوال في محاولة للحفاظ على الدين نفسه الذي لا يتورع الحاكم من قتل المؤمنين إذا تصدوا لما اعتبره الملك.

ولو نظرنا لثورة الإمام الحسين عليه السلام لرأيناها تتسق وتتفق مع المفهوم الرسالي ولما قام به الحسن ومن قبله علي عليهما السلام، فالحسين عليه السلام رأى موقف الحسن عليه السلام حقناً للدماء وحرصاً على وحدة الأمة ودين محمد صلى الله عليه وآله، ولكن الحسين عليه السلام رأى دين الله يكاد ينتهي فكان موقفه المقاوم للدولة التي تريد محق دين الإسلام نفسه، لأن الطريقة التي تم بها اختيار يزيد والثقافة السياسية العامة التي تعطى الشرعية لقمع أي حركة

سياسية معارضة حتى لو لم تكن مسلحة والتي جند لها مجموعة من المرتزقة ووضّاع الحديث وأصحاب القلوب المريضة، فقاوم الحسين عليه السلام هذا الانحراف العمدي عن الدين فقام بثورته التي جاد فيها بدمه الزكي، وكان هذا الدم المراق هو الذي أعاد الوعي للأمة فقامت الحركات المعارضة المستمرة للنظام حتى سقط بعد أقل من سنتين على استشهاده، وكون الفكر الثوري المقاوم الكربلائي منهجاً لكل الثائرين من بعده، وهو فكر ثوري قرآني رافض للظلم؛ وقد حدد الحسين عليه السلام القضية في كلمته الشهيرة: إن الدعي ابن الدعي قد خيرني بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة.

ثم قامت في البلاد الإسلامية ثورات عارمة كان يقود معظمها أولاد الأئمة عليهم السلام وقد شجع الأئمة عليهم السلام هذه الثورات لأنها الطريق لمنع الظالمين من محاربة الإسلام، ولقد حفظت ثورات أولاد الأئمة عليهم السلام مقداراً كبيراً من معالم الدين، فقد كانت هذه الثورات كالسيف المسلط على رؤوس الحكام الطغاة كلما أرادوا أن يسرفوا في انحرافهم، ومن جملة هذه الثورات التي أسهمت في دفع المسيرة الراشدة في التحرك ثورة زيد بن علي الشهيد، وثورة محمد النفس الزكية.

لكن وحدة الأمة الإسلامية ظلت هاجساً يؤرق فكر الأئمة عليهم السلام، فظلوا يعملون على المواءمة بين الحرص على وحدة الدولة وفي نفس الوقت مقاومة الظلم والخلفاء الظالمين.

فقد كان هؤلاء الأئمة عليهم السلام يحثون شيعتهم على القيام بواجباتهم في الدفاع عن الدولة الإسلامية والمرابطة على الثغور، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يدعو لأهل الثغور بالنصر ويمجد أعمالهم وجهودهم، كما كان للإمام الباقر عليه السلام دور في وحدة الأمة فقد اقترح على الخليفة الأموي أن تقوم الدولة الإسلامية بنفسها بضرب النقود لتحريرها من الهيمنة الرومانية التي كان يتعامل بنقدها الخلفاء الأمويون، لم يمنعه ظلم بني أمية وعدم شرعية حكمهم من النصح للخليفة لما رأى فيه خير للدولة الإسلامية ككل.

وقاوم الإمام جعفر الصادق عليه السلام الثقافات الوافدة من خلال نقدها وطلب من المسلمين أخذ ما فيها من حسن كعلوم الطب والهندسة والكيمياء، وتصدى في الوقت نفسه للحركات الإلحادية التي صاحبت هذه الثقافات الوافدة.

وعلى نفس النهج الذي يحرص على وحدة المسلمين كدولة استمر الأئمة عليهم السلام في رعاية الفكر ومقاومة الفتن في عهد الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام فقد عملًا على استيعاب الشريعة للحوادث المستجدة والمعقدة نسبياً للحياة الاجتماعية الإسلامية في القضايا الكبرى للأمة.

وكما حرص الأئمة عليهم السلام على وحدة الأمة حرصوا على التصدي للطغيان، ومن هنا نجد مواقف وأقوال الأئمة عليهم السلام تتخذ أسلوب النقد والإصلاح والإدانة تجاه الحاكم، وتشتد وتيرة هذه الفعاليات متناسقة مع وتيرة الانحراف والطغيان الذي كان يمارسه هذا الحكم، فقد ذكروا في أقوالهم أحقيتهم بالولاية، لأنهم كانوا بحاجة لأن يحفظوا لشيعتهم وللمسلمين الحقيقة التي يعتقدون بها في هذا الحق[1]، ولكن ذلك لم يمنعهم من الإسهام الفكري والسياسي للمسلمين وحثهم للمسلمين على المشاركة في القتال والمرابطة على الثغور.

وأيضاً ـ وفي نفس السياق ـ منعوا شيعتهم ومن يأخذ برأيهم من المسلمين المشاركة في عمليات الغزو التي كان يقوم بها بعض حكام المسلمين من أجل المزيد من الغنائم أو السيطرة والهيمنة على الأراضي، لأن مثل هذه الحروب لم تكن مبررة دينياً وشرعياً، فعن محمد بن عبد الله السمندري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إني أكون بالباب (يعني باب الأبواب) فينادون السلاح (أي الدعوة للاشتراك في القتال) فأخرج معهم، قال: فقال لي: أرأيت إن خرجت فأسرت رجلًا فأعطيته الأمان وجعلت له من

(١) الوحدة الإسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٤.

العقد ما جعله رسول الله ﷺ للمشركين، أكانوا يفون لك به؟ قال: قلت: لا والله جعلت فداك ما كانوا يفون لي به، قال عليه السلام: فلا تخرج[1].

كما أنهم منعوا شيعتهم من التعاون مع الحكام ولو بخيط إبرة في بعض الأدوار لحرمة هذه المعونة وخوفاً على شيعتهم من الانزلاق في منحدرات الظلم والطغيان والشهوات، فقد روي أن صفوان الجمّال كان يكري إبله إلى هارون الرشيد ليحج عليها إلى بيت الله الحرام، فدخل على الإمام موسى الكاظم عليه السلام فلما استقر به المجلس التفت له الإمام عليه السلام قائلًا: يا صفوان: كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً، فذهل صفوان وذابت نفسه فقال للإمام عليه السلام: جعلت فداك أي شيء هو؟ قال: كراؤك جمالك من هذا الطاغية - يعني هارون - فقال: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو ولكن أكريته لهذا الطريق - يعني طريق مكة - ولا أتولاه بنفس ولكن أبعث معه غلماني، فقال له الإمام عليه السلام: يا صفوان أيقع كراك عليهم؟ قال: نعم جعلت فداك، قال عليه السلام: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟ قال: نعم، قال: من أحب بقائهم فهو منهم، ومن كان منهم كان وارداً للنار، فانطلق صفوان فباع جماله، فبلغ ذلك هارون فاستدعاه، فلما مثل عنده قال له: يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك، قال: نعم، قال: لِمَ؟ قال: أنا شيخ وإن الغلمان لا يقومون بالأعمال، قال: هيهات إني لأعلم من أشار عليك .. موسى بن جعفر عليه السلام[2].

خلاصة القول:

إن فكر الأئمة عليهم السلام يقوم على دعامتين للمقاومة هما وحدة الأمة ومحاربة أعدائها؛ ودفع الظلم، وقدم الأئمة عليهم السلام نموذجاً في التصدي

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر نفسه.

لهاتين القضيتين، فثورات المسلمين عموماً ضد الأنظمة الفاسدة استقت تعاليمها من ثورات الإسلام وتعاليم الأئمة عليهم السلام خاصة ثورة الحسين عليه السلام التي تعتبر نموذجاً لرفض الطغيان، ونستطيع أن نعدد ثورات المسلمين ضد الاستكبار العالمي والقهر الداخلي لنجدها دوماً تقوم على أسس دينية ثورية مثل ثورة الجزائريين والمغاربة ضد الفرنسيين ومصر ضد **الاحتلال الأجنبي البريطاني والثورة الهندية الكبرى عام ١٨٥٧ أشعلها المسلمون، والثورة الإيرانية عام ١٩٠٦ وأثناء حركة مصدق، وثورة الشام ضد الاحتلال الفرنسي،** والثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦، ثم الثورة الإسلامية الكبرى في إيران **والمقاومة الفلسطينية والمقاومة الإسلامية في لبنان جميعها انطلقت من مفاهيم إسلامية ثورية.**

حزب الله.. الشهيد محور التاريخ:

لسنا بصدد الحديث عن كيفية إنشاء حزب الله وتأسيسه ومقاومته للاحتلال الصهيوني وإجباره اليهود على الانسحاب من الجنوب اللبناني دون توقيع اتفاقيات سلام ولا الدخول في متاهات المفاوضات.

لكنا نريد الربط بين رؤية حزب الله للمقاومة ضد الاستكبار الصهيوني وبين المنهج الرسالي للمقاومة العامة وكما فسرها وترجمها الأئمة.

أولًا: لا بدَّ من إعادة القول بأن المنطقة الإسلامية الجغرافية تتعرض لحملات متتالية منذ مائتي عام من الاستعمار الغربي الذي ما انفك يحاول إعادة الاستعمار بطرق مختلفة وبغرض الهيمنة ثقافياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً دون الوقوف في وجهه باستراتيجية واضحة ومحدودة، أو بثقافة تقاوم هذا الاحتلال وتكون قائمة على المنهج القرآني.

وبسبب هذا الخلل وعدم المناعة الثقافية والعسكرية للدول الإسلامية احتلت فلسطين، وقام اليهود بالتوسع خلال خمسين عاماً على حساب

الأراضي العربية بالإضافة إلى خذلان الأنظمة التي لم تحارب اليهود وتقمع شعوبها بحجة الاستعداد للحرب ضد إسرائيل.

كانت خسارة فلسطين امتداداً للخسارة التي لحقت بالمسلمين والتي شكلت عاملًا جديداً من عوامل البحث عن إمكانية استعادة الذات فاندلعت الثورات وظهرت حركات تحرير لم تفلح في الوصول إلى أهدافها وبقيت قاصرة عن تحقيق الطموحات الجماهيرية لأسباب عدة وجوهرية لعل منها غياب الاستراتيجية ـ كما قلنا ـ أو عدم وضوحها، وبذلك وقعت فريسة في أيدي المخططين الكبار.

كان وما زال لبنان أحد البقاع التي تمثل جزءاً من المشروع الصهيوني للوصول إلى مياه نهر الليطاني لري الجليل الأعلى والحصول على الطاقة الكهرومائية وهذا هو السبب الأول، والثاني أن لبنان ضمن الدولة الصهيونية المزمع إنشاؤها من النيل إلى الفرات.

لذلك استهدفت إسرائيل لبنان منذ السبعينيات خاصة بعد استقرار المقاومة الفلسطينية فيها، لأن المقاومة الفلسطينية كانت أول مقاومة منظمة ذات قيادة سياسية وعسكرية وتعتمد على انطلاق خارجي (لبنان) وامتداد داخلي في فلسطين وتمارس عملًا مسلحاً وهذه الحالة دفعت إسرائيل لتوسيع نفوذها في لبنان من خلال الهجمات على القرى والبلدات، ثم قامت باجتياح الأراضي اللبنانية ففي ٦يونيو /حزيران، العام ١٩٨٢ وصل الجيش الإسرائيلي إلى بيروت، وكان من نتائج هذا الاجتياح إخراج المقاومة الفلسطينية من لبنان إلى تونس، وكانت بداية تأسيس حزب الله.

حزب الله وثورة المستضعفين:

استقبل المسلمون أنباء انتصار الثورة الإسلامية في إيران بالفرحة الغامرة والابتهاج واعتبروها قوة روحية تقف إلى جانبهم في مواجهة عدوهم

الصهيوني ـ الأميركي، رأى المسلمون ثورة شعبية دينية تقوم على الإسلام، ثورة يقودها جماهير عزل تواجه جيشاً في عنفوان قوته وتنتصر عليه، وترفع شعارات تحرير الإنسان والتصدي للقوى الكبرى الاستعمارية.

ورأى المسلمون كذلك كيف قامت هذه القوى الاستعمارية بفرض حصار على الثورة وإدخالها في حرب بعد انتصارها بعام واحد لمنع انتشار أفكارها وإشغالها بالحرب عن المهمة الأولى التي قامت من أجلها وهي تحرير شعب إيران من الطغيان وتحرير الأماكن المقدسة في فلسطين من الاحتلال الصهيوني.

«إن الشهيد هو محور التاريخ»[1]، هذه إحدى عبارات الإمام الخميني، وهي مقولة صدق فالشهيد هو البطل الحقيقي، هو الذي صان الإسلام من الانحراف العقائدي في ثورة الحسين الشهيد عليه السلام، وهو الذي تمكن من الانتصار على الشاه وجيشه.

ومن وحي كربلاء قال الإمام الخميني: «لقد علّم سيد الشهداء عليه السلام الجميع سبل مواجهة الظلم والجبروت والحكومات المستبدة، ورغم أنه كان يعلم أن الطريق الذي يسير فيه يتطلب التضحية بأصحابه وأهل بيته من أجل الإسلام فإنه أصرَّ على المضي فيه لأنه كان يدرك عاقبة الأمور، وفي اليوم الذي يدرك فيه المسلمون إمكانية تعرض الإسلام للخطر فإن عليهم حينذاك أن يقوموا بنفس عمل الإمام الحسين عليه السلام، في اليوم الذي نرى أن الإسلام يتعرض للخطر فإن علينا التضحية» ومن نفس الوحي الكربلائي قال السيد علي الخامنئي: من وحي عاشوراء أطمئن المسلمين أن مستقبلًا مشرقاً ينتظرنا ما دمنا نتمسك بخط الحسين عليه السلام ونحيي ذكره سنوياً، وما دمنا نعرف لماذا ثار الحسين عليه السلام ولأي هدف استشهد وطبقاً لوصاياه يجب الاتحاد والتآزر ونبذ الفرقة والتشتيت».

(١) نقلًا عن كتاب مدافع آية الله ـ محمد حسنين هيكل ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ـ ص١٩٣.

من هذا المنطق الكربلائي صاغ السيد حسن نصر الله وعي المقاومة اللبنانية فقال: وعندما نتطلع إلى كربلاء يمكن أن نستلهم منها كل أدوات المعركة للوقوف في وجه المستكبرين والظالمين والجاهلين، يمكننا أن نستلهم حب الله والعشق، الصبر والأخلاق، الإيثار والتضحية، وهكذا ينتصر الإسلام ويحفظ الدين وتستمر الرسالة، ولذلك كانت كربلاء ضمانة لمستقبل الإسلام.

ولذلك؛ وفي لبنان نظر الشيعة في الجنوب اللبناني إلى الثورة الإيرانية باعتبارها نواة دولة الإسلام المركزية في العالم والملتزمة بأوامر الولي الفقيه الجامع للشرائط خاصة وأن فكرة الولي الفقيه لها وجود تاريخي في الجنوب اللبناني، نادى بها الشهيد الأول الشيخ محمد بن مكي الجزيني الذي جعل من جزين مدرسة علمية دينية لنشر أفكاره ولتعميم التعليم الديني في جبل عامل، وكانت فلسفته تقوم على رؤيا واجتهاد فقهي لنظام الحكم ركيزته الفقهاء أو ما سماه (نائب الإمام) بما لها من مدلول سياسي وفقهي، لكن سلطة الحكم المملوكي تآمرت عليه فقتلته بعد محاكمة صورية قبل أن يقرر اللجوء إلى إيران؛ ثم سقط الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي الجبعي، كانت سنوات الاضطهاد تدفع العلماء والطلاب إلى الهجرة لإيران والعراق فنشأ ترابط بين المراكز الدينية والعلمية الثلاث في قم والنجف وجبل عامل[1].

ولذلك كان المسلمون في لبنان أكثر الناس فرحاً بانتصار الثورة الإسلامية في إيران، ورأوا فيها رصيدهم الداعم لمواجهة الصهيونية خاصة بعد إخفاء الإمام موسى الصدر في ليبيا قبيل انتصار الثورة، وعدم وجود قيادات فاعلة تملأ الفراغ الذي تركه.

(١) محمود جابر ـ إنه حزب الله ـ مركز يافا للدراسات ـ القاهرة ٢٠٠٤ ـ ص١٥.

فنظرية ولاية الفقيه نظر إليها المسلمون الشيعة باعتبارها إضافة إلى رصيدهم الذي قدمه الشهيدان لنفس الفكرة منذ قرون؛ الفكرة التي ظلت تنتقل من جيل إلى جيل حتى الإمام الخميني ليكون الولي الفقيه الجامع للشرائط والواجب الطاعة من عامة المسلمين[1]، وقبل عام ١٩٨٢ كانت العلاقة بين الاتجاه الإسلامي في لبنان والإمام الخميني علاقة معنوية أدت إلى جوٍ إيجابي ظل ينمو مع مرور الوقت.

بسبب الحرب مع صدام حسين لم تتمكن إيران من دعم المقاومة الإسلامية في لبنان في البداية؛ ولكن وفي شهر يونيو/حزيران العام ١٩٨٢ استهدفت إيران مؤتمراً للحركات الإسلامية بمناسبة يوم المستضعفين في العالم والذي كان يصادف الخامس عشر من شهر شعبان ذكرى ميلاد الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري صاحب الزمان، وأثناء انعقاد المؤتمر وصلت الأنباء باجتياح إسرائيل للجنوب اللبناني ووصول القوات الإسرائيلية إلى بيروت، وخيَّم هذا العدوان على فعاليات المؤتمر، وألقى رئيس المجلس الوزاري الإيراني آنذاك الشيخ هاشمي رفسنجاني كلمة أعلن فيها للحاضرين إرسال وفد عسكري سياسي إلى سوريا للبحث مع المسؤولين السوريين للموافقة على سماح سوريا لوحدات من الحرس الثوري لعبور الأراضي السورية إلى لبنان للمساعدة في التصدي للاحتلال الصهيوني.

وقال الإمام الخميني للوفد الجنوب ـ لبناني بقيادة الشهيد عباس الموسوي الذي وصل إلى طهران في يوليو /حزيران: إن المهم هو العمل، ومرحلتكم مرحلة كربلائية ولا تنتظروا قطف الثمار في حياتكم.... وقال: يجب أن نقاوم وبرجولة جميع السفاكين[2].

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر نفسه.

وكانت بداية تأسيس حزب الله بقيادة السيد عباس الموسوي الذي أصبح فيما بعد الأمين العام لحزب الله حتى استشهاده على يد الصهيونية في ١٦ فبراير/ شباط ١٩٩٢؛ لم تكن النشأة الأولى للحزب يسيرة نظراً لما كان يمر به لبنان من ظرف استثنائي معقد، ولكنه استطاع أن يتخطى العقبات وأن يقلص الفارق بين البعدين الوطني والديني وأن ينأى بنفسه عن الخلافات الداخلية وأن يتفرغ لمواجهة الصهيونية في الجنوب. وقال السيد حسن نصر الله: إن السلطة تريد أن تحول جنودنا في مؤسسة الجيش إلى خدمة الأميركيين، ونحن أتينا بلا رصاص ولا سلاح لأننا لا نريد أن نقتل إخواننا، ثم اتبع الحزب أساليب المواجهات الشعبية والعمليات الاستشهادية، وكان لاستشهاد الشيخ راغب حرب (شيخ شهداء الجنوب) نوراً أضاء الطريق ورمزاً للمقاومة وأصبح ذكرى استشهاده يوماً يحييه الحزب كل عام لاشتمالها المعاني الروحية.

الخطاب السياسي لحزب الله:

يتمثل الخطاب السياسي لحزب الله في الرسالة المفتوحة إلى المستضعفين في ١٩٨٥/٢/١٦ والتي تمثل النهج الرسالي للمقاومة وأسسها القرآنية، وقد جاء فيها:

نحييكم ونخاطب من خلالكم العالم بأسره شخصيات ومؤسسات، أحزاباً ومنظمات وهيئات سياسية وإنسانية وإعلامية، ولا نستثني أحداً، لأننا حريصون على أن يسمع صوتنا الجميع، فيفهموا ويستوعبوا طروحاتنا ويتدارسوا مشروعنا، إننا أبناء أمة حزب الله، نعتبر أنفسنا جزءاً من أمة الإسلام في العالم، التي تواجه أعتى هجمة استكبارية، من الغرب والشرق على السواء، بهدف تفريغها من مضمونها الرسالي الذي أنعم الله به عليها، لتكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ثم تنتقل الرسالة إلى المطالبة للتصدي لقوى الاستكبار التي تهدف إلى

استلاب خيراتها وثوراتها، واستثمار طاقاتها وكفاءات أبنائها، والسيطرة على شؤونها كافة ثم تقول الرسالة: نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة، تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضراً بالإمام المسدد، آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني دام ظله، مفجر ثورة المسلمين، وباعث نهضتهم المجيدة.

وعلى هذا الأساس، فنحن في لبنان لسنا حزباً تنظيمياً مغلقاً، ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً... بل نحن أمة ترتبط مع المسلمين، في أنحاء العالم كافة، برباط عقائدي وسياسي متين هو الإسلام.

ومن هنا، فإن ما يصيب المسلمين في أفغانستان أو العراق أو الفلبين أو غيرها، إنما يصيب جسم أمتنا الإسلامية التي نحن جزء لا يتجزأ منها، ونتحرك لمواجهته انطلاقاً من واجب شرعي أساساً، وفي ضوء تصور سياسي عام تقرره ولاية الفقيه القائد.

أما ثقافتنا، فمنابعها الأساسية، القرآن الكريم، والسنة المعصومة، والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد عندنا! وأما قدرتنا العسكرية فلا يتخيلن أحد حجمها، إذ ليس لدينا جهاز عسكري منفصل عن بقية أطراف جسمنا، بل إن كل واحد منا يتولى مهمته في المعركة.

العالم المستكبر متفق على حربنا:

إن دول العالم المستكبر الظالم، في الغرب والشرق، قد اجتمعت على محاربتنا، وراح حكامها يحرضون عملاءهم ضدنا، يحاولون تشويه سمعتنا وافتراء الأكاذيب علينا.. في محاولة خبيثة للفصل بيننا وبين المستضعفين الطيبين، في سعي حثيث لتقزيم ومسخ الإنجازات المهمة والكبرى، على مستوى مواجهتنا لأميركا وحلفائها..

لقد حاولت أميركا، عبر عملائها المحليين، أن توحي للناس بأن من

قضى على غطرستها في لبنان، وأخرجها ذليلة خائبة، وسحق مؤامرتها على المستضعفين في هذه البلاد، هم ليسوا إلا حفنة من المتعصبين الإرهابيين، الذين لا شأن لهم إلا تفجير محلات الخمور والقمار وآلات اللهو وغير ذلك، ولكن كنا على يقين بأن مثل هذه الإيحاءات لن تخدع أمتنا لأن العالم بأسره يعلم أن من يفكر بمواجهة أميركا والاستكبار العالمي، لا يلجأ إلى مثل هذه الأعمال الهامشية، التي تشغله بالذيل عن الرأس.

أميركا وراء كل مصائبنا:

إننا متوجهون لمحاربة المنكر من جذوره... وأول جذور المنكر أميركا.. ولن تنفع كل المحاولات لجرنا إلى ممارسات هامشية، إذا ما قيست بالمواجهة مع أميركا.. فالإمام الخميني القائد أكد، ولمرات عديدة، أن أميركا هي سبب كل مصائبنا، وهي أم الخبائث.. ونحن إذ نحاربها، فلا نمارس إلا حقنا المشروع في الدفاع عن إسلامنا وعزة أمتنا.

إننا نعلن، بصراحة ووضوح، أننا أمة لا تخاف إلا الله، ولا ترتضي الظلم والعدوان والمهانة، وإن أميركا وحلفاءها، من دول حلف شمال الأطلسي، والكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين الإسلامية المقدسة، كل هؤلاء، قد مارسوا ويمارسون العدوان علينا ويعملون على إذلالنا باستمرار.. ولذا فإننا في حالة تأهب مستمر ومتصاعد، من أجل رد العدوان والدفاع عن الدين والوجود والكرامة.

لقد هاجموا بلادنا، ودمروا قرانا، وذبحوا أطفالنا، وهتكوا حرماتنا، وسلّطوا على رقابنا جلادين مجرمين ارتكبوا مجازر رهيبة بحق أمتنا، ولا يزالون يدعمون الجزارين حلفاء إسرائيل، ويمنعوننا من تقرير مصيرنا بمحض اختيارنا، وكنا نستصرخ ضمير العالم آنذاك فلم نسمع له حساً ولم نجد له أثراً، هذا الضمير الذي افتقدناه أيام المحنة، هو نفسه كان مستنفراً ويقظاً، يوم حوصر

الكتائبيون المجرمون، في مدينة زحلة البقاعية، ويوم حوصر المتحالفون مع إسرائيل، في دير القمر الشوفية.. فهالنا الأمر، وأيقنا أن هذا الضمير العالمي، لا يهتز إلا بناء لطلب الأقوياء.. واستجابة لمصالح الاستكبار.

لقد ذبح الإسرائيليون والكتائبيون عدة آلاف، من آبائنا وأطفالنا ونسائنا وإخواننا، في صبرا وشاتيلا خلال ليلة واحدة، فلم يصدر عن أية منظمة أو هيئة دولية أي استنكار أو شجب عملي لهذه المجزرة البشعة، التي ارتكبت بتنسيق مع القوات الأطلسية التي غادرت قبل أيام بل ساعات المخيمات التي قبل المنهزمون أن يضعوها تحت حماية الذئب، استجابة لمناورة الثعلب الأميركي فيليب حبيب (المبعوث من أصل لبناني).

أهدافنا في لبنان:

- تخرج إسرائيل نهائياً من لبنان، كمقدمة لإزالتها نهائياً من الوجود، وتحرير القدس الشريف من براثن الاحتلال.

- تخرج أميركا وفرنسا وحلفاؤهما نهائياً من لبنان وينتهي أي نفوذ لأية دولة استعمارية في البلاد.

إننا أمة التزمت برسالة الإسلام، وأحبت للمستضعفين وللناس كافة أن يتدارسوا هذه الرسالة السماوية، لأنها تصلح لتحقيق العدل والسلام والطمأنينة في العالم...

والله تعالى ربنا يقول: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[1].

(١) سورة البقرة: الآيتان ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

إننا مقتنعون بالإسلام، عقيدة ونظاماً، وفكراً وحلماً، وندعو الجميع إلى التعرف عليه، والاحتكام إلى شريعته، كما ندعوهم إلى تبنيه والالتزام بتعاليمه، على المستوى الفردي والسياسي والاجتماعي.

ومن هنا فإننا ندعو إلى اعتماد النظام الإسلامي، على قاعدة الاختيار الحر والمباشر من قبل الناس، لا على قاعدة الفرض بالقوة، كما يخيل للبعض.. ونعلن أننا نطمح أن يكون لبنان جزءاً لا يتجزأ من الخارطة السياسية المعادية لأميركا والاستكبار العالمي وللصهيونية العالمية والتي يحكمها الإسلام وقيادته العادلة.. وهذا الطموح هو طموح أمة، وليس طموح حزب واختيار شعب لا اختيار عصابة.

قصتنا مع الاستكبار العالمي:

وأما قصتنا مع الاستكبار العالمي، فنوجزها لكم بهذه الكلمات: إننا نعتقد أن صراع المبادئ، بين أميركا والاتحاد السوفياتي قد ولى منذ زمن بعيد وإلى غير رجعة، فلقد أخفق الطرفان، في تحقيق السعادة للبشرية، لأن الفكرة التي قدماها للناس، وإن اختلفت من حيث الشكل إلى رأسمالية وشيوعية، إلا أنها التقت في المضمون المادي، وقصرت عن علاج مشاكل الإنسانية.

فلا الرأسمالية الغربية، ولا الاشتراكية الشرقية، نجحتا في إرساء قواعد المجتمع العادل والمطمئن، ولا استطاعتا أن تحققا التوازن بين الفرد والمجتمع، ولا بين الفطرة البشرية والمصلحة العامة.

وعلى هذا الأساس، فالبلدان المستضعفة باتت هي محك الصراع، والشعوب المستضعفة أصبحت وقوده.

أما في لبنان ومنطقة فلسطين: فإننا معنيون بمواجهة أميركا، بشكل رئيسي، لأنها صاحبة النفوذ الأقوى بين دول الاستكبار العالمي، وكذلك

إسرائيل ربيبة الصهيونية العالمية، ومن ثم فإننا معنيون بمواجهة حلفاء أميركا، من دول حلف شمال الأطلسي، التي تورطت في مساعدة أميركا ضد شعوب المنطقة، ونحذر الدول التي لم تتورط بعد، من الانجرار إلى خدمة المصالح الأميركية، على حساب حرية أمتنا ومصالحها..

إسرائيل يجب أن تزول من الوجود:

أما إسرائيل فنعتبرها رأس الحربة الأميركية في عالمنا الإسلامي.. وهي عدو غاصب يجب محاربته، حتى يعود الحق المغصوب إلى أهله.. وهذا العدو يشكل خطراً كبيراً على مستقبل أجيالنا ومصير أمتنا، خصوصاً أنه يحمل فكرة استيطانية توسعية، بدأ تطبيقها في فلسطين المحتلة، ويحاول التمدد والتوسع، ليبني دولة إسرائيل الكبرى، من الفرات إلى النيل، وصراعنا مع إسرائيل الغاصبة ينطلق من فهم عقائدي وتاريخي، مؤداه أن هذا الكيان الصهيوني عدواني، في نشأته وتكوينه، وقائم على أرض مغصوبة وعلى حساب حقوق شعب مسلم.

ولذا فإن مواجهتنا لهذا الكيان يجب أن تنتهي بإزالته من الوجود، ومن هنا، فإننا لا نعترف بأي اتفاق لوقف إطلاق النار ضده، أو أية اتفاقية هدنة معه، أو أية معاهدة سلام منفردة أو غير منفردة، وندين بشدة كل مشاريع الوساطة بيننا وبين إسرائيل، ونعتبرها طرفاً معادياً، لأن وساطتهم لن تخدم إلا الإقرار بشرعية الاحتلال الصهيوني لفلسطين.

وعلى هذا الأساس، نرفض معاهدة كامب ديفيد، ونرفض مشروع فهد، ومشروع فاس، ومشروع ريجان، ومشروع بريجينيف، والمشروع الفرنسي - المصري، وكل مشروع يتضمن اعترافاً ولو ضمنياً، بالكيان الصهيوني.

ونسجل، في هذا السياق، إدانتنا لكل الدول والمنظمات المنحرفة التي تلهث وراء الحلول الاستسلامية مع العدو، وتقبل «بمقايضة الأرض بالسلام»

ونعتبر ذلك خيانة لدماء الشعب الفلسطيني المسلم، ولقضية فلسطين المقدسة.

ومن جهة أخرى فإن الدعوة اليهودية التي أطلقت أخيراً، للاستيطان في جنوب لبنان، وكذلك هجرة اليهود الآثيوبيين وغيرهم إلى داخل فلسطين المحتلة ننظر إليها على أنها جزء من المشروع الإسرائيلي التوسعي في العالم الإسلامي.. ومؤشر فعلي على الخطر الناجم من الاعتراف بهذا الكيان، أو التعايش معه.

فالمقاومة الإسلامية المشرفة، التي سطرت ولا تزال، أروع الملاحم والبطولات ضد قوات الغزو الصهيوني، وحطمت بإيمان مجاهديها أسطورة إسرائيل التي لا تقهر، واستطاعت أن توقع الكيان الغاصب في مأزق حقيقي، من جراء الاستنزاف اليومي له، عسكرياً وبشرياً واقتصادياً، مما اضطر قادته أن يعترفوا بقساوة المواجهة التي يلقونها، على أيدي المسلمين، وإذ نصر على تأكيد إسلاميتها، فإنما يكون ذلك انسجاماً منا مع واقعها، الذي يبدو واضحاً أنه إسلامي، في الدافع والهدف والمسلك وعمق المواجهة، وهذا لا يلغي وطنيتها أبداً، بل يؤكدها.. على العكس مما لو طمست إسلاميتها، فإن وطنيتها تصبح هشة إلى حدٍّ كبير.

جبهة عالمية للمستضعفين:

ونتوجه إلى جميع الشعوب العربية والإسلامية، لنعلن لها أن تجربة المسلمين في إيران الإسلام، لم تبق عذراً لأحد، حين أثبتت بما لا يدع مجالًا للشك، أن الصدور العارية المدفوعة بإرادة الإيمان قادرة، بعون الله الكبير، أن تحطم كل حديد الأنظمة الطاغوتية وجبروتها.

لذا فإننا ندعو هذه الشعوب، لتوحد صفوفها وترسم أهدافها وتنهض، لكسر القيد الذي يطوق إرادتها، وتسقط الحكومات العميلة التي تتسلط

عليها، ونلح على جميع حركاتهم التحررية، بهدف التنسيق فيما بينها تنسيقاً كاملًا شاملًا، من أجل تأمين الفعالية لتحركها، والتركيز على نقاط ضعف أعدائها.

فإذا كان العالم المستعمر، بدوله وأنظمته كافة، يجتمع اليوم على حرب المستضعفين.. فإن على المستضعفين أن يجتمعوا، لمواجهة مؤامرات قوى الاستكبار في العالم.

وعلى كل الشعوب المستضعفة، وخصوصاً الشعوب العربية والإسلامية، أن تدرك بأن الإسلام وحده هو المؤهل ليكون الفكر المقاوم للعدوان، بعدما أثبتت التجارب أن كل الأفكار الوضعية قد طويت إلى الأبد، لمصلحة التوافق الأميركي مع السوفيات وغيرهم.

الله الله في وحدة المسلمين:

يا أيتها الشعوب المسلمة

حاذري من الفتنة الاستعمارية الخبيثة التي تستهدف تمزيق وحدتك، لتزرع الشقاق فيما بينك وتثير العصبيات المذهبية، السنية والشيعية.

واعلمي، أن الاستعمار ما استطاع أن يسيطر على ثورات المسلمين، إلا بعد أن سعى في صفوفهم تمزيقاً وتفريقاً.. يثير السنة على الشيعة، ويحرّض الشيعة على السنة، وأوكل هذه المهمة، فيما بعد، إلى عملائه من حكام البلاد حيناً، ومن علماء السوء أحياناً، ومن الزعامات التي سلطها على رقاب العباد.

فالله الله في وحدة المسلمين.. فإنها الصخرة التي تتحطم عليها خطط المستكبرين والمطرقة التي تسحق مؤامرات الظالمين.

فلا تدعوا لسياسة «فرق تسد» أن تمارس في بلادكم، وقاوموها بالالتفاف حول القرآن الكريم: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾.

يا علماء المسلمين إن مسؤوليتكم كبيرة جداً، بحجم المصائب التي تحل بالمسلمين وأنتم خير من يقوم بواجبه، في قيادة الأمة نحو الإسلام، وفي توعيتها على ما يخطط له الأعداء للسيطرة عليها ونهب ثرواتها واستعبادها.

ولا شك أنكم تدركون، أن المسلمين ينظرون إليكم، بصفتكم حملة الأمانة من رسول الله (وبصفتكم ورثة الأنبياء والمرسلين..) فكونوا الأمل والقدوة الحسنة في المجاهرة بالحق والوقوف بوجه الطغاة والمتجبرين، وكونوا القدوة في الترفع عن بهارج الحياة الدنيا وزخرفها، والتوق إلى الجنة والشهادة في سبيل الله.

يا علماء المسلمين إن الإمام الخميني القائد أكد مراراً على ضرورة صلاح العالم، واهتمامه بتزكية نفسه قبل الآخرين، وقال في أكثر من مقام: «إن الناس إذا عرفوا أن صاحب حانوت غير صالح، فيقولون: إن فلاناً غير صالح، وإذا عرفوا أن تاجراً يغش الناس، فيقولون: إن فلاناً غشاش، أما إذا عرفوا أن عالم الدين ـ لا سمح الله غير صالح، فإنهم سيقولون: إن الدين غير صالح».

فيا علماء المسلمين إن موقعيتكم في الأمة، قد عرف المستعمر أهميتها، ولذا فإنه وجه أقوى طعناته إلى صدور العلماء المجاهدين.. فدبر مؤامرة شيطانية لإخفاء الإمام السيد موسى الصدر، بعدما أحس أنه عقبة أداء، في وجه مخططاته العدوانية.. وقتل الفيلسوف الإسلامي الشيخ مرتضى مطهري، وأعدم المرجع الإسلامي الكبير آية الله السيد محمد باقر الصدر، حيث أحس منه بخطورة موقفه الذي جسده بهذه الكلمات: «ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب في الإسلام» وها هو يتربص بكل الدوائر بكل عالم ديني يقوم بواجبه الإسلامي خير قيام.

ومن ناحية أخرى، راح الاستعمار يخترق المسلمين، بوعّاظ للسلاطين

لا يخافون الله، ويفتون بما لا مجال فيه للفتوى، فيجيزون الصلح مع إسرائيل، ويحرّمون قتالها، ويبررون خيانة الحكام الظالمين.

وما كان المستعمر ليفعل ذلك، لولا أهمية تأثير العالم الديني على الناس، ومن هنا، فإن من أهم مسؤولياتكم يا علماء الإسلام، أن تربوا المسلمين على الالتزام بأحكام الدين وتوضحوا لهم الخط السياسي الذي يسيرون على هديه، وتقودهم نحو العزة والرفعة، وتهتموا بالحوزات العلمية، بحيث تستطيع أن تخرّج قادة مخلصين لله، وحريصين على نصرة الدين والأمة.

كما ندعوها إلى تبني مشروع طرد إسرائيل من الأمم المتحدة، باعتبارها كياناً غاصباً وغير مشروع، فضلًا عن كونه معادياً للنزعة الإنسانية. أيها المستضعفون الأحرار.

هذه هي تصوراتنا وأهدافنا، وهذه هي القواعد التي تحكم مسيرتنا.. فمن قبلنا بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردَّ علينا، نصبر حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين. ا.هـ.

أسباب النصر:

المتأمل للخطاب السياسي لحزب الله يجده يقوم على دعامتين:

الأولى: الحرص على وحدة لبنان ووحدة المسلمين من منظور إيماني وثوري قرآني.

والثانية: مقاومة الاحتلال الإسرائيلي والمشروع الصهيوني ككل، وهما الدعامتان التي شرحناهما عن ثقافة المقاومة القرآنية وما اعتمده الأئمة عليهم السلام في صياغة هذا المشروع المقاوم، لذلك وجدنا الخطاب السياسي الموجه للمسلمين عموماً يتسم بالإسلامية الصافية البعيدة عن المذهبية، خطاب يتخطى عوامل العجز ويبشر المسلمين بنصر الله.

ويمكن إيجاز عوامل النصر في الأسباب التالية:

١ ـ ما اعتبره حزب الله بأن هناك حالات تحكم العلاقة الإسلامية ـ الإسلامية وهي:

أ ـ بقاء الحواجز النفسية والمذهبية، وهذا باب تنفذ منه الخلافات والصراعات ويشكل ثغرة للذين يريدون المحافظة على الضعف الإسلامي.

ب ـ الصراع والتنازع وهذا ما تعمل له القوى المستكبرة من خلال سعيها للهيمنة على العالم الإسلامي وسلب ثروته، وهذه العلاقة لن تؤدي إلا إلى إضعاف المسلمين وبعثرة قوتهم.

ج ـ ضرورة الوحدة الإسلامية من خلال معركتهم الواحدة على أساس وحدة العبادة والارتباط بالخط الإسلامي ومواجهة أعدائهم المستكبرين، وهذه هي الحالة الأقرب التي حاول الحزب تطبيقها، والالتزام بها كقاعدة وحدوية، وقد دفع الحزب ثمناً باهظاً مرحلياً عندما انشغل هو وغيره بالتنازع الداخلي، لكن سرعان ما عاد ليتبنى القواسم المشتركة التي تفرض تعزيز قوى المسلمين واللبنانيين الوطنيين في مواجهة التحديات، وكان خطابه السياسي ـ وما يزال ـ يشتمل على كل معاني الوحدة ويدعو لها ويترجمها ميدانياً، وبعد إصدار وثيقة الحزب (الرسالة المفتوحة) دخل تطوره مرحلة جديدة هي مرحلة الصمود والمقاومة[1] والتي انتهت بالنصر على اليهود وإجبارهم على الانسحاب غير المشروط في الجنوب.

٢ ـ الحالة الإيمانية التي عاشها الجنوب اللبناني ككل، ومن الجنوب كانت كوادر الحزب تلبي نداء الجهاد ونداء العمل والسعي في الحياة، وبروز الاستشهاد الكربلائي الذي تسابق عليه قادة الحزب وكوادره، فاستشهد الأمين

(١) محمود جابر ـ إنه حزب الله ـ مركز يافا للدراسات ـ القاهرة ٢٠٠٤ ـ ص١٥.

العام عباس الموسوي وراغب حرب شيخ شهداء الجنوب، ونجل الأمين العام حسن نصر الله، كانوا قادة في الفكر والعمل وتمثلوا مقولة الإمام جعفر الصادق عليه السلام (كونوا دعاة للناس بدون ألسنتكم)[1] لقد التزم الحزب التعاليم الإلهية الإسلامية المتجاوزة لكل الشكليات القبلية أو المناطقية، وركز على الصهيونية (الشر المطلق) وأميركا (أول جذور المنكر) وعملائهم (جيش الجنوب العميل).

٣ ـ اعتماد الحزب لثقافة، مصدرها القرآن الكريم والسنة المعصومة والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد (تراجع الرسالة المفتوحة)، وهي ثقافة مقاومة مستلهمة من الفكر الرسالي كما جاء بالقرآن العظيم.

حزب الله.. رؤية مصرية:

مَثَّل حزب الله في الوجدان المصري ـ الثقافي والعامي ـ حالة مثالية ارتبطت لديه بكم المآسي التي تعيشها الأمة الإسلامية، فلقد مثل حزب الله طوال اثنين وعشرين عاماً (إذ إن الإعلان الرسمي عنه كان عام ١٩٨٤) تجربة ثرية بأبعادها الفكرية والثقافية والمعنوية، خلال هذه المدة حدثت مآسٍ وكوارث للمسلمين أبرزها التطهير العرقي الذي قام به الصرب ضد مسلمي البوسنة والهرسك وكوسوفو، وكذلك الإبادة الجماعية لمسلمي الشيشان وداغستان من قبل الجيش الروسي، وخلال نفس الفترة اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية، وصعدت المقاومة الإسلامية في فلسطين من وتيرة تصديها للصهيونية.

كان للتصدي المتوالي من حزب الله ضد اليهود وأحرارهم نجاحات من

(١) مجموعة باحثين ـ الإمام الصادق عليه السلام فكر يتجدد ـ منشورات مؤسسة الإمام الخوئي ـ لندن ـ ٢٠٠٠ ـ ص٩٣.

خلال المبادرة بالهجوم على المواقع الإسرائيلية واستخدام قوة نيران كثيفة ضد المواقع والمستوطنات الإسرائيلية شمال الجليل أدى إلى نزوح اليهود من سكان المستوطنات الشمالية إلى داخل إسرائيل، ومارس هؤلاء ضغوطاً على الحكومة اليهودية.

وكان من أهم النجاحات التي حققها حزب الله على صعيد الصراع العرب الصهيوني هو تفاهم يوليو /تموز ١٩٩٣ الذي استطاع فيه حزب الله إلزام إسرائيل بعدم الاعتداء على المدنيين وأن يبقى الشريط المحتل هو ميدان العمليات، ولكن اليهود ظلوا يهاجمون المدنيين في الجنوب اللبناني، فعاد حزب الله للرد بالمثل وكانت حصيلة عمليات الحزب عام ١٩٩٥:٨٣ عملية ذهب ضحيتها ١٥١ قتيلًا من اليهود وعملائهم.

ولكن إسرائيل عادت مرة أخرى في فجر يوم الخميس ١١ أبريل/نيسان ١٩٩٦ بسلاح جوها بضرب العمق اللبناني في بعلبك وبيروت، وكانت الحرب صورة مكررة من حرب (عاصفة الصحراء الأميركية في العراق) التي اعتمدت على استراتيجية الهجوم الجوي الشامل والقصف من البحر والبر بالإضافة إلى عقد مؤتمر صحفي مساء كل يوم لعرض مسار العمليات وتوجيه رسائل سياسية للطرف الآخر وسميت هذه العملية بـ (عناقيد الغضب)، واضطر الحزب للرد فأعطى أوامره للمقاومين للعمل على عدة محاور منها توجيه صواريخ الكاتيوشا إلى المستوطنات الصهيونية، والتأهب لمواجهة أي تقدم بري ووقف أي تحرك للوحدات الخاصة الإسرائيلية وللعمل على حماية السكان الصامدين ومساعدتهم على البقاء، وتمكن حزب الله من إيلام إسرائيل خاصة عندما قصفت المستعمرات الصهيونية في الجليل الأعلى، وقام الجيش الإسرائيلي بمجازر هائلة أدانتها لجنة تحقيق أوفدتها الأمم المتحدة بعد مجزرتي يوم ١٨ أبريل ١٩٩٦ في النبطية وقانا؛ وفي النهاية أجبر حزب الله إسرائيل على توقيع تفاهم أبريل/نيسان ١٩٩٦ الأمر الذي يعني اعتراف إسرائيلي ـ أميركي بالقصور في التأمل تجاه حزب الله.

وقد استمر حزب الله في المقاومة حتى تمكن أخيراً من تحرير جزين في حزيران/ يونيو ١٩٩٩ ثم التحرير النهائي للجنوب عام ٢٠٠٠.

وفي خلال الفترة تلك تميز خطاب حزب الله السياسي بالآتي:

١. التأكيد والاستمرار على الإعلان عن المقاومة للعدو الأول للمسلمين الصهيونية وأميركا وعدم الانشغال بالخلافات الداخلية اللبنانية.

٢. الاعتماد على الخط الأساسي العام ودعم المقاومة في غير صورتها المذهبية.

٣. إعلان الآية الكريمة التي تبشر المؤمنين بنصر الله ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ﴾ وتحت شعار الآية الأخرى ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

ارتبط ذلك كله في الوجدان المصري وتردد صداه في جنباته الثقافية على اختلاف توجهاتها الفكرية وأيديولوجيتها الثقافية؛ حالة من الانتشاء بالنصر الذي تحقق أخيراً، ورأوا في الحزب نموذجاً يقتدى به ضد العدو الصهيوني، كما رأوا أن هذا العدو تراجع تحت وطأة المقاومة. كما رأى بعضهم أن النهج الكربلائي الذي قام به حزب الله هو الذي مكن الحزب من الانتصار، ولذلك ألف الكاتب محمد القدوسي كتاب «كربلاء الجديدة» قال فيه[1]: بيروت العاصمة العنقاء التي تنهض من رماد الحروب أنضر وجهاً وأكثر عافية، بيروت: التي كان روادها من السياح وأهل الفن والتي انضم إلى مريديها عدد من اليساريين من مصر ومن دول عربية أخرى بعد اندلاع حرب الأحزاب الدينية عام ١٩٧٤، ها هي الآن يوقف التاريخ تلالها وصنوبرها

(١) محمد القدوسي ـ كربلاء الجديدة ـ منشورات اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان ـ ١٩٩٨ ـ ص٤.

ليكتب كربلاء جديدة، يشهد أحفاد الحسين عليه السلام وهم يثأرون من بني إسرائيل، مشعلي الفتنة الكبرى في صدور الإسلام وغاصبي أرض المسلمين في فلسطين ولبنان والأردن وسوريا، يثأرون من جيش الاحتلال الصهيوني بقوة قليلة العدد، عظيمة العدة، سلاحها الأهم هو كتيبة من الاستشهاديين، والأهم هو مع الاستشهاد تضيء صدور مجاهدي المقاومة الإسلامية، إنها نفس الروح التي ملأت صدر الحسين بن علي عليه السلام وصحبه والتي جعلت من أبطال المقاومة الإسلامية يطلقون على معركتهم الحالية «كربلاء الجديدة».

والحقيقة أن المثقفين المصريين لم يتفقوا على شيء مثلما اتفقوا على مشروعية ومساندة المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان، وذلك من مختلف القوى والاتجاهات (السياسية والقومية والإسلامية والمسيحية).

وكان لا بدَّ من إطار يجمع هذه القوى لدعم نضال المقاومة، قام بعض هؤلاء باجتماعات ثقافية وسياسية مستمرة الهدف منها التوصل لصيغة ملائمة لدعم المقاومة اللبنانية والفلسطينية لأنها تستحق أن نكون جميعاً مدافعين عنها لأن الله يدافع عنها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[1] كان هذا هو السبب الأول للاجتماعات، أما السبب الثاني فكان العمل على نشر ثقافة المقاومة على أساسها الرسالي والنضالي والإنساني لأن المجتمعين ينتمون كما قلنا لقوى واتجاهات سياسية مختلفة، وكان هناك سبب ثالث هو أن تجمع المثقفين داخل إطار واحد في مصر يعطي للمقاومة في لبنان وفلسطين ثقلًا معنوياً وحضارياً لما تمثله مصر من ثقل حضاري وسياسي، ظلت الاجتماعات تتوالى حتى شهر نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٥، حتى اتفق المجتمعون على تأسيس اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان، واللجنة العربية (لا اللجنة المصرية) لأن

(١) سورة الحج: الآية ٣٨.

المفترض أن مصر تمثل الثقل العربي، بالإضافة إلى وجود كتّاب كثيرين ومفكرين عرب يعيشون في مصر ولهم همّ واحد مشترك، ولذلك كانت اللجنة اسمها اللجنة العربية، وتم إعلان بيانها التأسيسي الأول يوم ١٢/١/ ١٩٩٥، وحرص أعضاؤها منذ البداية على استقلاليتها داخلياً وخارجياً، وأصرت اللجنة التي رأسها الكاتب رفعت سيد أحمد على العمل العلني وفي إطار مراكز ومؤسسات البحث العلمي والسياسي، وكان لذلك الإعلان أثره النفسي والسياسي الهام على التفاعل الصحي والواقعي، وكان له دوره المؤثر في نشر رسالة اللجنة الهادفة لتقديم الدعم السياسي والإعلامي العلني للمقاومة وأصدرت اللجنة مجلة المقاومة، وهي نشرة دورية عن فعاليات اللجنة وأخبار المقاومة في لبنان وفلسطين.

وتركز نشاط اللجنة في الكتب ودواوين الشعر التي تهتم بالمقاومة ووصل عدد الإصدارات خمسين إصداراً تنوعت بين دواوين شعر وتقارير عن المقاومة، وكتب سياسية، ومسرحيات عن نضال أهل لبنان والتاريخ لحزب الله ولبنان بصفة عامة، وهذه بعض أبرز أسماء أعضاء اللجنة المؤسسين: د.محمد عمارة، وحمد بن صباحي، والقس إبراهيم عبد السيد، والفنان حمدي أحمد، وحمد حجازي الكاتب الفلسطيني، وأبو العلا ماضي الكاتب الإسلامي المعروف، والكاتبة صافيناز كاظم، والفريق سعد الدين الشاذلي القائد العسكري المشهور، والشاعر أحمد فؤاد نجم والكاتب محمد الصالح، وغيرهم.

كما تحتفل اللجنة كل عام بذكرى انتصار المقاومة في مصر، احتفالاً جماهيرياً في القاهرة والإسكندرية والزقازيق، يأتي المثقفون والفنانون والكتاب والفلاحون والعمال ليستقبلوا مندوب الحزب الذي يحضر الاحتفال ليعبروا عن فرحتهم بالنصر وبمن جعل الله النصر على أيديهم.

خاتمة ضرورية:

يفكر الكثيرون في مستقبل حزب الله في لبنان، حيث يخشون من التداعيات الدولية المتتالية في المنطقة والتي تستهدف في المقام الأول إما نزع سلاح المقاومة أو تحويل حزب الله إلى حزب سياسي غير مقاوم، وفي هذا الصدد تتوالى الضغوط على سوريا وإيران من أجل هدف واحد هو التخلي عن حزب الله سياسياً وعسكرياً، وهذا خوف في محله نظراً لكثرة التقلبات السياسية المتتالية في المنطقة.

لكن ثقافة المقاومة ترسخت في نفوس أهل الجنوب اللبناني وفي نفوس الشعب الفلسطيني الذي أجبرت مقاومته على أن يسحب اليهود جنودهم من قطاع غزة من جانب واحد وبدون شروط مسبقة، ورغم ما في هذا الانسحاب من عيوب، لكن يؤكد أن الخيار المقاوم ضرورة لا غنى عنها، ونتوقع أن تستمر هذه المقاومة طالما استمرت أراضٍ عربية محتلة، وطالما لم تنكسر الإرادة، والإرادة وحدها هي التي تجلب النصر شريطة أن تمتزج بالآليات والفكر الرسالي القرآني، وهذا ما حدث ونتوقع أن يظل المنهج المتاح، يكاد يكون الوحيد في عالم لا يعترف إلا بالقوة وإنجازاتها المسلحة.

مقدمات نحو نظرية للإصلاح الإسلامي
حزب الله وأسئلة التغيير السياسي
في مجتمعات متعددة ومهددة

د. علي فياض
رئيس المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

يبدو، جلياً أن الحركات الإسلامية في طريقها إلى تكريس صيغ تعايش طويلة الأمد مع وقائع ومعطيات اجتماعية وسياسية لا ترقى إلى مستوى تطلعاتهم الأصلية... وعليهم في سبيل ذلك أن يعيدوا صياغة أهدافهم في التغيير وبناء نماذجهم الاجتماعية والسياسية...

وبعبارة أخرى ثمة مسافة شاسعة على الإسلاميين أن يقطعوها بكبد، وهي معبَّدة بحجم شاق من التعقيدات النظرية والعملية والعوائق المتداخلة في مستوياتها ما بين داخل وخارج وما بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي.

إنها خط المسير من التغيير إلى الإصلاح.

يفترض التغيير استحضاراً للأهداف الكلية والتصورات الكبرى والغايات الأصلية في الخطاب السياسي والبرامج بهدف تأطير الواقع بها على أمل

إحداث تحولات جذرية تسمح بإعادة بناء هذا الواقع وفق تلك الأهداف والغايات والتصورات..

الإصلاح مسألة أخرى، ووفق منهجية مختلفة، تتراجع معه.. الأهداف الكلية لتأخذ موقعاً قد يكون شكلياً في أحيان، أو أقل حضوراً في ثنايا البرامج في أحيان أخرى، وفي أحسن الأحوال يحافظ هذا الموقع على قيمته الفكرية.. لكنه يظل دون أن يجد ترجمته في السياسة.

لكن على الرغم من كل ذلك، ثمة إصلاح يؤدي دوراً وسيطاً باتجاه الأهداف الكلية. قد يكون هذا حقيقة في حالات محددة ذات شروط موضوعية صعبة وإدارة نظرية ناضجة، قادرة على ضبط قنوات التطور التي تصل المرحلي بالنهائي وتحول دون انسدادها أو انحرافها.

في أغلب الحالات، يبرر الفكر لنفسه فيدَّعي ما ليس فيه، فيمارس عملية إبهام وتبرير بأنه يمسك مقاليد التصورات والمفاهيم وأنه يضبط الوقائع ويعقلها ويكيفها ويوظفها في سياق أهدافه وغاياته... وهذه حالة شائعة أو للدقة مرض شائع تعاني منه الأفكار والإيديولوجيات السياسية، إذ يندر أن يعترف الفكر أمام محراب الوقائع بقصوره وعجزه، إن ما يعرِّي الأفكار عادة من ادعائها هي الوقائع والإرادات، فالوقائع إذ ما استعصت على الأفكار وعجزت هذه الأخيرة عن تفسيرها وضبطها في سياق مطامحها وتطلعاتها، بدا الفكر عندئذ عارياً ومجرداً، وكذلك الإرادات، فيما لم تقترن الأفكار بإرادات تخرج منها وتولد من رحمها لن يأخذ الفكر طريقه إلى التحقق الواقعي، فإذا ظلت الأفكار أكبر من الإرادات، فإنها أي الأفكار سترزح في عليائها النظري، أما في حالة اندفاع الإرادات ونجاحها كفعل وتمثلات وتجليات، فعلى الفكر أن لا يركن عندها إلى زهوه، بل عليه دائماً أن يسعى لأن يبقى في موقع من يستوعب اندفاع الإرادات وضبط حركتها ووجهتها.

* * *

في تجربة حزب الله، ثمة نجاحات قلَّ نظيرها، تعطي لهذه الحركة الإسلامية خصوصية بارزة في عالم الحركات الإسلامية الممتدة على مدى هذا العالم الإسلامي الفارق في مشاكل لا تحصى.

نجاح حزب الله في تجربته يأخذ قيمة متضاعفة واستثنائية، إذ إن تجربته خيضت على مستويين معقَّدين: الأول من حيث علاقة حزب الله كحزب ديني ـ سياسي مع بيئة سياسية واجتماعية تعددية وفي ظل نظام سياسي وعلاقات ومؤسسات سياسية غير دينية.

والثاني من حيث دوره الحيوي كحركة مقاومة ضد الاحتلال.

لقد نجح حزب الله في دوره على المستويين، وإن يكن نجاحه في المقاومة شكل عامل تميزه الأساسي. إذ إن هذا النجاح لم يقتصر على تحقيق أهداف حزب الله في التحرير، إنما أيضاً في تحوله إلى نموذج يُحتذى واتجاه رئيسي فاعل في الواقع الإقليمي العربي ولناحية كل ما يتصل بالصراع العربي ـ الإسرائيلي. أما نجاحه على المستوى الداخلي فيتجلى في حجم الامتداد الشعبي وتطوره كحزب سياسي أساسي وفاعل في الحياة السياسية اللبنانية، فضلًا عن تحوله إلى أحد المكونات الأساسية للسلطة في لبنان.

إذن ثمة ما تستدعي قراءته في تجربة حزب الله، بهدف استخراج القواعد والقوانين والمفاهيم التي تفسِّر التجربة وتساعد على نمذجتها وبناء نسقها المتميِّز.

بيد أن بإمكاننا أن نميز هذه التجربة بما هي تجربة إصلاحية في الواقع السياسي اللبناني الداخلي، هذا ما تدل عليه النتائج التي آلت إليها تجربة حزب الله داخل المؤسسات الدستورية من برلمان وحكومة، واعترافه باتفاق الطائف. واندراجه في شبكة علاقات وتحالفات سياسية من داخل التوازنات القائمة وبالتعايش معها والتسليم بمنطقها.

* * *

كل سياسة هي صراع وتكامل في آن، هذا ما يقوله «موريس دوفرجييه» في المقدمة القيمة لكتابه مدخل إلى علم السياسة. إذ لا يعقل أن تكون السياسة صراعاً فقط كما لا يعقل أن تكون تكاملًا فقط، بل إن كل صراع لا بدَّ أن يؤول مهما اشتد أواره إلى توازن ما أو إلى تطور ما وفق توازنات جديدة. وهي بدورها تعود فتحمل في ثناياها بذوراً لتناقضات وصراعات جديدة لا تلبث أن تفضي إلى اختلال ما في التوازنات لتعود هي ذاتها لتكون طريقاً إلى تكامل ما.

فكما أن السياسة هي صراع وتكامل في الوقت ذاته، فهي كذلك استقرار وتقدم، أو كما يقول إيمانويل مونيه: «إن كل نظام قائم هو بمعنى من المعاني فوضى قائمة»، أي أن البنية السياسية المستقرة تحمل في أحشائها أو بعض جوانبها اختلالًا ما، هو بمثابة فوضى كامنة أو ظاهرة، وهذا ما يفسِّر في شبكة العلاقات السياسية والاجتماعية في مجتمع من المجتمعات وجود نزعة المحافظة لدى البعض والسعي لإبقاء الواقع بتوازناته على الصورة التي هو عليها. ووجود نزعة أخرى مقابلة هي نزعة التغيير النسبي أو الكلي.

يستدعي كل ذلك، القول إن العمل السياسي ينطوي على موضوعات صراع وتكامل وديناميات صراع وتكامل، تتجاور وتتعايش أو تتزاحم وتتغالب تبعاً لطبيعة الواقع واختلاف المراحل فيه.

* * *

تتشكل السياسة لدى حزب الله، دائماً، وفق جدلية الداخل والخارج، ذلك أن الموقع الجيوسياسي للبنان لا يسمح بأي ادعاء طوباوي يقوم على افتراض عزل لبنان عن التطورات والوقائع الإقليمية. هذه حقيقة سياسية واستراتيجية قائمة بمعزل عن إرادة الفاعلين السياسيين في لبنان حتى لو أرادوا عكس ذلك...

وإذا كان موقع لبنان المشار إليه يقبع في لجة التناقضات التي يفرضها الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وتباعاً التدخلات الدولية الدائمة في شؤونه وتحديداً التدخلات الأميركية المستمرة. فإن قراءة واقع الدولة المعاصر، بصورة عامة، وعلى الأخص الدولة العربية المعاصرة، لا تصح مطلقاً دون ملاحظة تموضعها في بنية النظام الدولي القائم، وهذه حقيقة باتت جلية من الناحية المنهجية في الدراسات الأكاديمية. وقد جرت معالجة ذلك على نحو مركّز في كتاب برهان غليون «المحنة العربية.. الدولة ضد الأمة». وكان صموئيل هنتغتون قد أدخل هذه الحقيقة المنهجية كشرط ضروري في دراسة العلاقات الدولية وكموضوع مستجد في علم الاجتماع السياسي منذ الخمسينات في كتابه «الأنظمة السياسية في عالم متغير».

إذن إن بناء مفهوم للسياسة يقوم على ربط الداخل بالخارج وأخذ ذلك بالاعتبار في رسم المواقف والبرامج السياسية هي مسألة علمية قبل أن تكون سياسية. وهذا ما لحظه حزب الله بصورة أساسية في مقاربته للسياسة في لبنان.

بيد أن ذلك قد أُخضع في حساباته لقسمة جوهرية، شكّلت حجر الزاوية في وجهة المشروع السياسي. حين وجّه حزب الله ديناميات الصراع في اتجاه الخارج وهو هنا الاحتلال الإسرائيلي وملحقاته التي تتصل بالسياسة الأميركية. في مقابل توجيهه لديناميات التكامل باتجاه الداخل.

فالخارج هو الذي يستهلك طاقة الصراع وديناميّاته وتوتراته. بينما تتشكل العلاقات في الداخل دوماً على أساس التكامل. ولا يحضر الصراع داخلياً إلا حين ارتباطه بالخارج ولا يمارس عندها إلا وفق الحد الأدنى الذي تفرضه الضرورات الطبيعية للسياسة. ففي الداخل التكامل أصل بينما الصراع عابر.

في تجربة حزب الله شكّل الخارج طريقاً إلى الداخل. فالمقاومة أولًا، لأنها مسألة سيادية وهي الطريق إلى صون الداخل في حالة الاحتلال أو التهديد. وهي كذلك مسألة تتصل بالهوية لأنها تعبير عن الذات في مواجهة ما يتهددها.

إن مسار تشكل المقاومة يمر عبر علاقة متبادلة مع الداخل لكنها مقننة وواضحة. فانطلاق المقاومة لا يحتاج إلّا إلى توفر قوّة حية تمتلك إرادة المواجهة. إلا أن نجاحها يحتاج إلى شروط اجتماعية وسياسية إضافة إلى الشرط الجهادي. ومنها توفر حاضنة اجتماعية يقوم بها المجتمع أو بعضه. وبيئة سياسية غير معادية تبلغ ذروتها عندما تتمكن المقاومة من جذب السلطة إلى معادلة المقاومة.

إن هذا المسار ينبني على قاعدة أن المقاومة تعيد تشكيل الداخل وفق ضروراتها ثم يعود هذا الداخل ليتحول إلى عامل أساسي في نجاح المقاومة.

إن المراحل المتقدمة في مسار المقاومة حيث تتجلل المقاومة بمهابة الانتصار والاتساع الجماهيري، تحوّلها تلقائياً إلى مكون أساسي من مكونات الواقع السياسي والاجتماعي...

ومن الطبيعي أن يتوّج ذلك بالاشتراك في السلطة مباشرة أو غير مباشرة أو التأثير بها بصورة فاعلة من خارجها.. أي أن شكل التأثير في السلطة قد يختلف ويأخذ صوراً عديدة لكن لا يمكن، في أية حال، تصور مرحلة ما بعد الانتصار دون تورط في السلطة مباشرة أو غير مباشرة.

إن بلوغ المقاومة هذه المرحلة من القوة والحضور والفاعلية، ذاتياً وجماهيرياً، بدل أن يعفيها من الارتهان إلى الداخل بمكوناته المختلفة (سلطة وعلاقات وقاعدة شعبية)، فإنها تصبح أكثر حاجة لأخذ هذه العوامل في الحسبان، على عكس حالها وهي في مرحلة تأسيسها أو في أطوارها الأولى،

وهنا تكمن المفارقة. إذ إنه كلما ازدادت المقاومة قوة، كلما باتت أكثر اضطراراً لمواجهة تعقيدات الواقع السياسي، فالقدرة على امتلاك فاعلية استراتيجية يملي الحاجة إلى حسابات أكثر تعقيداً وأكثر امتداداً في البيئتين المحلية والإقليمية.

* * *

إن المقاومة في مسارها التطوري من ناحيتين، ناحية تحولها إلى تيار جماهيري عارم وناحية اشتراكها في السلطة أو قدرتها الفاعلة على التأثير في تركيبتها وسياساتها، يضعها في مواجهة تحديات داخلية كانت تبدو في مراحل معينة غريبة عن اهتمامات المقاومة ولا تأتلف مع اختصاصها ومنطقها، وهي تحديات مدنية سياسية واجتماعية إصلاحية، من قبيل إصلاح بنية الدولة وتقويم أداء مؤسساتها ومحاربة الفساد ومعالجة المشاكل الاقتصادية والمعيشية والإجابة على التحديات التنموية والاندراج في لعبة التوازنات الداخلية واللجؤ إلى شبكة علاقات سياسية محلية وحتى إقليمية مع قوى بعضها ينتمي إلى مواقع سياسية مغايرة أو حتى مناقضة كلياً أو جزئياً مع المقاومة نفسها.

ما يلفت أن مسار المقاومة في لبنان لناحية تطور دورها في السلطة جاء متزامناً مع مسار المقاومة في فلسطين مع حركة حماس واستلامها السلطة، واضطرار كلتا المقاومتين إلى الانشغال بكل ما تنطوي عليه السلطة من شؤون وتحديات، علماً أن هذا الانشغال لم يحضر على حساب المقاومة بل جاء أساساً من ضمن مشروعها ووفق ضروراتها وما فرضته حاجاتها.

وفي التجربتين، حضر التعاطي مع تعقيدات الداخل من خلال أطر العمل الديمقراطي كمؤسسات دستورية وآليات انتخاب والتعبير عن مطالب اتجاهات شعبية واسعة والحاجة إلى محاربة الفساد وضرورة إعادة ترميم بنية الدولة، وطبعاً، وقبل كل ذلك إعادة تأكيد التفويض بخيار المقاومة.

إذن ثمة دائرتين من الاهتمامات التي واجهتها المقاومة ولا تزال، والتي فرض تطور الصراع وتطور دور المقاومة نفسه تداخلًا بينهما، بحيث بات التنظير لإحداهما يفضي إلى الأخرى تماماً، وتجد الواحدة منهما تسويغها في نجاح الدور في الأخرى، وهما دائرة العمل المقاوم المحكوم بديناميات الصراع ودائرة العمل الديمقراطي الإصلاحي السلمي المحكوم بديناميات التكامل.

هذا ما نعتبره توصيفاً، يحاول أن يكون دقيقاً لما آلت عليه الحال في تجربة حزب الله داخل الساحة اللبنانية، وكذلك في تجربة حماس داخل الساحة الفلسطينية.

فالنزعة الثورية التغييرية استمرت في الجهاد التحريري المسلح عبر مقاومة الاحتلال، في حين تكرّست نزعة سلمية إصلاحية تكيفّت مع أطر العمل الديمقراطي والإقرار بتعددية المجتمع والشعور الملح بالحاجة إلى استقراره ورفاهه كشرط للفاعلية والتماسك.

في المآل، تبدو النتائج شديدة الإثارة، وعلة ذلك تكمن في ارتباط تلك النتائج بتجربة الحركة الإسلامية وتطور مقارباتها للقضايا السياسية والاجتماعية:

١ ـ في النتيجة نحن أمام منهج سياسي يقوم على ائتلاف المقاومة مع الديمقراطية. حيث بدا أن العلاقة بينهما غير متناقضة، بل على العكس من ذلك. فحيث النظام السياسي والتجربة المجتمعية تنطوي على فسحة ديمقراطية ما بدا أن المقاومة أكثر قدرة على توفير عناصر نجاحها، وأكثر فاعلية في تحويل مشروعها من مشروع نخبة مجاهدة إلى مشروع مجتمعي مقاوم.

إن ذلك يشكل نموذجاً عملياً مناقضاً تماماً لجوهر التصور الأميركي

للإصلاح. فعلى مدى العقد الماضي، دأبت التصورات الاستراتيجية الأميركية، وعلى الأخص مشروع الشرق الأوسط الكبير والعقائد الاستراتيجية الشاملة التي أطلقت في العام ٢٠٠٢ وفي العام ٢٠٠٦، على التأكيد أن التطور الديمقراطي في المنطقة العربية ـ الإسلامية هو الطريق لتصفية النزعة الجهادية المقاومة، وذلك بالاستناد إلى فرضية التناقض بين المقاومة والديمقراطية، وإلى الادعاء بأن قيم الديمقراطية ستبتلع قيم المقاومة.

إن نتائج التجربة في لبنان وفلسطين قد أدت عملياً إلى نسف المرتكزات النظرية للتصورات الأميركية للإصلاح.

٢ ـ إعادة الاعتبار للدولة في الفكر السياسي للحركة الإسلامية، فما حصل هو تصالح مع الدولة بما هي حقيقة قائمة ومكرّسة وضرورية بغض النظر عن المضمون الإيديولوجي للدولة.

ما حصل، من الناحية الفعلية، هو تخفيف من الثقل الإيديولوجي لمفهوم الدولة لصالح المفهوم الوظائفي للدولة، وهذا يشكل تحولًا معرفياً في سياق إشكالية تاريخية كانت حاضرة على الدوام في مقاربات المفكرين والفقهاء المسلمين. إذ إن مفهوم الدولة كان يخضع لسؤال «كيف يجب أن يكون الحكم؟» وليس لسؤال «كيف يسير الحكم فعلًا؟». ولا يخفى كم هي شاسعة الفروقات المترتبة على الاختلاف بين السؤالين، وقد احتاج هذا الانتقال من السؤال الأول إلى السؤال الثاني، كي يتم قطع هذه المسافة، إلى مئات السنوات من العلاقة الاغترابية بالدولة.

٣ ـ إعادة بناء تصور شامل وكلّي لمفهوم القدرة، ففي حين لا يرد في ذهن حزب الله بتاتاً التهاون في المستوى الجهادي العسكري في بناء قدرة المقاومة ولا في إدراكه أن هذا المستوى يشكل ركيزة المستويات الأخرى. إلا أن حزب الله بات أكثر إدراكاً لتآلف عناصر القدرة وتآزرها وارتباطها

ببعضها البعض. إذ إن مشروع المقاومة سيكون مهدداً في ظل مجتمع لا يحتضن المقاومة، مما يوجب أن يبقى البعد الشعبي في صميم هذا المشروع. أما البيئة السياسية غير المؤاتية فإنها تشكل بحد ذاتها عامل إعاقة واضطراب لاندفاعة المشروع. بالمحصلة أظهرت التجربة أن ثمة حاجة ماسّة لاستراتيجية سياسية ـ اجتماعية شاملة تحصن المجتمع والدولة وتنهض بهما، **فالمجتمع المنهك والدولة الرخوة تتناقض مع مقاصد المقاومة في توفير السيادة وحماية الذات وصيانة الاستقلال... الأمر الذي يفضي مجدداً لتأكيد جدلية الداخل والخارج في بناء القدرة الشاملة.**

٤ ـ نزعم أن المقدمات السالفة التي تحاول أن تلتقط المفاهيم الأساسية والقواعد المفسّرة لسلوك حزب الله في المقاومة والإصلاح، تشكل مرتكزاً للسعي لإعادة بناء عقلانية سياسية عربية جديدة.

ونقصد بهذه العقلانية السياسية نسقاً من قواعد التفكير ومزيجاً من منهجية وأهداف، وتشغل هذه العقلانية موقعاً وسطاً بين «البرامج السياسية» و«العقل السياسي»، إذ إن ثمة برامج للسيولة والراهنية، فيما أن العقل السياسي هو أكثر ثباتاً وديمومة ويمتد على مدى تاريخي أبعد ويتشكل وفق عمليات معقدة تغطي الماضي والحاضر، لذا فالقطيعة في العقل شائكة ومعقدة. في حين أن العقلانية السياسية هي إطار مرجعي للتفكير يمكن أن يكون بالمتناول وفقاً لخيارات استراتيجية ويترجم على صورة أفكار وقناعات ومواقف. إن العقلانية السياسية لها سمة العقل إلا أنها تختص بحقبة معينة وتمتاز بليونة أكثر وقابلية للتحول أقل صلابة.

نفترض أن هذه العقلانية تقوم على ركيزتين: وهما العمل على توفير الاستقرار الداخلي وإطلاق الفاعلية المجتمعية.

الاستقرار هو شرط أساسي لمجتمع سليم ومعافى، وضرورة للتطور

الداخلي ولمجابهة التحديات الخارجية. مما يوجب انحكام الخلافات والانقسام على المستوى الداخلي لأطر النضال السلمي الديموقراطي.

أما الفعالية المجتمعية فتقوم على ضرورة توفير الشروط التي تجعل من المجتمع فاعلًا في الدفاع عن الذات وفي البناءات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. إن ذلك يقتضي إقامة علاقة توافق ورضا بين الدولة والمجتمع. **فعدم توفر هذه العلاقة بين المجتمع والدولة وليس السلطة سيشكل مدعاة لاضطراب في المجتمع والدولة على حدٍّ سواء.**

إن المجتمع هو جزء من الدولة وعليه مؤازرتها إلى حين قدرتها على الاستقلال بوظائفها. فحزب الله في مقاربته لفكرة الدولة يبدو أكثر ميلًا إلى تعريفها بوصفها تجسيداً لإرادة عامة. وهذا التعريف يتجاوز المظاهر الهيكلية للدولة، على أهميتها الطبيعية، لناحية إعادة التأكيد على أهمية المجتمع نفسه في بناء الدولة: فالدولة أكثر من جهاز بيروقراطي، إنها وظائف وعلى المجتمع مساعدة الدولة للقيام بوظائفها، وهي أي الدولة في صورتها الصحيحة ليست إلا تتويجاً لتطور المجتمع نفسه، لذا لا يصح التركيز على حماية الدولة في مقابل انكشاف المجتمع، بل ينبغي إدراجهما في معادلة واحدة ومتصلة.

المقاومة بين المشاركة السياسية ومواجهة الاحتلال (نموذج حركة حماس)

الأستاذ رأفت مرة

تُعرَّفُ المقاومة بأنها مشروع لمواجهة وإزالة الاحتلال وكافة أشكاله وامتداداته بالوسائل العسكرية والمدنية المختلفة. وقد ذهب الاتجاه نحو الاعتقاد بأن وظيفة المقاومة هي فقط مواجهة الاحتلال عسكرياً ومدنياً عبر ضرب وجوده ووحداته وتخريب منشآته واستهداف عديده البشري، وتحريض المجتمع على العصيان أو التحدي والرفض والثورة على هذا الاحتلال.

ونادراً ما كان يحكى عن دور للمقاومة يتجاوز هذا الإطار، ليمتد نحو العمل العام المتعلق بإدارة شؤون المجتمع وتدبير شؤون الناس وممارسة النشاط الاجتماعي الجماعي والمشاركة في وظائف الحكم والدولة والمؤسسات.

ولا شك أن تاريخ حركات المقاومة في العالم، شهد مشاركة المقاومة بأشكال وأوقات مختلفة في تسيير شؤون المجتمع. وعملت بعض قوى المقاومة على الجمع ما بين التصدي العسكري للاحتلال والمشاركة في إدارة شؤون الحكم. غير أننا في العشرين سنة الأخيرة وقفنا أمام تجربتين مهمتين

ومميزتين مثّلتا تطوراً في مفهوم المشاركة السياسية لقوى المقاومة ورسختا نموذجاً متطوراً في الجمع ما بين مقاومة الاحتلال وإدارة شؤون الناس عبر المؤسسات القائمة في نفس الوقت.

هذان النموذجان هما حركة حماس في فلسطين وحزب الله في لبنان.

فيما يتعلق بحركة حماس، فقد تميزت تجربتها في المشاركة بالتالي:

ـ الحجم الكبير والوزن الفاعل على الصعد السياسية والشعبية والعسكرية.

ـ التأثير النوعي لحماس في المستويات المحلية والإقليمية والدولية.

ـ طبيعة مشروع حماس لجهة طرد الاحتلال والتعددية السياسية وتطوير المجتمع وإصلاحه وتنميته.

ـ الموقف الدولي المعارض لنهج حماس ووصفه لها بالإرهاب.

ونحن ندرس مسيرة حماس في الجمع ما بين المقاومة والمشاركة السياسية نقع على استنتاجات مهمة:

ـ إن هذا الجمع بين المقاومة والمشاركة السياسية لم يكن صدفة أو توجهاً آنياً، بل هو مرتبط بالفكر والدور والمشروع.

ـ إن المشاركة السياسية كانت كبيرة وفاعلة ومؤثرة، وجاءت بترحيب جماهيري، وبطلب شعبي أحياناً، وبنتائج وأصوات كبيرة.

ـ إن هذه المشاركة أتت من ضمن النظام السياسي السائد، ووفقاً للآليات المعمول بها، وبناء على القوانين والأنظمة القائمة.

ـ إن مشاركة المقاومة أخذت طابع التدرج والتمهل، وشملت مؤسسات المجتمع المدني والنقابات والاتحادات، ولم تقتصر فقط على المؤسسات الرسمية من حكومة ومجلس وشعب. ولم تحظَ هذه المشاركة بأي طابع عنفي أو إكراهي.

نموذج حركة حماس

مثّلت مشاركة حركة حماس في الحياة السياسية الفلسطينية تطوراً سياسياً واجتماعياً لناحية: منظومة المبادئ والقيم التي تحملها الحركة، الأهداف السياسية والاجتماعية الشاملة بما يمثل مشروعاً متكاملًا، انسجام الخطاب مع موقع القضية الفلسطينية الديني والتاريخ والحضاري وواقع الأمة وماضيها وحسن قراءة المشروع الصهيوني وأبعاده، الوسائل المتعددة ومدى المزاوجة بين العناصر والأدوات في ظل المحافظة على المرتكزات والثوابت الوطنية والتاريخية.

بكل موضوعية، نستطيع القول إن حركة حماس أسّست لتجربة فريدة في العملين المقاوم والسياسي في آن واحد، فهي استطاعت أن تجمع بين مقاومة الاحتلال بالحجر والسكين والرصاص، وبين المشاركة في العمل العام بجوانبه الرسمية والشعبية، وذلك يعود طبعاً إلى ماهية حركة حماس وطبيعة برنامجها.

فالحركة كما تقول المادة الأولى من ميثاقها هي حركة: «الإسلام منهجها، ومنه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان، وإليه تحتكم في كل تصرفاتها، ومنه تستلهم ترشيد خطاها».

هدفها التحرير مع المقاومة وبناء المجتمع والمشاركة:

فضلًا عن كونها حركة تحرر وطني، حماس حركة إسلامية تتعاطى شؤون الحياة من جميع جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التي تشتق برامجها من الإيديولوجيا مع قدرٍ عالٍ من البراغماتية والمرونة، التي تظل منجذبة بشكل أو بآخر إلى الثوابت.

إن أهداف حركة حماس تجتمع حول تقاطع استراتيجي هو تحرير فلسطين انطلاقاً من رؤيتها الفكرية النابعة من عقيدتها الإسلامية، وبالتالي

تتوحد هنا النزعة الوطنية والدفاع عن الوطن واستعادة ما احتل من الأرض بالنزعة الدينية التي تنظر إلى فلسطين الأرض كثابت وطني وواجب ديني يحتم القيام بواجب التحرير تجاهها.

ومن خلال رؤيتها لفلسفة الصراع مع (إسرائيل) وماهيته وطبيعته، تؤكد أن الاحتلال يولّد المقاومة، وأن هذه المقاومة تتناسب تناسباً طردياً في عنفها مع عنف الاحتلال، أي بتعبير آخر **إن مقاومة (حماس) نتيجة وليست سبباً، إنها نتيجة وجود الاحتلال، وما دام الاحتلال قائماً فإن وجود المقاومة ضرورة ملازمة له. وترى حماس أن الشرائع السماوية والقوانين الوضعية** وللمواثيق الدولية كافّة قد أباحت لأي شعب يقع تحت الاحتلال أن يتبنى كل الوسائل المتاحة للدفاع عن نفسه وأرضه.

تؤمن حماس بأن الرؤية السياسية والمعطيات الموضوعية لواقع الشعب الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال والخاضع لظروف اقتصادية واجتماعية قاسية تحتم على أي حركة تعمل في ظل هذه الوضعية أن تعنى بالوحدة الوطنية من جهة، وتتحمل من جهة أخرى مسؤولية بناء وتأسيس مجتمعها عبر جملة من الأنشطة الفكرية والثقافية والاجتماعية الخيرية والتعليمية والصحية وغيرها، تلك التي تعكس ماهية الحركة كإطار تحرير ومنهج لبناء مجتمع متكامل.

وضعت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في مقدمة أهدافها انسحاب (إسرائيل) من الأراضي الفلسطينية طوعاً أو كرهاً. وانتهجت الحركة وسائل متعددة للوصول إلى هذا الهدف. وانطلقت حماس في سعيها للتحرير من منطلقات أيديولوجية ـ وطنية ـ وقومية سياسية واقعية، فرأت الحركة أن مقاومة الاحتلال واجب ديني ووطني، وعمل أباحته الشرائع الدولية ومواثيق الأمم المتحدة التي أكدت شرعية الدفاع عن النفس والأرض ومقاومة الاعتداء عليهما. وتأسيساً على هذا، سعت حماس إلى حشد الجماهير

الفلسطينية والرأي العام عربياً وإسلامياً ودولياً باتجاه توكيد شرعية مقاومتها للاحتلال الإسرائيلي. وتجذرت أهمية هذا الهدف مع التغيرات والمستجدات والمنعطفات التي مرت بها القضية الفلسطينية وعلى رأسها توقيع اتفاق أوسلو.

أهداف المشاركة السياسية:

تهدف حماس من مشاركتها السياسية إلى التالي:

١ ـ تنمية المجتمع وتطويره وإصلاحه:

تؤمن حماس أن مواجهة الاحتلال يجب أن تتم من خلال مجتمع محصّن وتنشئته على أسس ثقافية وفكرية تتماشى مع تاريخه وحضارته ومصالحه. وتنطلق الحركة من قاعدة إن «بناء المجتمع المسلم ضرورة لازمة من ضرورات المعركة والتحرير». وذلك يتم من خلال الخطابين الديني والوطني، والذي يتم عبر جهد جماعي تشارك فيه المرأة إلى جانب الرجل، من خلال المدارس والمساجد والأندية.

لذلك جاء برنامج الحكومة الفلسطينية المنتخبة ليشدد على التالي: إزالة الاحتلال والعمل على بناء الدولة، التمسك بحق عودة اللاجئين، المقاومة بكافة أشكالها حق مشروع، إجراء عملية إصلاح شاملة للوضع الداخلي، وبناء مؤسسات الشعب والمجتمع، حماية الحريات والتعددية السياسية واحترام حقوق الإنسان.

٢ ـ تحقيق المشروعية السياسية:

يعد تحقيق المشروعية السياسية لأي حركة هدفاً رئيسياً في بداية نشوئها، ويزداد هذا الهدف أهمية في الحالة الفلسطينية، أي في ظل شعب يرزح تحت الاحتلال، الأمر الذي يجعل ثمة علاقة عضوية بين مشروعية أي تنظيم ومدى مقاومته للاحتلال.

وبمشاركة حماس الفاعلة في الانتفاضة، وتعرّض كثير من قياداتها وعناصرها ومناصريها للاعتقال والتعذيب والإبعاد، وتقديم قائمة طويلة من الشهداء، وتقديم العون والمساعدة للشعب الفلسطيني عبر مؤسسات الحركة التكافلية، وخوضها برنامج المقاومة المسلحة بالعمليات النوعية، حققت للحركة مشروعيتها السياسية كفصيل وطني من الفصائل الفلسطينية الهامة.

إن تحقيق المشروعية السياسية للحركة كان الخطوة الأولى والأهم لتحقيق برامجها وطروحاتها في أرض الواقع، وبتحقيق هذا الهدف أصبحت رقماً أساسياً في المعادلة السياسية داخلياً (في الأراضي المحتلة) وخارجياً، فصار من الصعب تجاهلها في أي بناء للخارطة السياسية الفلسطينية، وفي أي تصورات للتعامل مع الحل النهائي للقضية الفلسطينية.

وأتت المشاركة السياسية العامة كعمل ضروري للمقاومة لكسر محاولات العزلة ولتجاوز وسائل الإقصاء والإلغاء ولوقف مخطط التحييد والاستئصال، وحتى لإظهار الحجم الحقيقي للمقاومة مع محاولات البعض إنهاء دورها والاكتفاء بما حققته من أهداف غير نهائية، مدعين بأن اتفاقيات التسوية أنهت المسائل. ونحن نذكر محاولات الوقف النهائي لأعمال المقاومة ومخططات جمع السلاح أو محاولات الاعتقال وإقفال المؤسسات.

٣ ـ حماية المقاومة:

سعت حماس إلى حماية مشروعها المقاوم من محاولات التصفية، وقد كان سلاح الحركة ومؤسساتها وكادرها العسكري والسياسي والاجتماعي عرضة للتصفية والاعتقال.

ومنذ توقيع اتفاق أوسلو كثرت المبادرات والمشاريع الساعية لضرب المقاومة ونزع سلاحها واعتقال قادتها.

ورغم أن المقاومة صمدت وتمسكت بمواقفها ودفعت ثمناً كبيراً من

قادتها وجمهورها وأنصارها ومؤسساتها، إلا أن الحركة ظلت بحاجة إلى غطاء رسمي، رغم توفر الغطاء الشعبي الذي برز دوره أكثر من مرة وبالأخص حين قيام السلطة بمحاولات اعتقال قادة الحركة أو إغلاق مؤسساتها.

وبما أن مقاومة الاحتلال مشروعة وفق القوانين الدولية ومعاهدة جنيف وميثاق الأمم المتحدة، **فإن المقاومة في فلسطين أصبحت بحاجة إلى حماية خاصة بعد اعتراف منظمة التحرير بالاحتلال ووصف السلطة الفلسطينية للعمليات بالإرهابية. وقد أتت الحماية أيضاً كحاجة لمنع مسيرة** الانهيار السياسي عبر التخلي عن الثوابت الوطنية.

الاستراتيجيات الرئيسية في إدارة حماس للصراع:

تتمحور استراتيجية حماس حول أربع نقاط:

١ ـ تكريس الرؤية والفكر والمنهجية الإسلامية في الحياة والمقاومة والمجتمع.

٢ ـ المقاومة المسلحة ضد الاحتلال مع المقاومة المدنية والشاملة.

٣ ـ تحرير كل فلسطين.

٤ ـ التكتيك واستخدام المرحلية في إدارة الصراع، عبر التعامل مع الواقع ضمن ظروفه، وقراءة المتغيرات، مع تعدد الأساليب من المقاومة المسلحة إلى المدنية، إلى المشاركة البرلمانية والمشاركة في الحكم.

لكن استراتيجية الجهاد هي استراتيجية ثابتة عند حماس. يقول بيان للحركة بتاريخ ١٩٩٤/٨/١٧: «إن الجهاد ضد الاحتلال، وضرب أهدافه يشكّل لدى حماس خطاً استراتيجياً لا تراجع عنه ما دام الاحتلال الصهيوني قائماً فوق أرضنا الفلسطينية، وإن جميع حملات القمع والاعتقال لن توقف جهادنا

ضد العدو المحتل، سواء صدرت عن سلطات الاحتلال الصهيوني، أم من أية أداة من أدواته».

حماس والعمل السياسي:

تعتبر حماس أن المقاومة هي الخيار الاستراتيجي لتحرير فلسطين. لكنها تتبنى العمل السياسي أسلوباً متمماً للعمل العسكري وليس بديلًا عنه.

ففي رؤية حماس يلتقي العملان السياسي والعسكري على هدف واحد هو تحرير فلسطين، وكامل حدودها من البحر إلى النهر.

قد يتقدم في بعض الأحيان السياسي على العسكري أو العكس، لكن المزاوجة الناجحة والموضوعية بين الأسلوبين وفق إدارة حكيمة يحقق أهدافاً ذات فاعلية.

وترتكز حماس على أربعة عناصر أساسية هي:

١ ـ التعبئة الجماهيرية في المجالات الثقافية والفكرية والدينية والسياسية، عبر المساجد والمراكز والأندية ومختلف الأنشطة التربوية والاجتماعية.

٢ ـ المشاركة في الانتفاضة التي حركت المجتمع الفلسطيني وعبّرت عن المقاومة السياسية للاحتلال.

٣ ـ معارضة الحلول السياسية.

٤ ـ تفعيل العلاقات السياسية على المستويات المحلية والعربية والدولية.

حماس والتعددية:

حتى يمكن فهم موقف حماس من التعددية مختصَراً نرجع إلى البيان الصادر في ١٩٩١/١/٦ وفيه:

- إن الاختلاف في الرأي وتباين المواقف والاجتهادات السياسية أمر طبيعي، وظاهرة صحية موجودة عند جميع شعوب الأرض.

- من حق أي طرف كان أن يعبّر عن موقفه ورأيه واجتهاداته ومعتقداته بالوسائل التي يراها مناسبة ما دامت هذه الوسائل حضارية بعيدة عن الصدام والتشنجات.

- نؤكد رفضنا القاطع لأساليب الهيمنة وتكميم الأفواه واغتيال الرأي الآخر أو تجاهله ومحاولة طمسه والتقليل من شأنه، فلا يحق لأي طرف كان أن يفرض رأيه على الآخرين أو يدعي الوصاية على الناس.

- لا يحق لأي طرف كان أو جهة ما أن تتعدى أو تتعرض لفعاليات الطرف الآخر ومحاولة إلغائها أو التشويش عليها، ما دامت هذه الفعاليات من وسائل المعارضة الحضارية المقبولة والمتعارف عليها من بيانات أو اعتصامات أو مسيرات أو مظاهرات أو إضرابات.. إلخ.

- ليس من حق أي جهة كانت أن تدعي أنها تشكل الأغلبية وأن سواها أقلية، ما دامت لم تجرِ انتخابات حرة ونزيهة ومحايدة لإفراز الجهة التي تمثل أغلبية جماهير شعبنا، وأي ادعاء في هذا الموضوع يبقى مجرد ظنون وأوهام لا يقوم على أساس الحق والمنطق.

- ترفض حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الطعن أو التشهير بالأفراد أو الجماعات، فليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، مع ضرورة التفريق بين ذلك وبين المواقف والتصرفات للأفراد والجماعات، فعندما يكون هناك خطأ في المواقف والتصرفات فلحركة حماس الحق في بيان الخطأ والعمل على بيان الحق وتبيينه في أية قضية مطروحة بموضوعية وأمانة وشجاعة وصدق وإخلاص، على ضوء الرؤية الإسلامية.

وسياسة الحركة ونظرتها إلى العمل في الساحة الفلسطينية يستشف من المذكرة التعريفية التي أصدرتها الحركة عام ١٩٩٣ وفيها:

١ ـ ترى حماس أن ساحة العمل الوطني الفلسطيني تتسع لكل الرؤى والاجتهادات في مقاومة الاحتلال الصهيوني، وتعتقد أن وحدة العمل الوطني الفلسطيني غاية ينبغي على جميع القوى والفصائل والفعاليات الفلسطينية العمل من أجل الوصول إليها.

٢ ـ تسعى حماس إلى التعاون والتنسيق مع جميع القوى والفصائل العاملة على الساحة ورائدها في ذلك القاعدة الذهبية التي تقول: نتعاون فيما نتفق عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه.

٣ ـ حركة حماس ليست بديلًا لأحد، وترى أن م.ت.ف. إنجاز وطني ينبغي الحفاظ عليه ولا مانع لديها من الدخول في إطار م.ت.ف. بالعمل على تحرير فلسطين، وعدم الاعتراف بالعدو الصهيوني وإعطائه شرعية الوجود على أي جزء من فلسطين.

٤ ـ تعتقد حماس أنه مهما بلغت الخلافات في وجهات النظر والاجتهادات في ساحة العمل الوطني، فإنه لا يجوز بحال من الأحوال لكائن من كان أن يستخدم العنف أو السلاح لفض المنازعات أو حل الإشكالات، أو فرض الآراء والتصورات.

٥ ـ تعتقد حماس أنه على الرغم من التباين في الطرح السياسي للقوى والفصائل الفلسطينية، فإنها تستطيع أن تعمل بشكل مشترك وخاصة في مواجهة العدو وتصعيد المقاومة الشعبية المتمثلة في الانتفاضة المباركة. وقد بادرت حماس إلى تقديم مبادرات في هذا الصدد لتكوين قيادة مشتركة للانتفاضة، كما طرحت مشروعاً لأولويات العمل الوطني الفلسطيني.

٦ ـ تُولي حماس أولوية خاصة لتوحيد مجموعات وفصائل العمل الإسلامية، وتؤمن بأن القواسم المشتركة بين هذه الفصائل أكبر بكثير من عوامل الافتراق.

٧ ـ حماس منظمة شعبية واسعة، تدافع عن قضايا الشعب الفلسطيني من غير تمييز على أساس ديني أو عرقي.

حماس والانتخابات:

تؤمن حماس بمبدأ الاختيار الشعبي الحر عبر الانتخابات كركيزة من ركائز العمل السياسي وكخيار ديمقراطي لاختيار ممثلي الشعب وكوسيلة جوهرية للتمثيل.

ففي مبادرة سياسية طرحتها حماس عام ١٩٩٤ النص التالي: «إجراء انتخابات تشريعية حرّة وعامة للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، لاختيار قيادته وممثليه الحقيقيين. وهذه القيادة المنتخبة والشرعية وحدها فقط المخولة بالتعبير عن إرادة شعبنا وطموحاته، وهي وحدها التي تقرر كافة الخطوات اللاحقة في صراعنا مع المحتلين».

وفي عام ١٩٩٢ رفضت حماس في بيان لها المحاولات الإسرائيلية لتعيين رؤساء للبلديات، ورفضت تسييس عملية الانتخابات البلدية. وعندما قامت السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٤ بتعيين مجالس بلدية من دون انتخابات، أدانت الحركة الطريقة التي تم بها تشكيل المجالس البلدية في غزة ونابلس والخليل والتي قامت على أسس فئوية دون الأخذ برأي الشعب الفلسطيني.

ولما كانت الانتخابات التمثيلية التشريعية تأخذ عادة الأبعاد السياسية، ولما تكررت مسألة الانتخابات في معظم المبادرات السياسية، فقد اهتمت حماس بها ورحبت بإجراء انتخابات حرة، فقد قال الشيخ ياسين رحمه الله «لا توجد أي طريقة أخرى لانتخاب من يمثّل الشعب إلا عن طريق الانتخابات».

واشترط الشيخ ياسين إجراء الانتخابات تحت رقابة دولية. وقد شددت حماس على إجراء الانتخابات التمثيلية بشكل لا تكون مربوطة بالاحتلال

ومؤسساته، وإن كانت برزت صعوبة كبيرة في إجراء انتخابات لا تكون تحت وجود الاحتلال.

إشكاليات مشاركة المقاومة في العملية السياسية:

كيف توفق المقاومة بين نهجي مواجهة الاحتلال وإدارة الدولة؟ فمواجهة الاحتلال مسألة ليست سهلة، لكن لها استراتيجيات ووسائل تختلف كل الاختلاف عن نهج إدارة الدولة أو تسيير المؤسسات.

طالما شاركت المقاومة في العملية السياسية الانتخابية، فإنها معنية بمواجهة الاستحقاقات الناتجة عن هذه المشاركة، وتحمّل المسؤوليات الناشئة، واستثمار الفرص ومواجهة التحديات، خصوصاً لجهة المسائل المعيشية والإدارية المرتبطة بالمجتمع أو بُنية الدولة ومؤسساتها وأجهزتها.

قد تكون المقاومة قادرة على تنفيذ عملية عسكرية أو ضرب قافلة أو اغتيال رمز للاحتلال، لكن كيف يمكن للمقاومة إدارة العملية الاقتصادية والشأنين الصحي والتعليمي وأمن المجتمع والاستقرار السياسي ورعاية مؤسسات الشأن العام، وقضايا التشريع والرقابة والعمل النقابي والحريات والتنمية؟

إن أصعب ما يواجه المقاومة في فلسطين اليوم اشتراكها في العملية السياسية مع وجود شامل للاحتلال، ومع هيمنة الاحتلال على كافة مناحي الحياة.

الاحتلال في فلسطين يهيمن على الأرض والجو والسيادة والموارد الأولية والمعابر، والمدى الحيوي للسلطة الفلسطينية مرتبط بالاحتلال سواء من خلال الاتفاقيات الموقعة أو من خلال واقع الاحتلال القائم.

وبالتالي فإن المشكلة تتعاظم في حالة النسبة الكبيرة التي حققتها المقاومة في غزة والضفة في الحكم، حيث أصبحت غالبية في البرلمان، وشكلت الحكومة، وبالتالي صارت أمام الاستحقاق التالي:

كيف يمكن التوفيق بين إدارة السلطة وفي نفس الوقت الاستمرار في العمليات ومواصلة استهداف مؤسسات ورموز الاحتلال وبنيته. ومع صعوبة التوفيق بين الخيارين يبقى أمام المقاومة فرصة نوعية وهي العمل مستقبلًا على المحاور التالية:

١ ـ تعزيز الوحدة الوطنية.

٢ ـ الصمود في وجه الاحتلال ومنع انهيار الحكومة وكسر الحصار المفروض عليها، وتوفير المستلزمات الأساسية للمجتمع، من تنمية وإغاثة وصناعة وخدمات.

٣ ـ إجراء نقد موضوعي ووطني ومنفتح للتجربة السياسية الماضية.

٤ ـ بناء منظمة التحرير على أسس سياسية وإدارية جديدة.

٥ ـ التكامل مع الفلسطينيين في الخارج وإشراكهم في القرار.

٦ ـ بناء منظومة سياسية مؤسساتية مجتمعية لاستكمال مراحل النضال الفلسطيني، ومواصلة مسيرة التحرير وبناء الدولة، وتحويل خيار المقاومة إلى خيار شعبي ورسمي شامل، وحماية الأجنحة العسكرية وتغطية عملياتها سياسياً ورسمياً وحماية المقاتلين وبنيتهم التحتية.

٧ ـ استشراف المستقبل وفق أسس علمية ومنهجية، وتوقع التحديات والفرص، وتحديد البدائل الممكنة.

٨ ـ بناء علاقات عربية ودولية فاعلة.

٩ ـ تقديم خطاب فلسطيني موحد للعالم على قاعدة الشرعية الممنوحة جماهيرياً، وتقديم المقاومة من خلال خطاب وطني عام.

١٠ ـ المحافظة على الثوابت الوطنية وعدم الاعتراف بالاحتلال أو الاتفاقيات الموقعة معه، وإن كانت مضطرة للتعامل مع بعض القضايا الخدماتية والحياتية.

١١ ـ من الممكن أن تلجأ حماس إلى صياغة مشروع سياسي مؤقت، لتجاوز حالة الحصار والضغط، ويقوم المشروع على الهدنة طويلة المدى لعشر سنوات دون الاعتراف، أو لانسحاب إسرائيلي إلى حدود عام ١٩٦٧، دون الاعتراف بوجود أو بشرعية الاحتلال، شرط الانسحاب الكامل وإزالة المستوطنات، وإطلاق الأسرى وهدم الجدار.

باختصار تواجه حماس تحديين: النجاح في إدارة الحكومة وتحقيق ثقة المجتمع، والاستمرار في المقاومة والتصدي للاحتلال وحماية المشروع الوطني.

التجربة الماضية في مسيرة حماس ونجاحها تجعلنا نتفاءل.

مقاومة واحدة لأمة واحدة

المستشار الشيخ فيصل مولوي
الأمين العام للجماعة الإسلامية في لبنان

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد خاتم النبيين، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

١ ـ الإنسان مفطور على مقاومة العدوان عليه وعلى أهله وقومه، والسعي لإزالته حتى لو تعلّق بإنسان آخر ليس بينه وبينه علاقة خاصّة. ولذلك فقد نهى الله عزّ وجلّ عن الاعتداء على الآخرين فقال: ﴿...تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ...﴾[١]، ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ...﴾[٢]، وأكّد للمؤمنين أنّ البغض مهما كانت أسبابه مشروعة لا يجوز أن يؤدي إلى الاعتداء: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾[٣]، ولذلك أعلن الله عزّ وجلّ أنه: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٤]، وأمر بردّ العدوان بمثله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٠.
(٣) سورة المائدة: الآية ٢.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٠. وسورة الأعراف: الآية ٥٥.

اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ...﴾[1]. ولم يسمح بالزيادة عن المثل حتى ولو استمر البغي والعدوان: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾[2]. فإذا تمّت إزالة العدوان وجب التوقّف عن المتابعة: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[3].

٢ ـ تتعرّض الأمة العربية والعالم الإسلامي لعدوان متواصل من العدو الصهيوني والولايات المتحدة الأميركية التي أعلنت رسمياً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول على لسان رئيسها جورج بوش الابن في خطاب عن حال الاتحاد في كانون الثاني الماضي (أنّ بلاده تخوض حرباً مع الإسلام الراديكالي) أي مع الإسلام كدين ومع المسلمين كشعوب، وليس الأمر محصوراً كما يقال أحياناً بحرب ضدّ ما يسمّونه إرهاباً. بل قد صرّح كثير من سياسييهم ومفكّريهم ومراكز الأبحاث عندهم بخططهم الهادفة إلى إجراء تعديلات على الإسلام في كلّ ما يعتقدون أنه لا ينسجم مع العولمة الأميركية، وخاصة تكريس ما يسمّونه المساواة بين المرأة والرجل وإلغاء الأحكام المتعلّقة بالطلاق وتعدد الزوجات والقوامة وإباحة الشذوذ الجنسي وتشريع الزواج المثلي، فرض الديمقراطية بالمعنى الذي يخدم مصالحهم، وتعطيل أحكام الجهاد لتمكينهم من الاستمرار في إذلال الشعوب المستضعفة وامتصاص خيراتها وإلحاقها بالهيمنة الأميركية.

٣ ـ أمام هذا العدوان المكشوف والمستمرّ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والذي يتجلى أحياناً بالغزو العسكري المباشر كما حصل في فلسطين وأفغانستان والعراق، وأحياناً بالتسلّط على القرار السياسي وإخضاع أكثر الأنظمة الحاكمة لمخططاتهم، كما يتجلى دائماً بالهيمنة الاقتصادية تحت

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٤.
(٢) سورة الحج: الآية ٦٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٠.

شعار حرية السوق والمساعدات والقروض التي لا تمنح إلّا بشروط معروفة، وأخيراً يأتي الغزو الفكري الذي تقوده مراكز دراسات رسمية عندهم، وتتعاون معه مراكز دراسات متعددة في بلادنا، وهو يسعى بشكل حثيث لاستيلاد إسلام جديد ينسجم مع طروحاتهم المادية ويخضع لمصالحهم السياسية. ونحن أمام هذا العدوان المستمرّ والشامل ليس لنا إلّا أحد خيارين: المقاومة أو الاستسلام.

٤ ـ يطرح بعض الناس علينا الاستسلام، من قبيل القناعة بعنف الهجمة الصهيونية الأميركية وعدم إمكان مقاومتها، خاصة وأن أمتنا ممزّقة بين كيانات ودول قطرية ممنوعة من التوحّد أو حتى التعاون، وأكثر الأنظمة الحاكمة فيها لا تستطيع الاستمرار إلّا بواسطة حالة الطوارئ والقوانين الاستثنائية والأجهزة المخابراتية المتعددة، مما أدى إلى استنزاف طاقاتنا وتدجين أحزابنا وشلّ مؤسسات المجتمع الأهلي عن القيام بدورها. نحن أمّة تذخر بالطاقات الحيّة لكنّها تفتقد القيادة سواء كانت رسمية أو شعبية. وأكثر أنظمتنا انتزعت القيادة بدون رضا من الناس، وفرضت نفسها وصياً على الأمة، وأصبح هدفها المحافظة على النظام ولو ضاع الوطن. من أجل ذلك فقد استسلمت أمام العدوان الخارجي، وراحت تزيّن لنا الاستسلام. أما قياداتنا الشعبية وأحزابنا السياسية ونقاباتنا المهنية فقد حوصرت من كلّ جانب وهي إما أن تكون في السجون أو في المنافي، أو في ساحات الوطن تقف شبه عاجزة بعد أن أصبح دورها محصوراً في التوفيق بين تطلّعات الشعوب ومصالح الأنظمة، وبعد أن تدنى سقف الأنظمة بحيث لم يعد يسمح للشعوب بأكثر من الكلام وضمن الحدود. أمام ضراوة الهجمة المعادية، وضعف القدرة على المواجهة، يطرح المنهزمون شعار الاستسلام، الذي يضمن لنا ـ حسب ظنّهم وإلى حدّ ـ الحياة ولو بدون كرامة، وبدون رسالة. فالأنظمة المتسلّطة والقوة الصهيونية الأميركية كلاهما قدر لا يمكن مواجهته في نظر المستسلمين.

٥ ـ في مثل هذه الظروف تتقدّم عادة في كلّ أمّة بعض الطلائع المجاهدة، ترفض الاستسلام وتعلن المقاومة. وأمّتنا ليست نشازاً عن غيرها، بل إنها تختزن من عناصر القوة ما يجعلها في المقدّمة. فالعربي لا يقبل الذلّ أبداً، والمسلم يؤمن بالحياة الآخرة بعد الموت، ويعتبر الجهاد في سبيل الله طريق العزّة، ويسارع إلى طلب الشهادة لأنها أغلى أمنية عنده. عندما تتقدّم هذه الطلائع يلتف حولها الناس، ومع الإصرار والاستمرار والصمود تبدأ الانتصارات رغم اختلال موازين القوى، ثمّ تبدأ هذه الموازين بالتغير تدريجياً إلى أن يحين النصر الكامل إن شاء الله.

هذا ما حصل في لبنان وفي فلسطين، ولا أريد أن أفصّل ما هو معروف، لكن الجميع يعلم أنّ روح المقاومة والصمود أصبحت اليوم سائدة بشكل كبير، وإن كانت ظروف الانتصار النهائي لم تنضج بعد، وقد يتأخّر نضوجها، لكن شعبنا عرف الطريق ومشى فيه، وذاق حلاوة الشهادة واستعاد معنى العزّة، وهو موقن بحتمية الانتصار بإذن الله ولو بعد حين.

٦ ـ نحن أمّة واحدة، نواجه عدواً واحداً يتحرّك ضدّنا في أكثر من مكان، وفي أكثر من صعيد. لقد عجزت الأنظمة أن تجمع طاقات الأمّة لتواجه هذا العدو. ولم تصدر مبادرة جادة في مجال التعاون عن جامعة الدول العربية أو منظمة المؤتمر الإسلامي. بل إنّ الأنظمة اليوم أصبحت تقدّس الحدود التي رسمها لنا العدو، وأصبح العربي من إحدى الدول يعتبر أجنبياً في الدول العربية أخرى، كما أصبح المسلم من إحدى بلادنا الإسلامية يعتبر أجنبياً في بلادنا الأخرى، ويعامل بشكل أسوأ من الأجنبي وتطلب منه تأشيرة لا تطلب من الأجنبي. وأصبح من المعروف أنّ عبارة: (التدخّل الأجنبي) يقصد بها عادة بلادنا العربية أو الإسلامية ولا تشمل الدول الأجنبية المعادية فعلًا.

إن المقاومة يجب أن تنجح حيث فشلت الأنظمة. وأن تعبّر بصدق

وجرأة عن وحدة هذه الأمّة، كما عبّرت عن أصالتها وحفظت كرامتها ورفعت رأسها أمام العالم. يجب أن يكون شعارها دائماً: مقاومة واحدة لأمّة واحدة. إذا نسيت الأنظمة هذه الوحدة، وإذا تعبت الأحزاب الوحدوية من النضال الحقيقي فتحوّل نشاطها إلى كلام إعلامي بدون تحرّك جديّ. فإن المقاومة اليوم هي القادرة أن تنفخ الروح الوحدوية من جديد، وأن تتجاوز الحدود المصطنعة والتقسيمات العرقية أو الطائفية أو الإقليمية، لتقود الأمّة كلّها في معركة واحدة ضدّ العدو الخارجي.

إن أكبر خطيئة، بل هي أكبر جريمة بحقّ هذه الأمّة أن تشغل المقاومة بالصراعات الداخلية أو تستسدرج إلى فتن مذهبية، أو حرب أهلية. إنها عند ذلك تستنزف نفسها، وتستنزف أمّتها، وتحقّق بنفسها وبدمائها ما يريده العدو.

٧ ـ وحتى تنجح المقاومة في استرجاع وحدة الأمّة لا بدّ أن تتبنّى فكرة: (المقاومة الشاملة) التي يشارك فيها الجميع، ويكون لكلّ دوره الذي يختاره أو يقدر عليه. يجب أن تتوحد الأمّة على المقاومة لا أن تتفرّق بسببها أو حولها. ليست المقاومة مجرّد عمل عسكري ضدّ عدو محتل. إنها رفض الاحتلال ورفض العدوان ورفض التسلّط ورفض التبعية السياسية أو الاقتصادية والعمل لإعادة بناء دولة عزيزة قوية عادلة. إن محور المقاومة الشاملة هو بلا شكّ العمل العسكري لدحر الاحتلال، لكنه يتقوى بالنضال السياسي الذي يسعى بجد لإخراج المحتل، ويتكامل مع النضال الاقتصادي الذي يحرّض على مقاطعة اقتصادية قوية لمنتجات الشركات الأجنبية التي لها مثيل عند شركاتنا الوطنية حتى لو كان أقلّ جودة وأغلى ثمناً. لا يمكننا أن نعود أمّة مهابة إلّا حين نستند إلى اقتصاد قوي، ولا يمكننا بلوغ هذا الهدف إلّا بعد أن نتحمّل شيئاً من التضحية في استعمال البضائع الأقل جودة والأغلى ثمناً.

يجب أن لا ننسى مقاومة الغزو الثقافي الغربي ـ والأميركي خاصة ـ وهو الذي يريد انتزاع عناصر القوّة من هذه الأمّة، وإغراقنا بالمفاسد والأمراض، مبادئنا وأخلاقنا، وهو يمنع عنّا الاستفادة من التقدّم العلمي الذي سبقنا به كثيراً. وأمامنا الدرس الأخير من إيران التي يحاولون بكلّ السبل منعها من تخصيب اليورانيوم ولو في مجال الإنتاج السلمي للطاقة النووية.

إنّ المقاومة الشاملة التي تجمع كلّ أطياف الأمّة في مواجهة العدوان هي الطريق الأول لاستعادة وحدة الأمّة في هذا العصر.

٨ ـ **وإذا كانت الظروف والحدود والأنظمة تجعل وحدة المقاومة** العسكرية من لبنان إلى فلسطين والعراق وحتى أفغانستان مسألة صعبة جداً، إلّا أنه من الواجب أن يتذكّر المقاومون أنهم يحملون قضية واحدة هي مواجهة الأخطبوط الأميركي الصهيوني، وأنّ أي انتصار على هذا العدو في أي مكان في العالم يساعد الجميع في معركتهم لإخراج الاحتلال وتحقيق الأهداف الوطنية. وبالتالي فإنّ أقصى درجات التعاون يجب أن تتحقّق.

المقاومة في فكر الإمام الصدر
بين الإمام الصدر والمقاومة
قصة عشق وفعل إيمان ومسيرة نضال

النائب علي حسن خليل

عند الحديث عن ثقافة المقاومة نشعر بالحضور القوي للإمام السيد موسى الصدر الذي كان لدوره الكبير الأثر في بناء المقاومة التي أطلقها وأعطاها زخماً دينياً ووطنياً وقومياً وهو الذي استقرأ الحاجة إليها منذ العام ١٩٦٩ منطلقاً من وعيه لمخاطر المشروع الصهيوني ليس فقط على فلسطين، بل على لبنان الدور والموقع وعلى الأمة جمعاء. وانطلاقاً من هذا الوعي دعا إلى الاستعداد لإنتاج مجتمع المقاومة الذي شكل في رؤية الإمام شرطاً ضرورياً لتأسيس مقاومة لبنان ضد التدخل الإسرائيلي المقنع في لبنان وتمهيداً لمقاومة الاجتياحات المتكررة والاحتلال المتوقع ولتأمين دور هذه المقاومة لاحقاً من خلال التدريب والاستعداد العسكري.

منذ بداياته الأولى، إماماً مصلحاً، تصدرت المقاومة حركة السيد الشاب الآتي حاملًا مشروع مقاومة بكل أبعاده، مقاومة ضد الظلم، مقاومة ضد التمييز مقاومة ضد الفقر والجهل والأمية والتخلف.

المقاومة في مشروع الإمام الصدر هي لازمت المقاومة كل فضاءات موسى الصدر، وكانت صورة صادقة وصريحة في كل تعبيراته، في حديثه الهادئ كما في خطابه الصاخب، في نظرته الوادعة كما رؤيته الهادفة.

وفي المقاومة، برز الإمام الصدر مؤسساً وقائداً ورائداً. ولأن التغيير مقاومة، كانت حركته إصلاحية وكانت مسيرته إصلاحية. إصلاح المجتمع والناس والأهل والشعب. **كل هذه الجماعات النائمة عل نغم السلطة والحكام، ولإصلاح الدولة المهترئة والفاسدة والظالمة والنائمة أيضاً عن حقوق المحرومين.**

لكن المقاومة الأبرز والأهم عند الإمام الصدر، كانت ضد الشر المطلق، الذي عنى به إسرائيل. لم يكن موسى الصدر أول من قاتل إسرائيل، عند العرب والمسلمين ومشروعها الصهيوني، فإسرائيل قضية قبل موسى الصدر، وهي ولدت قبل مجيئه، لكن موسى الصدر هو أول من أسس لتكون المقاومة قضية شعب.

قبل موسى الصدر، قاتل العرب بجيوشهم المشروع الإسرائيلي، بدءاً من جيش الإنقاذ ومروراً بالحروب المتعددة معها.

الإمام الصدر جعل من المقاومة مبدأ وعقيدة وهدفاً ورسالة ومشروعاً وهو الذي قال: «إن معركتنا هذه، أي مع إسرائيل، ذات وجوه كثيرة فهي معركة حضارية طويلة الأمد متعددة الجهات، وطنية قومية ودينية...».

المشهد اللبناني المنعكس من إسرائيل وأعدائها كان واضحاً أمام ناظري الإمام الصدر وليس وحده من كان يرى هذا المشهد المأساوي في جنوب لبنان، عبر الاعتداءات والممارسات الإرهابية الإسرائيلية، لكن الإمام الصدر أول وأهم من قرأ هذا الموقع ثم نبه لمخاطره، محذراً وداعياً للاستعداد لمواجهته.

المقاومة في فكر الإمام الصدر وعي إيماني وسياسي، فهي عقيدة وإيديولوجية وفعل إيمان. بل هي انعكاس حقيقي للإيمان، «إن شرف القدس يأبى أن يتحرر إلا على أيدي المؤمنين» هنا يبرز العناق بين المقاومة والإيمان. المقاومة مرآة للعقيدة وهنا يبرز أيضاً مضمون المقاومة كمشروع أمة ذات رسالة وعقيدة. «إنها معركة الماضي والمستقبل ومعركة المصير». فأمام تقاعس الدولة عن دورها في تسليح الناس بالسلاح الحديدي رأى الإمام الصدر أن السلاح الآخر هو الإيمان «لم يسمحوا لنا ببناء مزارع محصنة بالسلاح، فبدأنا نبني حسينيات محصنة بروح البطولة والفداء». ألم يواجه الجنوبيون القبضة الحديدية الإسرائيلية بالقبضة الحسينية العاملية؟

لقد أتت المقاومة في فكر الإمام تعبيراً عن الوعي الإيماني بالكرامة الإنسانية والبعد الوطني الذي عرّفه بأنه بعد من أبعاد الإيمان الديني الذي التزمه الإمام لتأكيد شرعية المقاومة باعتبار هذا الالتزام تنفيذاً لإرادة الأنبياء والأولياء وللإرادة السماوية بمحاربة الإنسان المؤمن للظلم والفساد والعنصرية.

- المقاومة هي أيضاً وعي سياسي وقضية سياسية بامتياز.

سارع الإمام إلى العمل السياسي والتعبئة التي تحد من مخاطر إسرائيل واختراقاتها للمجتمع اللبناني وتعزز الممانعة عند اللبنانيين.

اعتبر الإمام الصدر أن لبنان بموقعه ودوره هو هدف مباشر للمشروع الصهيوني وفي قلب أطماعه «إن إسرائيل بوجودها وبما لها من أهداف تشكل خطراً على جنوبنا وشمالنا وعلى أرضنا وشعبنا وعلى قيمنا وحضارتنا وعلى اقتصادنا وسياستنا إنها تشكل الخطر الآن وفي المستقبل على المنطقة وفي أبعاد لبنان التاريخية والجغرافية والبشرية ومجاورة هذا الخطر الداهم تقضي الاستعداد الدفاعي والسياسي والإعلامي والاقتصادي والنفسي وبدونها نعيش حالة الاستسلام أو تجاهل الخطر».

ولقد أتى هذا التقدير لدى الإمام حول الحاجة لبناء القدرة المقاومة نتيجة إدراكه للتناقض الكبير بين طبيعة لبنان المنفتح والمتعدد وبين الكيان الصهيوني القائم على العنصرية والتوسع ولرؤية منهجية للمخاطر وآليات المواجهة يجعلها صالحة ليس لما مضى بل لإنارة ما نواجه في المستقبل من مخاطر وتحديات من هذا العدو، لهذه الأسباب جعل الإمام في صلب دوره الوطني توسيع الوعي لدى اللبنانيين لبناء مجتمع مقاوم ودولة سيدة ترعى وتساند عمل المقاومة.

لبنان دولة مستقلة ذات سيادة وإسرائيل أداة إرهابية في المنطقة ـ عدو محتل ـ لماذا لا تكون مقاومة هذا الكيان الاستيطاني، همّاً سياسياً عاماً ومشتركاً وجامعاً لكل العرب باختلاف مذاهبهم وأديانهم وللمسلمين بمختلف إثنياتهم ولغاتهم. كيف تصبح المقاومة لغة مشتركة عند كل هؤلاء، تلك كانت إحدى هموم الإمام الصدر في مشروعه المقاوم. هنا تبرز المقاومة كمشروع قومي كما أرادها الإمام الصدر. ولهذا السبب طالب العرب ومن ثم المسلمين بتحمل مسؤولياتهم تجاه القضية الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية من جهة وفي لبنان وجنوبه من جهة ثانية «إن القضية الفلسطينية ليست ملكاً لأحد إنها مسؤولية هذه الأمة، بكل فئاتها وأشخاصها ودولها».

مقاومة إسرائيل في فكر الإمام الصدر لها عدة مراحل وعدة أساليب، كلها ضرورية وهامة.

الخطوة الأساسية لهذه المقاومة كانت في تعرية المشروع الصهيوني، أمام الرأي العام العالمي، وأيضاً أمام الرأي العام العربي والإسلامي. إنه تذكير حسب رأيه بالقضية المركزية للأمة كي لا تنسى أو تسهى أو تتغاضى عن مواجهة المشروع الإسرائيلي الصهيوني. الخطاب المقاوم للإمام الصدر قام على فضح مؤامرات لإسرائيل وأطماعها في مقدمة لتشريع المقاوم ضدها. إنه فعل وعي أمام الخارج أولًا، هنا يبرز السبق السياسي للإمام

الصدر، قبل أن يعمد العدو الإسرائيلي أولًا واللوبي الصهيوني ثانياً من اتهام المقاومة بالإرهاب فيحصل الالتباس الذي يهددنا اليوم في التفريق بين المقاومة والإرهاب.

انطلاقاً من هذه الخطوة الأولى، تبرز المرحلة الثانية في مشروع المقاومة عند الإمام الصدر، دعوة المجتمع الدولي لنصرة الحق ومساعدة المظلوم والمحروم، انطلاقاً من الخطاب السياسي ـ الاجتماعي الغربي، الذي تتصدره القضايا الإنسانية. ألم تستغل «إسرائيل» والصهيونية كل حدث أساء يوماً لمشروعها، ألم تسرق عطف العالم على اليهود، وتصورهم كشعب مضطهد ومظلوم؟

الخطوة الثالثة موجهة إلى العرب والمسلمين وإلى الفلسطينيين أنفسهم أصحاب القضية لأخذ دورهم الأساسي في مواجهة مشروع إسرائيل. لكن كيف يتم هذا الأمر؟

هنا يأتي دور المرحلة الأساسية في مشروع المقاومة: تهيئة المجتمع المقاوم، بناء الشعب المقاوم، بناء المواطن المقاوم، وإذا ما سألنا كيف؟ أجاب الإمام الصدر بالاستعداد التام بكل ما أوتينا من قوة التدريب والتيقظ.

انطلاقاً من هذه الخطوة الهامة الضرورية لنجاح مشروع المقاومة، لم يكتف الإمام الصدر بتصعيد خطابه الديني والسياسي والفكري لمواجهة إسرائيل، بل سعى جاهداً لإنشاء مقاومة حقيقية شعبية، تتصدى للمشروع الإسرائيلي وهنا كانت أفواج المقاومة اللبنانية أمل. نعم أرادها الإمام الصدر لمواجهة إسرائيل واعتداءاتها، ومنذ عيَّن البنية وحتى تغيبه عام ١٩٧٨، صارت المقاومة عند الإمام الصدر أبعد من حديث وأكبر من خطاب، إنها دعوة موجهة للتسلح والتدريب لمواجهة أي اعتداء إسرائيلي، مرفقة بتعبئة إيديولوجية إيمانية صادقة، جعلت المقاومة في مصاف القداسة ومندمجة

بالإيمان بالله بكل أبعاده، ومن هذا المنطلق لم تطل قيامة المقاومة في لبنان إثر اجتياح إسرائيل عام ١٩٨٢، إذ فجر أبناء الإمام الصدر وتلامذته أهم مقاومة شعبية وطنية وإسلامية في وجه إسرائيل خلال تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي.

أبناء الصدر هم الذين أوقفوا زحف الدبابات الإسرائيلية في خلدة **وهؤلاء أنفسهم فتحوا عصر المقاومة ضد إسرائيل، لا سيما في جبل عامل، الجنوب البطل. الرجل في مدرسة الإمام الصدر قاتل جحافل العدو. والفتى في مؤسسة الإمام الصدر فجّر نفسه بقوافل العدو والمرأة في حركة الإمام** الصدر صبّت الزيت المغلي على جنود العدو، المجتمع كل المجتمع قاتل العدو، فكانت أول مقاومة شعبية وطنية صادقة تقاتل من أجل التحرير.

المقاومة في نهج الإمام الصدر استعداد مسبق لمواجهة العدو... تدريب ومقومات ووعي وتحضير وجهوزية تامة لملاقاة العدو.

قال يوماً الصحافي المصري البارز عادل رضا «لماذا ننتظر حتى يحتل العدو الإسرائيلي أرضنا ثم نشكل فرق المقاومة لاستعادة الأرض المحتلة... الأفضل أن نستعد ونحمل السلاح ونتصدى للعدو الإسرائيلي قبل تفاقم خطره».

تلك كانت صرخته الصادقة استعداد تام لمواجهة خطر العدو انطلاقاً من مضمون الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾.

لطالما نبّه الإمام الصدر، الدولة والنظام والمقاومة الفلسطينية نفسها والأنظمة العربية، أن لبنان هو الهدف الدائم لإسرائيل فكان يصرخ لتحضير المواجهة والصمود ومن ثم المقاومة إذا ما احتلت لبنان.

المقاومة في نهج الإمام الصدر، سلام لبنان، سلام أهله وأبنائه وحدة مواطنيه ووحدة أراضيه. المقاومة عند الإمام الصدر لبنانياً تعني اتحاد

الشعب اللبناني وبناء السلم الأهلي أولًا... «السلام في لبنان أفضل وجوه الحرب مع إسرائيل» هنا يشير الإمام الصدر إلى أهمية وحدة الشعب في مواجهة العدو. كيف يتسلل العدو إلى الداخل؟ إنه يدخل عبر الانشقاقات بين المواطنين وبين الشعب الواحد تماماً كما يتسرب الماء إلى قلب الصخر، إلى قلب البنيان عبر تشققاته لينهار البنيان، هكذا انهار لبنان أمام مشروع إسرائيل واجتياحها بعدما تفكك الشعب الواحد، وبعدما ساءت العلاقات مع المقاومة الفلسطينية أيضاً، دخلت إسرائيل إلى قلب لبنان.

اقترب الخطر الإسرائيلي المباشر على لبنان في ظل انقسام اللبنانيين وانشغالهم بقضاياهم الطائفية والفئوية وابتعادهم عن هموم الجنوب والخطر الإسرائيلي. هذه القراءة لتطور الأحداث عبر عنها الإمام في تقرير له أمام المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في أيلول ١٩٧٥ عندما قال: «إذا كانت إسرائيل ليست الآن في وضع سياسي يمكنها من احتلال الجنوب لكنها تحاول أن تفجر المجتمع اللبناني من الداخل وتمهد للاحتلال».

المقاومة في فكر الإمام الصدر تنمية المناطق المحرومة لا سيما جنوب لبنان، تنمية وإنماء يشدان المواطن اللبناني للبقاء في أرضه، صامداً أمام أي اعتداء إنها عملية ربط حقيقي ومصيري بين المواطن وأرضه فيموت للدفاع عنها.

هكذا حدد الإمام الصدر تحركه في إطار مشروع يتكامل فيه البعد العسكري مع السياسي والاجتماعي والإنمائي ليشكل رؤية وطنية شاملة تعزز القدرة على صمود الجنوب معتبراً «إن لبنان مع الجنوب ضعيف جسم مشلول وإن الجنوب القوي سياج لكل لبناني». رؤية تعوض عن الفراغ الناتج عن إهمال الدولة لقضاياه وأموره من جهة وتؤمن التوازن من خلال النظرة إلى الجيش والقوى الأمنية من جهة أخرى خاصة مع تعميم البعض ثقافة إن قوة لبنان في ضعفه والتي قابلها الإمام الصدر في تعريف «لبنان دولة مواجهة وبالتالي يجب أن يكون محصناً ومنيعاً».

كيف يصمد الإنسان في أرضه ولا يملك فيها أدنى مقومات الحياة؟ إن المفارقة التي كانت تزعج المواطن الحدودي، أنه كان يرى بأم عينه غياب الدولة عنه وهجرتها له، بينما المستعمرات الصهيونية في النهار مساحات خضراء وفي الليل لآلئ أنوار. وهذا ما كان ينعكس على نفسه مرارة وحرقة، لتخطط في مخيلته صورة العدو الخارجي مع النظام الفاسد والظالم في الداخل، وهنا ربط الإمام بين مشروع المقاومة ومشروع التنمية «**عليكم أن توفروا للجنوبيين وسائل الصمود وإمكانية الصمود وإعطاء فعالية لصمودهم... أنجزوا المشاريع المدروسة والمقررة والموعود بها عشرات المرات**... ساهموا في رفع معنويات أبناء الجنوب، زوروهم، اكتبوا عنهم، أقيموا مواسم وأعياداً وطنية ومهرجانات مهذبة بينهم، وأكثروا من التنقل في قراهم النائية وبصورة خاصة القرى المجاورة للحدود».

أليست هذه دعوة للحياة، لإنعاش هذه المناطق الصامدة أبداً أمام غطرسة إسرائيل ولو استجابت الدولة لصرخته لبقي الجنوبي متراساً حامياً هناك للعاصمة بدل أن ينزح إلى أحزمة البؤس فيها.

إن أكثر ما كان يخيف الإمام الصدر، «إسرائيل» وهروب الدولة عن دورها في الجنوب، فكانت دعوته للمجتمع بالتصدي وعدم الوقوع في فخ العدو وإغراءاته ولو كان الأمر يتوقف عليه حياة الإنسان. وهو ما جرى عندما عمدت إسرائيل عند الجدار الطيب من فتح مستوصفات صحية لتتسلل عبرها إلى المجتمع اللبناني، فكانت صرخته الصاعدة من القلب والتي تحمل معها ألم ووجع الإمام، «علينا أن نعلم أن كل قطرة من أدوية إسرائيل هي سم زعاف يسمم أجسامنا وأجسام أولادنا، وأن كل من يذهب إلى مستوصفاتها إنما يذهب إلى وكر الأفاعي والحيات علينا أن ندرك أن كل خدمة تقدمها لنا إسرائيل وكل بضاعة نشتريها، وكل رحلة توفرها لنا هي ضربة قاضية على وطننا وتاريخنا وكرامتنا.

أناشدكم باسم الله والإنسانية، باسم لبنان، باسم المسيح والإسلام أن تتجنبوا هذا المنزلق الكبير...» من هنا أيضاً كانت فتواه الشهيرة إسرائيل شر مطلق والتعامل معها حرام... إن هذه الفتوى هي التي حصنت المجتمع الجنوبي خلال الاحتلال الإسرائيلي فكانت مقاطعة تامة لكل بضاعة العدو ولأي تعامل مع قواته.

السيدات والسادة:

الأخوات والإخوة

إن الحديث عن المقاومة في فكر وعقيدة ومشروع وحركة الإمام الصدر يحتاج أكثر من ندوة وأكثر من مؤتمر فموسى الصدر نفسه مشروع **المقاومة ورائدها وإمامها.**

يكفينا فخراً جميعاً، أننا كلنا نهتف باسمه في هذا العيد الوطني الكبير. عيد المقاومة والتحرير ولم نختلف يوماً، نحن أبناؤه جميعاً، في أفواج المقاومة اللبنانية أمل وفي المقاومة الإسلامية، على اعتبار صانع عصر المقاومة في لبنان والداعية الأول لمواجهة مشروع العدو الإسرائيلي، وهو ما يجعله بامتياز إمام المقاومة، إمام الوطن، إمام لبنان.

عشتم وعاش لبنان

التعقيبات والنقاشات بعد المحور الثاني

يوسف غزالي:

في سنة ١٩٦٧ نظّمت أميركا مؤامرة وجرى حديث بين وزير خارجيّة إسرائيل والرئيس الأميركي أنّكم تسلّحوننا من أجل العدوان على ناصر، هل أنّ إسرائيل بقدرة ناصر؟ قال له لا، نحن نقاتل ناصر، وكما تتعرّض الآن سوريا وإيران لهجوم مباشر من رأس الاستعمار الأميركي، كان في ذاك الوقت الداعم الأساسي هي ثورة مصر للمقاوم في كلّ العالم العربيّ فكان عدوان ١٩٦٧، وكان الردّ عليه، وفي سنة ١٩٥٦، كان هناك اتّفاقاً بين رئيس وزراء فرنسا ورئيس وزراء بريطانيا على أساس أنّ ناصراً يدعم المقاومة في الخليج، ضدّ المستعمرات الإنكليزيّة، وضدّ المستعمرات الفرنسيّة في الشرق، فكان عدوان ١٩٥٦، وكلا العدوانين ناتج أنّ الداعم للمقاومة ضدّ الدول المستعمرة التي تمكّنت من التحرير في ذاك الوقت من كلّ الدول الاستعماريّة. وشكراً.

سعدى القاضي:

نبارك لكم عيد المقاومة والتحرير، وتستحضرني مجموعة من الأسئلة أمام ما نراه من هذا الفيض الثقافي الذي نراه من الإخوة المحاضرين ومما يطرح على الساحة، وأجدني أمام مجموعة من الأسئلة مفادها أنّه أيّها السادة ألسنا اليوم بحاجة إلى مزيد من الطروحات على تجربة المقاومة في لبنان؟

وأجدني أوافق من يقول بأنّ الفرد الذي يتربّى على مفهوم الروحيّة

المهزومة لا يمكن أن يدرك ما معنى المقاومة، لأنّه سوف يصدر منه المزيد من الانهزاميّة وبالتالي لن يفهم معنى المقاومة.

ثمّ إنّ هناك جيلًا كاملًا يتربّى على ذهنيّة أنّنا لا نستطيع أن نفعل شيئاً بدون الغير والذي يخالفنا بكلّ شيء، من هذه الأسئلة:

كلّ يوم تتّسع تلك المساحة في عقولهم ونخاف أن يأتي يوماً ما تُمسَح ذاكرتهم بالكامل؟ لماذا لا ننظر إلى ما لدينا نظرة إباء؟ ولماذا لا ندرك أنّ الذي لدينا هو أيضاً مائز لأنّه يطرح أنّ الذي يمتلكه الغير هو المائز؟ من وضع في نفس البعض مثل هذا الشعور، الشعور بالانهزاميّة؟

أيضاً تدور مجموعة من الأسئلة في ذهني مفادها أنّه: هل أنّ الخناق الإعلاميّ الصريح هنا وهناك هو الذي يحول دون معرفة هذا الآخر لمفهوم المقاومة؟ واليوم نسأل، ماذا أعدّ المثقّف اللبنانيّ بشكل خاص عن ثقافة المقاومة بعد مضيّ ستّ سنوات على الانتصار قدّمت فيها المقاومة الدماء لتحرير الأرض والعرض، ومع ذلك نقول إنّ ما قدّمته المقاومة ذات قيمة ماديّة ومعنويّة فيجب أن يكون العطاء الثقافي هو في مقابل هذه الدماء التي بذلت على أرض الجنوب.

أليس من المؤسف أن يُثار نقاش حول السلاح الأكثر جدوائيّة في هذا الزمن الصعب وما ندرك أنّ المقاومين وأنّ العلماء قد تحدّثت عنهم الروايات بأنّ دماء الشهداء يعادلها مداد العلماء فأين نجد هذا الزخم؟

على من تقع المسؤوليّة في تأسيس المزيد من الضبابيّة حول مفهوم المقاومة؟ أين المثقّفون والعلماء التي تضجّ بهم الصالونات الثقافيّة وهل ثقافتهم في حراك أم أنّها تحوّلت إلى ترفٍ فكريّ لا أكثر؟ ألسنا اليوم بمصاف أن نصنّف أنفسنا أننا أصحاب تجربة ناجحة بإمكاننا أن نتكلّم عنها وبكلّ جدارة؟ وشكراً.

نبيلة صعب فتح الله، مديرة سابقة في جامعة الدول العربيّة ومدرسة الدكتور حسن صعب:

تهانينا في عيد التحرير، ونشكر منتدى الفكر اللبناني على هذا المؤتمر القيّم كما المحاضرين الكرام.

بعد هذا الشرح الوافي المخيف للحقيقة العالميّة في السيادة، يتساءل أي مواطن عاديّ عن سياسيّين من حكّامنا ونسأل هل يعلمون حقاً هذه اللعبة السياسيّة من الدول الكبرى؟

فإذا كانوا لا يعرفون فهناك مصيبة، وإذا كانوا يعرفون فالمصيبة أكبر. وفي هذا المجال وأمام هذه العولمة الجديدة المتوحّشة التي تندفع نحونا بقوّة باسم الديمقراطيّة الظالمة **يتوجّب علينا كمثقّفين التحصّن منها تحصيناً** قويّاً من دون أي تساهل أو تباطؤ وهذا من واجبنا الأوّل.

السؤال: كيف نستطيع التعامل مع السياسيّين الجدد الذين يتحكّمون بمقدّرات وطننا الحبيب لبنان، وهل الحوار الذي يضلّلون الشعب به سيقنعهم لا بأهمّيّة المقاومة فحسب بل بضرورتها وإلزاميّتها؟

بكلمة، كيف نستطيع الوصول إلى نتيجة إيجابيّة لتحصين لبنان ضدّ التسونامي الخطير علينا؟ وشكراً.

هاني فاخوري، ندوة العمل الوطني:

السؤال للأستاذ نصري الصايغ: ألا يعتقد أنّ الهجوم الأميركي الأكبر على المنطقة والعالم إلى جانب كونه هجوماً أمنيّاً كما ذكر هو أيضاً هجوم اقتصادي وله آليّاته بالبنك الدوليّ، وصندوق النقد الدولي، ومن هنا جاءت الاقتصاديّة الأميركيّة الإسرائيليّة في منطقة الشرق الأوسط.

ألاحظ منذ الأمس أنّ الحديث عن الجيوش العربيّة ينحو منحى باتّ

في المسألة، أرجو ملاحظة أنّ الجيوش العربيّة التي قاتلت في حروب نظاميّة مع إسرائيل تحقّق في الأخير النظريّة التي قالها الأستاذ صايغ، ولكن في السياق قدّمت شهداء كُثُر في معاركها مع العدوّ الإسرائيلي ولم تبق قرية أو بلد في كلّ بلد عربي قاتل العدوّ الإسرائيلي إلا وسقط ولو شهيد.

فلننظر إلى أنّ عائلات الشهداء كانوا مقاومين.

السؤال الأوّل للأستاذ علي أبو الخير: ألا يعتقد أنّ نصر المقاومة الإسلاميّة في لبنان هو نصر للبنان في جميع طوائفه، ونصر لمصر أيضاً بجميع مكوّناتها، ونصر للعرب المسلمين فقط المسلمين؟ وشكراً.

جميل قاسم:

مع الشكر للسادة المحاضرين لكنّ ما فهمته من الأستاذ نصري الصايغ في موضوع الدولة والجيش هل يدعو لإلغاء الجيش وكيف يطبّق هذا الأمر على لبنان؟

انطلقت المحاضرة من ثنائيّة المقاومة والدولة ووصلنا في النتيجة إلى أنّه يفترض إلغاء الجيوش في كلّ العالم العربيّ والعالم الإسلامي والاكتفاء بالمقاومة. وشكراً.

حسن البنّا:

النقطة التي أحبّ طرحها على الأخ الصايغ متعلّقة بموضوع البحث عن العدو وقد قلتم بأنّ الدولة الفقيرة تختزن عنفاً يسمّى الإرهاب، وقد وضعتّه الولايات المتّحدة الأميركيّة في المرتبة الأولى بعد انتهاء الحرب الباردة.

النقطة الثانية أنّه عندما علّلت العلّة والمعلول قلتم: بعد خروج أميركا أنتجت نوعاً من التخلّي عن دول العالم الثالث في مواجهة الاتحاد السوفياتي، والإجابة ستأتي معكوسة تماماً لما قد تفضّلتم به، نحن نعلم أنّ هناك

صراعاً بين الاتحاد السوفياتي وبين أميريكا في العهد السابق، لكن لا نتغافل عن أنّ الحروب التي مورست كانت على دول مستضعفة من العالم الثالث، ومعنى ذلك أنّ الولايات المتّحدة الأميركيّة كانت تدرك تماماً أنّ استهداف الاتحاد السوفياتي لا يتمّ إلا عبر دول العالم الثالث، فكلّ الحروب التي دارت في العالم لم تكن إلا بين أميركا والاتحاد السوفياتي على أرض دول العالم الثالث، سواء كانت بالنسبة للاتحاد السوفياتي في تشيكوسلوفاكيا ودخولها واقتحامها، أو الولايات المتّحدة الأميركيّة في فيتنام أو في كوريا أو في الشرق الأوسط.

كيف أنّ دول العالم الثالث تختزن عنفاً وإرهاباً، اختزان العنف والإرهاب الذي يحاولون الآن قلب المعادلة معنا أن الغرب ذلّ العالم سواء بالنسبة للحروب، ونهب الثروات ولتكريس اليهود في المنطقة ولزرع الديكتاتوريّات في المنطقة، هذا الاختزان إن ولّد ردّة فعل تجاه الغرب لا يسمّى اختزان للإرهاب، نحن لا نختزن إرهاباً.

ودول العالم الثالث وشعوبها، دول وشعوب مطموع بها، فهي تختزن ثروات وقيم وفترات طويلة من القمع والقهر والظلم الذي لا بدّ أن يؤدّب عليه الغرب وعلى رأس الغرب بوش وأولمرت في المنطقة.

إذن، نحن ندافع عن مرحلة الذلّ والظلم والقهر والتسليح ونهب الثروات هو الذي ينبغي أن نواجه، وشكراً.

علي دندش، منبر الوحدة الوطنيّة، القوّة الثالثة:

أوّلًا: أؤيّد كلّ ما جاء على لسان نصري الصايغ وأتبنّاه حرفيّاً ولديّ ملاحظتان على هذه المحاضرة:

لا شكّ أنّ القوى العظمى والإمبرياليّة على مدى التاريخ تحاول فعلًا القضاء على أي تحرّك شعبي في أي دولة كانت تحكمها عسكريّاً أو اقتصاديّاً

أو غير ذلك. وهذا ما تعرّضت له حضرة المحاضر الأستاذ صايغ اعتباراً من الثورة العربيّة الكبرى وهي كيف أنّ الهدف كان القضاء على المقاومة وبالتالي على الجيوش، ولا تزال هذه السياسة حتى يومنا الحاضر هي السبيل المعتمد للدولة العظمى الولايات المتّحدة الأميركيّة.

أودّ أن أتعرّض لموضوع تسليح الجيوش، وله هدف أساسي وهو حماية الأنظمة وهذا التسليح كان بهدف حماية النظام الذي هو بالحقيقة تابعاً للدولة العظمى، أو أنّ هدف التسليح هدفاً داخلياً فقط لا غير، وهذا ما يدلّنا على أنّ تسليح الجيوش العربيّة التي أنفقت المليارات وربّما مليارات المليارات في التسلّح لم يكن فقط لحماية الأنظمة الداخليّة. وكان استنزاف الثروات العربيّة وإنّما أؤكّد على نقطة أنّ هذا التسلّح كان ضمن إطار عدم الإضرار بالدولة العدوّة المحتلّة دولة إسرائيل.

فيما يتعلّق بالثورة الفلسطينيّة، إنّ خريطة الطريق لم يكن الدور هو فقط تكليف النظام في القضاء على المقاومة، وإنّما كان تكليف المقاومة في القضاء على ذاتها، وإنّما لهذا الأمر تطوّر هائل أي أنّ خريطة الطريق طلبت من المقاومين أنفسهم أن يكونوا مع بعضهم البعض.

ونرى في معظم المقاومات العربيّة أهميّة الطابع الإسلامي سواء في العراق أو فلسطين أو لبنان وفي كلّ الدول العربيّة أنّ الطابع الأساسي للمقاومات هو الطابع الإسلامي، ما هو دور المقاومات غير الإسلاميّة؟ وشكراً.

سناء كنعان:

أشكر الحضور جميعاً ولا سيّما الأستاذ نجاح واكيم الذي يؤكّد في حضوره اليوم بأنّ المقاومة هي مسألة إنسانيّة وليست فقط إسلاميّة، وهذا ما أريد أن ألفت نظر السيّد أبو الخير له، كما أودّ أن ألفت نظر الأستاذ

الصايغ الذي أشار إلى أنّ على الأمّة أن تطّلع على حقوق الإنسان، في الحقيقة هذه الأمّة هي المستهدفة وهي التي تعاني ما تعانيه من مشاكل اجتماعية واقتصادية وغيرها، وهي التي لا تستطيع أن تعبّر عن رأيها، فلديها رأي وتعرف بالفطرة وبالمنطق حقوق الإنسان. ونحن نعرف أنّ المقاومة أساس في هذه الحقوق، لكنّ الأمّة في تعبيرها عن نفسها وعن رأيها والوصول إلى جميع حقوقها عبر الدستور الذي نعاني منه وهو مريض للغاية. وشكراً.

ـ سؤال موجّه للدكتور أبو الخير:

في بداية القرن العشرين كان التعاون بين القوى القوميّة لإزالة الوجود العثماني أو السلطنة العثمانيّة ثمّ انقلب الوضع في أواخر القرن التاسع عشر إلى مقاومة إسلاميّة في جميع البلدان العربيّة.

الله تعالى أنزل إسلاماً واحداً وهذا الإسلام يدعو للجهاد ومقاومة المعتدين، ما هي الأسباب التي تدعو المسلمين اليوم خاصّة، والعرب عامّة ليكونوا قسمين قسم مدجّن ملحق بركاب الحكّام، وقسم مقاوم يرفض الذلّ والهوان ويعشق المقاومة والأمثلة واضحة (سائر الشعوب العربيّة) وفي القسم الثاني شعوب فلسطين (حماس)، وحزب الله (لبنان)، وفي العراق وفي إيران ثورة الإمام الخمينيّ. وشكراً.

الأستاذ نصري الصايغ:

أوّلًا: بالنسبة للجيش عام ١٩٦٧ حينما نتحدّث عن هذا الموضوع نتحدّث عن دور الشعوب، لم يكن لدينا دور.

بالنسبة للضحايا والشهداء المقدّمين في الجيوش هو تراث نقف أمامه إجلالًا على أنّ هذه الجيوش كانت فاشلة بإدارتها وحكّامها، أمّا هي فقد كانت مقاوِمة ومقاتِلة. لكن ما قالته السيّدة العزيزة حول مجموعة من الأسئلة

أنّه ليست لدينا روحيّة مهزومة ومنهزمة، فأنا أرى أنّ هناك روحاً انتقاميّة وليست روحاً مهزومة لأنّ مكسب كلّ فريق في لبنان لا بل في هذه الأمّة وعلى امتداد العالم العربي والإسلامي إنّ الانقسام انقسام ثأري بين فئات طائفيّة وأنا قلت في النص إنّ أحد أهمّ الأخطار التي تهدّد مستقبل المقاومة هو الطوائف على امتداد هذا العالم العربي.

أهمّ خطر حاليّاً هو هذا الموضوع، لنرى ماذا فعل سكّين الطائفيّة في المقاومة؟.

بالنسبة لما قاله الأستاذ هاني حول موضوع الهجوم الأميركي، فأنا أوردت جملة في النصّ أنّ هناك تواؤماً كاملًا في العالم بين ماكدونالدز وبين ماكدوبلاند، أي أنّ الألفّ ١٦ تحمي الهامبرغر في كلّ نواحي العالم.

في موضوع الدولة والمقاومة والجيش، أنا لا أعرف ماذا ستكون وظيفة الجيوش في المستقبل، بل أعرف ماذا كانت وظيفتها في الماضي، هم قد فعلوا بنا أكثر ما فعلوا لنا، حالياً المقاومة تحمي الجيوش، قليلًا من الاستراتيجيّة من إيران إلى سوريّا إلى لبنان، المقاومة تحمي هذه الدول لأنّها الذراع العملي الواقعي الفعلي الذي يستطيع أن يؤذي العدو، فماذا ستفعل الجيوش لا أعرف. وشكراً.

الأستاذ علي أبو الخير:

طبعاً النصر الذي حدث في الجنوب هو نصر للبنان ونصر لمصر، وللدول العربيّة، وأحيطكم علماً أنّ اليوم ٢٤ مايو، يقام في مصر احتفال ضخم في مقرّ الصحافيّين، وبكلّ عام الكنيسة المصريّة ترسل مندوباً عنها، ومندوب هذا العام هو الأب بشندي وهو راعي الكنيسة المصريّة في حلوان. وغداً في يوم ٢٥ احتفال كبير في الإسكندريّة، ويوم الجمعة في دمياط، ويوم السبت راحة، ويوم الأحد الاحتفال الكبير الختاميّ وبإذن الله سوف أكون

حاضراً، وهذا هو الردّ على الأخت التي سألت عن المقاومة هل أنّها حالة إنسانية؟ نعم هي حالة إنسانيّة.

أمّا الأسباب التي جعلت المسلمين قسماً مقاومة وقسماً مدجّناً، أعتقد أنّ كلّ الدول التي تُواجَه باحتلال خارجي هي دول مقاومة، أمّا الدول التي استمرّت تحت حكم وطنيّ فهي دول مدجّنة، شعب الجزائر المقاوم الثوري دجّن بعد أن وصل له التحرير، والعراقيون لم يكونوا يعرفون المقاومة وتعرّفوا عليها فيما بعد. وأعتقد أنّ السبب الرئيسي في ذلك السبب الموروث من فقه يبيع الفتوى بالذهب والفضّة لكلّ الحكّام، وشكراً جزيلًا.

د. حسين رحال

أودّ أن أوضّح ما قاله: هناك وضع ثلاث استحالات: الأولى أن تكون شعوب الدول العربيّة هي الموافقة على أي اتّفاق بين دولها.

الاستحالة الثانية: عندما قال الزعيم الصهيوني: لست أعلم من هي الدولة الأولى التي ستوقّع ولكن أعرف الثانية وهي لبنان.

الاستحالة الثالثة: أنّه لا يوقّع إذا وقّع إلا بعد أن توقّع سوريّا وهو يقول إنّ الشعب لن يوقّع والتسوية لن تحصل على صعيد الشعوب، أنا لا أنتقد هنا الكلام للرئيس الحص، أنا وجّهت كلامي إلى منطق آخر يستعجل التوقيع والاعتراف بحجّة أنّنا في النهاية سنوقّع.

سلمان مغربي:

استمعت لكلام الشيخ أحمد العمري، وهو كلام جميل، باعتباري أنا، وكل إخوتي في المغرب كسنّة مالكيّة، كنا قلقين من موقف السنّة في لبنان، بل تفاءلنا في مرحلة الموقف من سوريا والعلاقات معها، لكننا كنّا متخوّفين أن تنعكس الأحداث التي جرت في لبنان على موقفهم من المقاومة، والحمد

لله حينما سمعت ما سمعت من الأخ، سأنقل ذلك لإخوتي وأتمنى أن يرتفع الصوت من السنّة في البرلمان اللبناني أو في الحكومة اللبنانيّة ليعبّر بالفعل عمّا تعبّر عنه الجماعة اللبنانية من تأييدها للمقاومة.

بخصوص النقطة التي أشار الأخ فيها أن الغرب يريد منّا إسلاماً جديداً، أعتقد أن صراعنا مع الغرب أن نفهم الغرب، والغرب إما يريد أن يفهم الموقف من المجموعة كالمرأة وحقوق الإنسان والأقليّات والديمقراطيّة أو العولمة، وهناك الغرب الليبرالي الذي يعتبر أن هذه البراغماتيّة هي نقطة ضعف في المشروع الإسلامي ـ مشروع الحركة الإسلامية ـ وبالتالي على الحركة الإسلاميّة أن تجيب على هذه النقاط اتجاه الغرب الإسلامي، واتجاه الغرب لنقول له إننا باستطاعتنا أن نفتح باب علم كلام جديداً، وأن نبلور فكراً جديداً في هذه البراغماتية بالضبط.

الأخ رأفت توسع بشكل كبير في المقارنة بين حماس وحزب الله، لكنه لم يذكر نقطة واحدة، وأعتقد أن فيها تكمن كل المفارقة بين التجربتين. وهذه النقطة بقدر ما هي نقطة قوة عند حزب الله هي نقطة ضعف عند حماس. يقول الأخ علي فياض إن حزب الله يشتغل ضمن جدليّة الداخل والخارج، الداخل المشاركة والخارج الصراع، والخارج أيضاً هو تواصل وانفتاح.

هناك فرق كبير جداً بين المنظومة المفتوحة وبين المنظومة المنغلقة.

القصور في طاقة قوة الحركة يكون بارزاً في المنظومة المنغلقة على المنظومة المنفتحة، نتمنى من الله تعالى أن تستطيع حماس أن تتجاوز هذه النقطة وهي الوحيدة التي تختلف فيها عن حزب الله، لكنها نقطة جوهرية، وشخصياً كنت أتمنّى لو أنّ حماس أجّلت المشاركة السياسية حتى ينفتح المحيط أكثر مما هو. وشكراً.

الأستاذ مصطفى المعتصم من المغرب من البديل الحضاري هناك: علي نور الدين كليّة الآداب، الجامعة اللبنانية.

أجمع الباحثون الكرام على خلاف داخلي حول المقاومة وأنا أرى أنه يمكن أن يزول مع توفّر الوعي الوطني، لأن الوعي هو البداية والنهاية، ولأن الوعي يصنع العجائب، وهذا الوعي لا يتوفّر إلا ببناء المواطن الصالح بروح الانفتاح والتسامح، وبعيداً عن أي تعصّب ديني أو طائفي أو حزبي. حتى إذا توفّر هذا الوعي أخرجنا زعيماً من صفوف الشعب، لا أن يكون مسقطاً إسقاطاً على هذه الأمة كما هو حاصل في معظم أقطارنا الإسلامية. هذا الزعيم الخارج من صفوف الشعب لن يتكامل مع الشعب بل سيكون معهم كنهاً واحداً في دولة ثقافة المقاومة لديها نهج حياة وأسلوب عمل من خلال بناء إعلام مقاوم واقتصاد مقاوم وعندئذٍ سيتوضّح الأدب نصّاً وشعراً ليؤجج في صفوف المواطنين ثورة دائمة من الحميّة والثورة مما يساهم في إحراز النصر وإن خفي عن العيون. وشكراً.

السيد موسوي:

كلمتي موجّهة لسماحة الشيخ أحمد العمري، قال: نحن أمة تذخر بالطاقات الحيّة إلا أنها تفتقر القيادة.

هل تقصد القيادة بالمعنى السياسي أم بالمعنى الفقهي؟.

أنا أعرف أنك تقصدها سياسياً لكن في المقام أَولى بالمعنى الفقهي، في الإشكالية إننا إلى الآن، بالرغم من مرور ١٥ قرناً من الزمان في العالم العربي والإسلامي لم نحقق إيديولوجيا إسلاميّة تستوعب مضامين ومقولة التراث، الإيجابيات عند الفرق الإسلامية مع بعضها الآخر، هذه واحدة.

والثانية أننا لم نحدث ثورات حقيقية بإحداث فرز اجتماعي لإخراج المنافقين من بيننا في جميع شعوب العالم الإسلامي، ولذا ظهرت طائفة من

الحكام تجاوزت الكلمات الحرّة وتجاوزت الشعوب وانخرطت في المشروع الصهيوني. ينبغي أن نقدّم للعالم العربي إيديولوجيا شاملة تشمل سنّي وشيعي وسلفي وعلوي... بدون ذلك لن نقدّم الأطروحة التي تكلّمت عنها حول ذخر الأمة العربية.

السيد خضر الموسوي:

كنت أتمنى وجود الأستاذ نصري الصايغ لأن الموضوع متعلّق فيه هناك كلام تفضّل به الدكتور حسين والأستاذ صايغ، لست من المغرمين على الإطلاق لا بالحديث عن فرنسا ولا عن تجربة نابليون ولا عن الماركسية ولا عن الجزائر مع احترامي لكل هذه التجارب، لكن لأني أعتقد أن تجربة المقاومة الإسلامية كانت تجربة فريدة من نوعها في العالم العربي والإسلامي، ويمكن الحديث عنها بغضّ النظر عن التجارب الأخرى.

جرى حديث عن مسألة ثنائيّة الجيش والمقاومة، لا أعتقد أن للمقاومة ثقافة عجائبية آتية من المريخ، لا بل هي تتركّز على أربعة أمور:

١ ـ على رفض إسرائيل كمشروع في المنطقة، كوجود وكيان.

٢ ـ على ترسيخ الوحدة الوطنية.

٣ ـ على تعزيز الهوية للبنان.

٤ ـ على منع الظلم والعدوان.

فإذا كان الجيش اللبناني أو أي جيش في أي بلد آخر، تمَّ التأكيد على هوّيته كعقيدة قتاليّة ضمن هذه النقاط الأربع لم يعد هناك أي مشكلة في العلاقة بين الجيش والمقاومة. ولكن تبقى الإشكاليات إذا كان القرار السياسي يتحمّل هكذا نوع من العقيدة القتالية لأي جيش في أي بلد من البلاد العربية.

بالنسبة للأستاذ علي أبو الخير، حقيقة البعد الرسالي لموضوع ثقافة المقاومة، أعتقد أن هناك عدّة نقاط لم يتم الحديث عنها، منها: قضية البناء الذاتي للمقاومة، وقضيّة الارتباط بالقيادة والمرجعيّة، والحضور القيادي على الأرض بشكل ميداني ومن هم الشهداء، قضيّة التحلي بالصبر والشجاعة والصمود والاحتضان الشعبي الحاصل.

أعود لنقطة أخيرة في الكلام موجّه للدكتور علي فياض أخونا وعزيزنا. بغض النظر عن بعض المفاهيم التي قد تختلف عليها في بعض التفاسير حول مصطلحات الإصلاح والتغيير والحالة الخاصة بلبنان والطوائف وغير ذلك، مسألة التصالح مع الدولة هو سؤال كبير جداً بالنسبة للموضوع الذي طرحه الدكتور علي حول حزب الله، هل هو خطوة نهائيّة، أم أنها بسبب **الظروف وهي خطوة أوليّة؟ وبالتالي هل تعتبر أن الاختيار يمكن أن يكون** بدون تصادم على المستوى البعيد بشكل أو بآخر مع اختلاف في التشريعات والقوانين والممارسات؟ وعندما دعيتم إلى العقلانيّة السياسية، ممن مطلوبة؟ بغض النظر عن الدخول في أنظمة الحركات الإسلامية، فالعقلنة ممن هي مطلوبة؟ وأي طرف يجب أن يبادر في هذا الأمر، وهل يمكن العمل على الإصلاح بالشكل الذي تفضّلت به؟ وإلا ما معنى دعوة الإمام الخميني لإسقاط الشاه كمركزيّة في حركته طوال الصراع الموجود في الجمهوريّة الإسلاميّة مع رفض أي محاولة إصلاحيّة ولو كانت متعدّدة الجوانب؟ ومن ثمّ يمكن القول: هل تعتقد أن الحركات الإسلامية إذا اعتمدت الإصلاح ألا يمكن أن تحصل على حالة من الميوعة ربما بشكل أو بآخر بشخصيتها أو بناء عناصرها بشكل كامل؟ وماذا عن التصالح في لبنان، هل تعتقد أنه أمر مستمر أم أنه أمر بشكل قمعي أو ناتج عن قوى خارجية أو أنه مساكنة غير شرعيّة أم أنه عامل طوعي؟ فهل المسألة هكذا بفعل ظروف معيّنة وهل الدولة المقتدرة ستسمح بهكذا أمور أن تستمر، وماذا يمكن أن يحصل إذا كانت الدولة في غير هكذا وارد أو غير القرار السياسي. وشكراً.

ياسر علي:

قضية مشاركة الحركة الإسلاميّة في السلطة عانت كثيراً منذ بدايتها، فكانت تواجه صراعات كثيرة داخلياً، وكانت تقريباً محرّمة في بعض الفترات عند الحركة الإسلاميّة.

وأعلّق على هذا الموضوع لأثير مسألة أهميّة تجربة حزب الله وحماس في تسريح المشاركة، تدرجّت الحركة الإسلاميّة عند كل مفصل انتخابي أثناء الانتخابات التشريعيّة، نحن نذكر في ١٩٩٢ كانت الصحافة تنتظر حزب الله ماذا سيقرّر هل سيشارك أم لا؟ كذلك في تجربة حماس والبلديات، كانوا ينتظرون هل ستشارك أم لا؟ أيضاً في التشريع حتى أنه عندما وضعت العربة قبل الحصان، وجرت الانتخابات الرئاسية قبل التشريعية في فلسطين، لم يكن هذا التدرّج طبيعياً بالنسبة لتدرّج الفكر في المشاركة عند حماس.

احتاجت المشاركة لتسويقها أو ترويجها بين الجماهير الإسلاميّة إلى أمرين:

١ ـ كريزما القائد.

٢ ـ المشروع الظهوري المنزّه.

كريزما القائد موجودة عند الكثير من الأحزاب سواء إسلاميّة أو غير إسلاميّة، لكن المشروع الظهوري المنزّه هو الذي تفرّع من مشاركة الحركة الإسلاميّة وتطوّر وجعل تجربة حزب الله وحركة حماس تجربة رائدة في هذا الموضوع، بالتالي نحن نرى أن حزب الله بعمره البالغ أربع وعشرين سنة استطاع أن يطوّر المشاركة السياسية في العالم العربي والإسلامي، كذلك حركة حماس بعمر ١٨ سنة أو أقل، استطاعت أيضاً أن تطوّر مشاركة الحركة الإسلاميّة.

هذا المشروع الظهوري الذي ساهم بهذا التأثير في الفكر السياسي

الإسلامي بشكل عام هو مشروع المقاومة الذي نَزَّه الحركات التي شاركت رغم أن المشاركة كانت في السابق فكانت مشروعاً مطوّراً. وشكراً.

الشيخ الدكتور عبدالله حلاق مدير مركز دراسات الوحدة الإسلاميّة:

غابت عن المؤتمر معالجة بعض الإشكاليات السياسية والفكرية التي نعيش في واقعها، السؤال الأول للأستاذ رأفت:

السلطة الفلسطينيّة في واقع الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج؟

السؤال الثاني للدكتور علي فياض:

كيف يمكن معالجة إشكاليّة شعار حزب الله والمقاومة الإسلاميّة بـ (حرباً حرباً حتى النصر، زحفاً زحفاً نحو القدس)؟ وشكراً.

هاني فاخوري:

الدكتور حبيب فياض، فرّق في المقدّمة بين الفكر المستقبلي أو الافتراضي والفكر الواقعي، ألا يخشى أن الفكر الواقعي يصبح أسيراً للواقع ولا يستطيع أن يتقدّم بعد ذلك، وأعطي مثلًا هو قاله على الديمقراطيّة وتحالفاتها، إن الفكر الافتراضي لدى الحزب افترض أن تحالفاته في المعركة الديمقراطيّة الأخيرة سوف تؤدي إلى مزيد من التماسك الوطني، فهل هذا انسجم مع الواقع؟.

سؤال آخر للأستاذ رأفت مرّة: أظن أنك طوّعت غصباً المقارنة بين حماس وحكومة حماس وحزب الله المشترك في المجلس النيابي وفي الحكومة، إذ إن الحكومة اللبنانيّة هي ائتلاف بين الطوائف بمختلف ألوانها، وهي تحكم مجتمعةً مجتمعاً لبنانياً متعدّد الطوائف، بينما حكومة حماس هي إسلاميّة خالصة تحكم مجتمعاً متنوّعاً بين مسلمين ومسيحيين.

في طريق تعديل الموازين الذي تحدّثت عنه هل من الضروري أن تتغيّر السياسات والتحالفات؟ وشكراً.

زهير بيطار:

إن التكامل في الداخل الذي ذكره الدكتور علي فياض يقتضي التنازل عن بعض المبادئ والعقائد، لأن الأحزاب العقائدية يجب أن تعلن بوضوح مبادئها وأهدافها ولو أنها في الظروف الحالية للبنان والمكونات الطائفية الموجودة في لبنان يمكن أن تقول بأن بعض الأهداف مؤجّلة، أو بعض الأهداف لا يمكن تنفيذها حالياً. **الكلام عن أننا كحزب الله وكحركة إسلاميّة وكعقائد نبادر لنقول ليس لنا الحق أن نتكلّم كيف نحكم، وإنما، كيف يكون الحكم؟ وهذه تراجعات بالنسبة للمفهوم العقائدي لأحزاب عقائديّة أن تكون الدولة الفاضلة أو دولة خياليّة وأن توصف كيف يكون الحكم. والله أعلم.** وشكراً.

هناك إشكاليّة بالنسبة للدكتور رأفت:

بالنسبة للمقاومة هناك قانوناً يقتضي تلازم الوحدة مع المقاومة فلا يمكن لأي مقاومة أن تنتصر دون الوحدة، وإذا أجرينا قراءة تاريخيّة نجد أن صلاح الدين لا يمكن أن ينتصر إلا عن طريق وحدة وإجماع أمة على عدد واحد صليبي مع القائد كريزي.

أجد أن الانتصار في فلسطين في كل مرة كان يضيع، وأخاف هذه المرة أيضاً أن يضيع. والصراع في فلسطين هو أطول صراع، الآن في العلاقات الدولية، هناك سؤال يُطرَح: لماذا لم يتحقَّق النصر في فلسطين إلى الآن؟.

عن الإمام الخميني ورد: أنه لا يمكن لأي مقاومة في العالم إلا أن تنتصر باستثناء الهنود الحمر، وقد بحثت في هذا الأمر حول عدم انتصار الهنود الحمر على الأميركيين، كان السبب أن فصائل الهنود كانوا كل واحد يقاتل على حِدا، فلم تكن هناك وحدة مقاومة عندهم كي ينتصروا على الأميركيين.

والشيء الحاصل عند المقاومة الفلسطينية نفسه ما حصل مع الهنود الحمر. لن تنتصروا إذا بقيت الحالة على ما هي عليه. وشكراً.

نبيلة صعب فتح الله:

علّ السياسة الحكيمة للمقاومة في مفهومها الجامع بين الداخل والخارج من أجل المصلحة العامة وثباتها لهذا المفهوم هو الذي يزيد العداوة الكبرى لها من أميركا، إذ إن الدولة الأحاديّة لا تريد من يفهم ويقاوم ويؤمن بما يعمل، بل من يبصم ويعمل بما يراد لها، المهم هو الوصول مع الشريك الآخر للوطن الشريك الذي قد يموّه حقيقة المقاومة هذه من أجل مصالح خاصة حتى وإن كانت خارجيّة معروفة وهذا بيّنه البارحة سيد المقاومة سماحة السيّد نصر الله، سواء بارتفاع معنى خطابه أو تحوير بعض نقاطه.

السؤال موجّه إلى الدكتور فياض:

هل في رأيكم عن طريق تكثيف ثقافة المقاومة بدل ثقافة الفساد نصل إلى إقناع الآخر بأهميّة المقاومة أن يجد إضافة خطة أكبر لتحصين وطننا لبنان، وأية خطوة هذه في رأيكم؟ وشكراً.

السيد علي:

سؤال موجّه للدكتور علي فياض: لقد ميّز بين الحركة الإصلاحيّة والحركة التغييريّة، وجزم بأن حزب الله هو حركة إصلاحيّة، وذكر في موضوع التكامل الداخلي والائتلاف مع الديمقراطيّة في الداخل. نحن نعلم أن الديمقراطيّة في لبنان حتى الآن غير موجودة بالمعنى الصحيح، نظراً لوجود داء الطائفيّة المستحكم في الواقع اللبناني، فأية حركة سياسية إصلاحية ستكون شاهد زور في الواقع الديمقراطي.

هل ستأتي لحظة يتّخذ فيها حزب الله من حركة إصلاحيّة إلى حركة تغيرية، وكيف يتم التعامل مع الواقع الداخلي مع وجود الطائفيّة المستحكمة التي تمنع عملًا ديمقراطياً صحيحاً في لبنان. وشكراً.

ردود الإخوة المحاضرين:

الدكتور علي فياض:

أبدأ من السؤال حول شعار حزب الله الذي كان يرفعه دائماً حرباً حرباً حتى النصر زحفاً زحفاً نحو القدس، ما هو مصير هذا الشعار على ضوء المداخلة والإشكاليات التي قدّمتها؟ **هو سؤال وجيه علينا أن نميّز بين نظريتين في علاقة المقاومة ببيئتها الإقليميّة**، وهذا الموضوع مطروح داخل جلسات الحوار الوطني وهو أحد الأسئلة الكبرى التي تهيمن الآن على النقاش بين اللبنانيين، فمن يريد نزع سلاح المقاومة إنما يجد مدخليّته عبر الادعاء أن سلاح المقاومة مرتبط بمشروعات إقليميّة خارجيّة، وعادة هذه الكلمة إما هي للدلالة حول علاقة هذه المقاومة الفلسطينية أو علاقتها بحلفائها الآخرين مع سوريا وإيران. لكن السؤال هو: كيف سيتعاطى حزب الله مع هذا الموضوع ليس فقط على المستوى السياسي، لأن سماحة السيد قال على طاولة الحوار: كونوا على ثقة أن سلاح المقاومة لم يستخدم خارج الدفاع عن الأراضي اللبنانيّة وفي مواجهة التهديد الإسرائيلي للأمن اللبناني.

لكن الإجابة الفكرية لهذا السؤال، أميّز شخصياً بين نظريتين:

١ ـ النظرية الأولى وهي نظرية الأدوار المتّصلة.

٢ ـ نظريّة التوازنات المتّصلة.

لقد كان سائداً لدينا ولدى كل المواطنين، أننا كنا نظن أننا إذا أردنا أن نخدم القضية الفلسطينية فعلينا، إذا تعرّض أحد حلفائنا الإقليميين لمشكلة ما أو اعتداء ما فيجب أن نكون مباشرة إلى جانب هذا الحليف في مواجهة هذا الاعتداء الذي يتعرّض له. هذه هي نظريّة الأدوار المتّصلة بمعنى أنه لا يمكن لنا أن نؤدي وظيفة التآزر الإقليمي إلا من خلال تأدية دور مباشر وكأننا نحن أصحاب القضيّة المباشرة.

أما نظرية التوازنات المتصّلة وقد بدأت تخيّم على الحركة الإسلاميّة إلى حدٍّ ما، وهي أنه يكفي للفريق المحلّي أن يؤدي واجبه الإسلامي القومي على المستوى المحلّي كي ينتج توازنات مؤاتية تساعد على أن يكون الحلفاء بمأمن في ساحاتهم.

فيما يتعلّق بالتصالح مع الدولة برأيي هو نهائي، لكن التصالح مع السلطة ليس بنهائي، علينا أن نميّز بين الدولة والسلطة، يمكن في كل لحظة أن يكون الخصام مع السلطة مشروعاً تماماً، والسلطة لا تقف معها سياسياً، تختلف مع السلطة، ولك الحق أن تذهب بعيداً في معارضتك لكن أن تنقل المعارضة والتناقض من مستوى السلطة إلى مستوى الدولة، برأيي هناك مشكلة كبيرة حينذاك. والإسلاميون كانوا دائماً يخلطون بين السلطة والدولة وكأن الدولة غريمهم وليس السلطة وهذا إشكال. عندما أريد أن أحاكم حزب أو جهة أو بعض أو أي فريق سياسي، أحاكمه أولًا على برنامجه السياسي، وعلى مواقفه المعلنة، هل لديه على المستوى الإيديولوجي النظري البعيد المدى تصوّرات أخرى؟ له الحق في ذلك، لكن هذا الأمر لا يعني لي كثيراً ما دمت لا أرى ترجمة لهذه النظريّة البعيدة المدى على مستوى البرنامج السياسي.

المعرفة الواقعيّة تقيّد الفكر، يجب أن نميّز بين المعرفة والإرادة، والمعرفة يجب أن تكون واقعية في كل الأحوال. يقول الرسول ﷺ في دعاء

«اللهم أرني الأشياء كما هي» هذه المعرفة الواقعيّة، وهي مطلب كل فلسفة صيغت على ضوء إشكاليتين أو ثلاث: أحدها: علاقة الفكر بالواقع.

أُمِرنا بأن يكون فكرنا مطابقاً للواقع لكن أن تكون إرادتنا أكبر من الواقع فهو مبرّر تماماً. أما الفكر أصرّ على أنه يجب أن يكون دينياً مطابقاً للواقع. وشكراً.

الأستاذ رأفت مرّة:

أشكر كل من قدّم مداخلات أو أسئلة، لكن أريد الإجابة عنها بشكل مجمل إن صحّ التعبير مع تقديرنا البالغ لكل ما ذكِر، وبالأخص تجاه مسألة الوحدة الوطنيّة، فهي مسألة حساسة وأرجو أن لا يفهم أي تصرّف في فلسطين بشكل خاطئ، فمسألة الوحدة الوطنية حساسة وهي مطلبية، وباعتقادي أن قوى المقاومة في فلسطين هي أحرص الناس على بناء وحدة وطنيّة وعلى تاسيس نموذج فعلي للوحدة الوطنيّة، وأنا أذكّر أن المشاركة في العمليّة السياسية لم تكن هي الهدف المجرّد، بل إن الهدف النهائي هو بناء منظومة اجتماعيّة وسياسية جديدة تتكفّل باستكمال مسيرة التحرير وبضرب الاحتلال وطرده، وهي مسيرة تقوم على القواسم المشتركة مع كل الفصائل، ومع كل القوى الفلسطينية على اختلاف توجّهاتها السياسية والثقافيّة. وأذكّر بالحوار الفلسطيني الذي استمرّ لأكثر من ثلاث سنوات، والذي انتهى في محطّته الأخيرة في القاهرة في شهر آذار ٢٠٠٥، وقد اتّفق على مجموعة من النقاط أهمّها: التهدئة المؤقّتة للعمل العسكري لمدّة تسعة أشهر، يتم خلالها إجراء انتخابات تمثيليّة، وبناء منظمّة التحرير على أسس سياسيّة وتنظيميّة جديدة، لكن المشكلة عند الطرف الآخر أنه عطّل استكمال مشروع بناء وحدة وطنيّة سليمة داخل المجتمع الفلسطيني، ولم تحدث أي خطوة فعليّة، فمن شهر آذار وحتى شهر آب ٢٠٠٥، لم يكلف الأخ أبو مازن أي جهة فلسطينيّة متابعة هذا الملف مع الرغم أن هناك مطالبة سياسية وشعبيّة واسعة.

أما الحديث حول اختلاف الأداء بين حزب الله وحماس فهي مسألة معروفة، وواضحة للجميع، أنا أردت أن أختصر في بعض الركائز من خلال مدخل كنموذج، وتعاطيت مع التجربتين كنموذج لمشروع المقاومة الذي يقوم على ركيزتين:

١ ـ ركيزة مقاومة بكل معاني المقاومة السياسية والمدنيّة.

٢ ـ وركيزة اجتماعية من خلال المشروع الاجتماعي الثقافي الفكري الديني الذي تحمله هاتين التجربتين.

لذلك إذا أردنا أن نتحدّث عن الاختلافات والفروقات بين تجربة حماس وتجربة حزب الله نبقى إلى الغد، وهو أمر واضح، ولكن هذه الفروقات ليست نقيصة، لا في الواقع ولا في الجهة التي تمارس.

بالنسبة للأخ محمد فقيه، عن الحركة الإعلامية للفلسطينيين في أوروبا وأميركا. المشكلة مع اختلاف الواقع، والفلسطينيون أدرى بفهمه من خلال ما يتعرّضون له من مضايقات، فكل من يتبنّى المقاومة هناك يتعرّض للقمع ولإرهاب السلطات الرسميّة، وأجزم أن الفلسطينيين هناك يطالبون بحرارة في إجراء انتخابات تمثيليّة وسياسيّة جديدة من أجل أن يتم إصلاح الوضع السياسي الفلسطيني.

الشيخ أحمد العَمري:

أضيف للأخ الكريم عن قضيّة إن الجماعة أفرحتك وأثلجت صدرك إنها من التي تؤيّد مشروع المقاومة، وهي أيضاً من ثوابتها ومفرداتها وهي التي أول من أطلقت نداء المقاومة العمليّة والفعليّة من مدينة صيدا والجنوب اللبناني، في عام ١٩٨٢ حين الاجتياح الإسرائيلي، لا بل إن الجماعة الإسلاميّة هي جزء لا يتجزّأ من الحركة الإسلاميّة العالمية، وأول من أطلق كتائب المجاهدين في عام ١٩٤٨ عندما اغتصبت فلسطين كانت كتائب حركة

الإخوان المسلمين في مصر. كما أنه لا شك أن هناك من يقدّم صورة من الغرب معتمة عن الإسلام وعن قيمه، وهناك من يقدّم بالمقابل صورة عادلة وطيبة، إذن، فالغرب نوعان، هناك غرب يستمع للبوق الصهيوني وهو قد صنّف نفسه في خانة العداء وفي خانة الخصومة، وهناك غرب آخر محاور وموضوعيٌّ في الإنصات والاستماع إلى رسالة وعدالة الإسلام فهذا هو من نتوسَّم فيه خيراً.

مفهوم القيادة لا شكَّ أننا عنينا به القيادة السياسية، وقضيّة إخراج المنافقين فهي مسألة لم تكن في عصر النبي ﷺ الذي اعتبر من أزهى العصور العادلة والراشدة، والقائمة بالعدل والقسط.

مسألة تعديل الموازين تتغير السياسات والتحالفات، هو بحسب ميزان القوى، عندما تكون الأمة في موقع الضعف فمن الطبيعي أنها لا يمكن أن توجه بالمقاومة. وشكراً.

المحور الثالث

المقاومة
والمهام التاريخية

التقديم

أ. محمد تيسير الخطيب

قُدِّرَ للمقاومة أن تكونَ وسيلةَ الشعوبِ المستضعفةِ المُثلى في مواجهة العدوان عندما تختل موازين القوى وعندما لا تستطيع الجيوش أن تتصدى لبغي المعتدين، فالمقاومة هي هبة الله للشعوب. ومن هنا تأتي مهمتها التاريخية التي لا بديل عنها ولا استغناء.

لم تكن المقاومة يوماً سلاحاً في مواجهة سلاح فقط، فلكي تنجح المقاومة في إنجاز مشروعها تحتاج إلى مرجعية أخلاقية واضحة، تحتاج إلى حكمة ورشد، تحتاج إلى قيادة لا تثار حولها الأقاويل، وتحتاج إلى حاضنة وطنية وجماهيرية تحمي المقاومة وتنضبط برؤيتها خاصة عندما يمر المجتمع أو تمر القضية الوطنية التي تسعى المقاومة إلى إنجازها في استحقاق ما وحين تحاك للمقاومة المكائد أو تنصب لها الأفخاخ.

إن المقاومة وحين تتصدى لمشروعها الأساسي ـ مشروع التحرير ـ لا يمكن أن تنجز ما يجب عليها أن تنجزه إلا إذا أزالت من حولها كل الالتباسات التي سيروجها حتماً من لا يريد لهذه المقاومة أن تنتصر، فقد تستفز المقاومة في الغالب الأعم في الموازنة بين التصدي لمهمتها الأساسية

في الدفاع والتحرير وبين مهمتها والتي لا تقل أهمية في تمتين عرى الالتفاف الجماهيري في داخل مجتمعاتها.

لا تقتصر مهمات المقاومة على مواجهة تحديات الداخل والخارج والجدل الناشئ بينهما لأن المقاومة تواجه حتماً ودوماً تحدياً جديداً عند كل منعطف فبقدر ما يكون للمقاومة دور في صنع الأحداث تتأثر بمجمل التطورات التي تحدث في مجتمعها وإقليمها وعالمها.

إن المقاومة لا تستطيع أن تحقق هدفها الأساس أو أهدافها البعيدة المدى إلا من خلال الموازنات الدقيقة بين المصالح الكبرى والمصالح الصغرى، بين المصالح والمفاسد وبين ما يمكن أن يعتبر أهون الضررين أو أعظمهما في خيارات وتحديات متعددة ومتتالية ومستمرة.

لن يكون بوسع المقاومة أن تنتصر بمجرد القول أولسنا على حق أوليسوا على باطل فتشرع انطلاقاً من هذا القول في الضرب ذات اليمين وذات الشمال دون تحديد للأولويات وإدراك للواقع وفهم لما يحدث في الدنيا من حولها.

لقد شكلت المقاومة الإسلامية في لبنان والتي قادها جزء من الشعب اللبناني محاطاً بالحماية الوطنية نموذجاً فريداً جمع بين المبدأ وثباته والواقع وضروراته، وبقدر ما استفادت المقاومة الإسلامية المباركة في لبنان من تجارب مثيلاتها ومن سبقها من حركات المقاومة فإنها قد أضافت وبحق لتجارب المقاومة إضافات مهمة لا يتسع ذكرها وستكون حتماً مادة غنية للدارسين والمؤرخين.

هذا سيفتح لنا المجال لتناول **المهام التاريخية للمقاومة** في المحور الثالث من المؤتمر.

الحماية الوطنية ودور المقاومة
ـ لبنان نموذجاً ـ

النائب محمد رعد
رئيس كتلة الوفاء للمقاومة

أول ما يستدعي البحث في موضوع الحماية الوطنية هو وجود مخاطر عدوانية تتهدد الوطن وتصد عن عدو فعلي، أو قد يمارسها عدو محتمل.

والمخاطر العدوانية قد تكون جزئية تبدأ بإطلاق تهديد محدد أو بتنفيذ التهديد أو القيام بعدوان محدود كخطف مواطن أو إصابته أو قتله، أو تنفيذ تسلل برّي جزئي أو خرق الأجواء أو المياه الإقليمية.

وقد تكون المخاطر شاملة بحيث تهدد الاستقرار والأمن الوطني في البلاد من خلال تدخل واسع وملحوظ سياسياً أو إعلامياً أو اقتصادياً أو من خلال أعمال أمنية أو اجتياح عسكري على نحو يتهدد الوطن بأسره.

وتلافياً لتهديد أمن الدول والبلدان والشعوب والسلام الإقليمي والدولي نظم المجتمع الدولي علاقات الدول وفق قواعد ومواثيق واتفاقات ومعاهدات وقوانين معتمدة، وإنشاء مؤسسات دولية تتابع الأوضاع الدولية والإقليمية وتقوم بتحديد قضايا النزاع وتحاول معالجتها ضمن صلاحيات محددة وواضحة من خلال نظام معتمد من قِبل الأمم المتحدة.

وبعيداً عن الملاحظات والاعتراضات التي يسجلها هذا النظام أو ذاك على مضمون القانون الدولي وعدالته أو على طريقة تطبيقه أو على المعايير التي تفرضها أحياناً موازين القوى الدولية في مرحلة ما، فإن هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي يفترض بهما أن يستندا في القرارات الصادرة عنهما إلى مضمون القانون الدولي ومعاييره على الرغم من تفاوت الأحجام والقوى ومواقع النفوذ والمصالح، ذلك أن أي خروج عن تلك المعايير وذاك المضمون من شأنه أن يفاقم التوتر ويعقّد النزاعات ويهدد الأمن والسلام الإقليمي أو الدولي بدل حفظهما وحمايتهما.

وإذا كانت المؤسسات الدولية التي أنشئت وانتسبت إليها دول العالم لتكون حَكَماً وراعياً لِحل الخلافات والنزاعات فيما بينها على أساس القانون الدولي ومبادئه ومعاييره، فإن تفرّد بعض القوى الدولية باستخدام القوّة واللجوء إليها يعدّ من أعظم المخاطر التي تتهدد الأمن والسلام العالمي كما تتهدد القانون الدولي نفسه والمؤسسات التي ترعى العمل بموجبه.

ومن هنا فإن مسؤولية القوى الدولية الكبرى في التزام مبادئ ومواثيق الأمم المتحدة تكون أكبر وأكثر من غيرها لجهة انعكاس ذلك على شعوب العالم ودوله وعلى هيبة القانون الدولي ومؤسساته.. والعكس صحيح إلى حدٍّ كبير.

ومن الواضح الجليّ أن القانون الدولي احترم وصان حق الدول في سيادتها على أرضها كما احترم وصان إرادة شعوب كل الدول ضمن إطار السيادة الوطنية،حظّر على مؤسساته التدخل في الشؤون الداخلية للدول وللشعوب ما لم تُهَدَّدْ سيادةُ دول أخرى، واعترف للشعوب بحقها المشروع بالدفاع عن سيادتها إزاء أي تهديد أو عدوان في الوقت الذي أتاح للمؤسسات الدولية ضمن ضوابط وشروط وآليات محددة التحرك مع أطراف النزاع لفضّ نزاعاتهما وفق المبادئ القانونية المعتمدة.

وللأسف فإن تجربة الشعوب مع القانون الدولي ومؤسساته وإن سجّلت التزاماً نسبياً ولا أقول مُرْضياً،خصوصاً في ظل توازن دولي خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

إلّا أن اختلال هذا التوازن في أواخر القرن المنصرم قد وضع القانون الدولي وآليات تطبيقه رهينة القوى المتعاظمة وتحالفاتها،الأمر الذي شكل تهديداً فعلياً لمصالح الدول النامية والشعوب المستضعفة في مختلف قارات العالم.

ولعل كثرة الحروب وأعمال العنف التي استمرت في بداية القرن الواحد والعشرين هي مؤشر بارز على عجز المؤسسات الدولية عن القيام بدورها المطلوب نتيجة تفرّد بعض القوى الدولية ومحاولتها فرض هيمنتها على تلك المؤسسات والضغط عليها لاتخاذ قرارات تخدم مصالحها أو على الأقل لا تتعارض معها، وهو ما أضعف ثقة الشعوب بعدالة تلك المؤسسات والقرارات الصادرة عنها كما دفع دولها الناهضة لبناء قوتها واعتماد حماية ذاتية أو تضامنية تحسّباً لحفظ حقوقها والدفاع عنها.

ومن هنا فإن أسلوب فرض الحروب على الآخرين الذي مارسته حكومة الولايات المتحدة الأميركية تحت شعار مكافحة الإرهاب وتعميم الديمقراطية والفوضى البنّاءة وتقسيم الدول كيفياً إلى محاور للشر وللخير وادعاء رئيسها بأنه يقرر ويحكم استناداً إلى إلهام إلهي، كل ذلك يعيدنا إلى القرون الوسطى حيث كان الملك يمثّل الإرادة الإلهية المطلقة، كما ينسف جذور الفكرة الديمقراطية التي اعتبرها الغرب إبداعه الحضاري الذي قدمه للإنسانية.

في ضوء هذه القراءة يبدو أن الحماية الوطنية التي تستند إلى عوامل قوة ذاتية وتضامنية تصبح ضرورة أكثر من أي وقت مضى وطالما أن القانون الدولي يطبّق استنسابياً وتخضع القرارات المستندة إليه لضغوط ومعايير

ومصالح قوى نافذة ومهيمنة في العالم كإدارة الولايات المتحدة فإن الشعوب الناهضة والتوّاقة لممارسة سيادتها في بلادها والدفاع عن أمنها وحريتها واستقلالها وحفظ مصالحها، تشكل حجر الأساس في الحماية الوطنية المطلوبة.

وإذا كانت هناك قواعد عامة ترتكز إليها الحماية الوطنية في كل البلدان من أجل حفظ المصالح والحقوق ودفع التهديدات والمخاطر عنها فإن خصوصية أي بلد يجب أن تُلْحَظَ باهتمام ودقّة حين يتم إعداد استراتيجيته الخاصة للحماية الوطنية.

ولا يجوز أن يتوهم أحد أن استراتيجيته الخاصة تُشكل بديلًا عن القانون الدولي ومهمة المؤسسات الدولية، بل إنها تمثّل عنصر الإثبات للذات وعامل الضغط المتاح لتحقيق التوازن على الأقل كَيْماَ يُصار إلى اعتماد معايير متوازنة وآليات غير مجحفة بحق البلد الذي يدافع عن أمنه وحقوقه بوجه المعتدين الذين يراهنون على فرض وقائع بالقوة يستسهلون بعدها انتزاع شرعية دولية لعدوانهم من خلال مرور الزمن ونسج تحالفات دولية تحاول الضغط في مؤسسات المجتمع الدولي لاستصدار القرارات الملائمة لمصالحها والتلاعب بالقانون الدولي وفق ما يناسبها.

إن أية استراتيجية عامة للحماية الوطنية تستوجب تحديد وبحث مجموعة عناوين نوجز أهمها بما يلي:

١ ـ تقييم الوضع بشكل شامل في المنطقة المحيطة على المستوى السياسي والاستراتيجي وعلى مستوى الخصوصيات التي لها انعكاس على البلد سلباً أو إيجاباً وتحضير آليات مناسبة للتعاطي مع هذه الخصوصيات في الوقت المناسب.

٢ ـ تشخيص المخاطر الاستراتيجية وتحديد مصادرها والوقوف على

طبيعة تلك المصادر للتعرف بدقّة على تكوينها وبنيتها وأهدافها ومنهجيتها وتقدير مصالحها المترتبة على عدوانها، كذلك تقييم وضعها الجيوسياسي، وقدراتها الذاتية والرديفة ودراسة نقاط الضعف لديها في كل مجال من المجالات، وتوقّع الاحتمالات المختلفة وسبل التعاطي المناسب مع كل احتمال.

٣ ـ دراسة وتقييم وضع البلد وخصوصاً نقاط الاستهداف فيه، والتدقيق في كل الإمكانيات على اختلافها، وتحديد نقاط الضعف وتقدير الوقت اللازم للترميم وسد الثغرات والتحصين الشامل وتجميع روافد القدرة في مختلف المجالات، ووضع آليات التنسيق اللازمة بين كل القطاعات المعنية.

٤ ـ دراسة وتحضير الوسائل والأساليب والتكتيكات والاحتمالات وتحديد الأولويات والخطوات الواجب اعتمادها.

٥ ـ دراسة وتهيئة سبل الاستفادة ومواردها سواء عبر الإمكانات الذاتية أو من خلال التحالفات والمناخات المناسبة.

٦ ـ التعبئة الشاملة للرأي العام والتعبئة الخاصة للعنصر البشري المطلوب لإنجاز المهمة الوطنية في الحماية.

* * *

وفي وضع مثل لبنان إذا أردنا أن نرسم معالم استراتيجية وطنية للدفاع والحماية آخذين بعين الاعتبار كل العناوين التي أشرنا إليها آنفاً ملتفتين إلى الخصوصيات اللبنانية،فإنه يمكننا تقديم إضاءات في هذا المجال نوردها فيما يلي:

أولاً: إن الكيان الصهيوني يمثّل بالنسبة للبنان والمنطقة العدو التاريخي والاستراتيجي، وعليه فإن المخاطر التي تتهدد لبنان من قبل هذا العدو هي مخاطر عدوانية جزئية وشاملة ويجب على اللبنانيين مواجهتها.

ثانياً: إن القوى الكبرى النافذة في مؤسسات المجتمع الدولي هي قوى منحازة على العموم لمصلحة الكيان الصهيوني ضد الحق العربي عموماً والحق الفلسطيني خصوصاً.

ثالثاً: إن لبنان هو جزء من المنطقة العربية لا يمكن عزله عنها وعن تأثيرات الصراع العربي ـ الإسرائيلي عليه.

رابعاً: إن الموقع الجيوسياسي للبنان يفرض عليه ولمصلحته أولًا إقامة علاقات مميزة مع سوريا التي تشكل بوابته البريّة الوحيدة إلى العالم العربي، والعلاقات المميزة لا تلغي بالضرورة السيادة والاستقلال اللبنانيين.

خامساً: إن لبنان بتركيبته الديمغرافية المتنوعة وبموقعه الجيوسياسي المميز هو حاجة للغرب وللشرق على حد سواء وهو ما يجعل دوره فاعلًا ومؤثراً في أوضاع المنطقة كما يجعله محلّ تجاذب خلال فترات الصراع أو الأزمات.واللبنانيون مسؤولون جميعاً أن يلتزموا الانحياز للقضايا المحقة والمشروعة وأن يحفظوا في الوقت نفسه سيادتهم واستقلالهم، وهذه المعادلة تفرض على لبنان عدم الحياد في الصراع العربي ـ الإسرائيلي وكذلك توفير كل إمكانات الصمود للحفاظ على سيادته والتصدي لأي عدوان إسرائيلي محتمل.

وعدم الحياد هنا يعني عدم التنصّل من دور ما في الصراع العربي ـ الإسرائيلي يستطيع أن يقوم به ويتحمّل أعباءه، كما يعني في الوقت نفسه أن يكون مساهماً وليس بديلًا عن العرب في تحمّل أعباء الصراع من أجل قضيتهم المركزية وهي قضية فلسطين.

سادساً: إن الوحدة الوطنية في لبنان يجسدها العيش المشترك الذي هو امتياز للبنانيين جميعاً، دون أن يكون منّةً من فئة على الفئات الأخرى.

سابعاً: إن تحرير لبنان من الاحتلال الصهيوني هو قضية وطنية

لبنانية بمعزل عمّا إذا كان الاحتلال أحد تداعيات الصراع العربي - الإسرائيلي أو أنه تعبير عن النزعة العدوانية الصهيونية تجاه النموذج اللبناني في العيش المشترك.

ثامناً: إن الفلسطينيين المقيمين على الأرض اللبنانية هم جزء من الشعب الفلسطيني المتمسك بتحرير أرضه من الاحتلال الصهيوني، ولبنان معني بدعم حق عودة هؤلاء إلى فلسطين ورفض أيّة تسوية تنطوي على إمكانية توطينهم في لبنان، وهذا يفترض التعاطي المشترك بمسؤولية ضمن معادلة: حفظ السيادة والاستقرار الداخلي من جهة ودعم حق العودة في حدود الدور الممكن أن يضطلع به لبنان من جهة أخرى.

تاسعاً: إن جغرافية الجنوب اللبناني وتضاريسه هي نقطة ضعف قاتلة لأي احتلال صهيوني، وهي في المقابل نقطة قوة لبنانية في مواجهة الاحتلال.

عاشراً: إن جيش العدو الصهيوني هو من أقوى جيوش العالم تدريباً وتجهيزاً والدعم الأميركي الذي يتلقاه العدو الصهيوني هو دعم لا نظير له، ومع ذلك فإن العنصر البشري في هذا الجيش هو نقطة ضعف قاتلة يجب الاستفادة بالتركيز عليها إلى أقصى الحدود.

حادي عشر: إن الكثافة البشرية للعدو وتواجد المستوطنات والمصانع والإدارات والمعامل النوعية المتخصصة والزراعة والتجمعات والمنتجعات السياحية تتمركز أكثر ما تتمركز في شمال فلسطين المحتلة بمحاذاة الجنوب اللبناني الأمر الذي يجعل ذلك كله نقطة ضعف حساسة وكبيرة يمكن الاستفادة منها أيضاً لرسم معادلة المواجهة مع العدوان.

ثاني عشر: إن الرأي العام داخل الصهاينة في الكيان الصهيوني فاعل ومؤثر بدرجة عالية في رسم سياسات الحكومات الإسرائيلية، وإن وسائل

الإعلام الصهيونية تسهم في تكوين الرأي العام هناك، وهذا ما ينبغي أخذه بعين الاعتبار في رسم استراتيجية الحماية الوطنية.

ثالث عشر: إن الوضع الشعبي في الجنوب المحاذي لفلسطين هو وضع مؤهل في كل المجالات لقيام مقاومة شعبية تشكل العمود الفقري للبنانيين الذين يندفعون للدفاع عن وطنهم من كل المناطق اللبنانية الأخرى.

رابع عشر: إن ما بين المقاومة والدولة هامشاً بالنسبة إلى تحمّل مسؤولية المواجهة للعدوان إن أحسنّا الاستفادة منه يمكننا تجنيب البلاد حرباً شاملة تتحمّل الدولة اللبنانية مسؤولية قرارها السياسي بالكامل أمام المجتمع الدولي.

خامس عشر: إن الجيش اللبناني الذي نقدِّر بطولاته وشجاعة ضباطه وجنوده، لن تتمكن الحكومات من الإنفاق عليه وتجهيزه بالسلاح اللازم لمواجهة السلاح العدواني الصهيوني، وهذا ما يجعله بحسب العِلم العسكري إمّا عاجزاً عن المواجهة أو مندفعاً بالضرورة الوطنية والعملانية إلى الاعتماد على خيار المقاومة الشعبية غير الخاضعة للنظام الكلاسيكي العسكري في التعبئة والتنظيم والتموضع والتسليح والعمليات.

وهو خيار لا يحمِّل الجيش ولا الدولة مسؤولية قراره على المستوى السياسي الدولي.

سادس عشر: إن المقاومة التي خاضت تجربة رائدة في لبنان مكنتها من إلحاق هزيمة كبرى بالعدو الصهيوني باتت تمثّل ثروة وطنية استراتيجية كبرى بخبرتها وبصدقيتها وبجدوى خيارها وبحضارية أدائها، وباتت أيضاً تمثّل نموذجاً متقدماً لكل المقاومين الذين ينشدون تحرير أرضهم المحتلة ومواجهة الغزاة المعتدين، كما أن الإمكانيات التي تمتلكها والتي تفرض بها معادلة «تبادل الردع» مع الصهاينة وهي معادلة حمت الوطن والمواطنين

جميعاً كما حمت الاستقرار المطلوب للاستثمار والتنمية في المناطق وأحبطت مشاريع العدو للاستفراد بلبنان واستدراجه للتفاوض معه وهو مطلب إسرائيلي لم يستطع فرضه أيّام الاحتلال واضطر للانهزام أمام المقاومة دون أي تفاوض أو اتفاق أو شروط.

هذه المقاومة ليست بديلًا عن الجيش وتفقد ميزات القوة لديها إن أصبحت جزءاً من تشكيلاته الخاضعة لنظامه، بل يجب أن تبقى بماهيتها الشعبية الواسعة الانتشار دون حاجة لثكنات ومراكز تموضع والخفية عن أعين العدو والخبيرة بجغرافية الأرض والسريّة في حركتها والخفيفة في تنقلها والمتداخلة مدنياً مع شعبها وأهلها والقادرة ببساطة تامة تمويه أماكن تجهيزاتها وأسلحتها.

هذه المقاومة لا يعيبها أن معظم أبطالها ينتمون إلى أهل المنطقة الأكثر احتمالًا للعدوان الإسرائيلي وترفدهم أعداد كبيرة من أبطال المناطق الأخرى.

كما أن هذه المقاومة لا يضيرها أن أعلى نسبة من أبطالها هم من طيف معيّن فهذا لا يخدش وطنيتها طالما أن هذا الطيف لا يزايد على وطنيته أحد من الأطياف اللبنانية الأخرى.

وهذه المقاومة لا يمكن أن تفرّط بمصلحة لبنان العليا لمصلحة أحد خارج لبنان حتى وإن كانت ترتبط معها بعلاقات أخوّة وصداقة لأن ما بذلته من أرواح ودماء في سبيل الوطن ودفاعاً عنه وعن أبنائه يجعلها على الأقل بمستوى وطنية اللبنانيين الآخرين وبمستوى حرصهم على حريّة وسيادة استقلال لبنان.

* * *

في المحصّلَة: نستفيد من كل هذه العناوين والإضاءات ما يكفي

للاعتقاد بأن أيّة استراتيجية وطنية للحماية والدفاع عن لبنان لا تعتمد خيار المقاومة ولا تستند إلى دورها هي استراتيجية قاصرة عن طمأنة اللبنانيين وتحقيق الهدف المنشود لأمنها.

وطالما أن المقاومة مطلوب أن تكون الركن الأساس في هذه الاستراتيجية فإن فعاليتها تزداد عبر علاقة تنسيق مع الجيش اللبناني إلى مستوى لا يجعل الدولة غائبة عن تحرك المقاومة من جهة ولا يحمّل الجيش ولا الدولة مسؤولية قرارها من جهة أخرى.

وهذه العلاقة أثبتت فعاليتها خلال تجربة المقاومة حتى إنجاز التحرير في ٢٥ أيار من العام ٢٠٠٠.

* * *

يبقى أن المقاومة الشعبية المسلحة كيف لها أن تطمئن اللبنانيين أن سلاحها لن يوجّه إلى الداخل ضمن لعبة الضغط والتجاذب السياسي؟!.

والجواب على ذلك يكمن في أن سرّ فعالية المقاومة وقوتها هي أنها نأت بنفسها عن أن تكون ميليشيا يستقوي بها فريق داخلي ضد الآخرين لتعزيز مواقع له في السلطة أو غيرها، وأبت إلّا أن تكون تعبيراً عن إرادة جميع اللبنانيين في تحرير أرضهم والدفاع عنهم، وحين يفقد السراج زيتَهُ كيف يضيء؟ وزيت المقاومة هو إرادة شعبها.

آفاق المقاومة والتحدي المزدوج

(الأستاذ إدريس هاني)

لا وجود على المسرح الدولي لشيء اسمه الصدفة. وبالتالي ما من حدث إلا ووراءه استراتيجيا وأمامه استراتيجيا. ففي العلاقات الدولية، يجد الإنسان نفسه في فضاء مكتظ ومكتنز ومثقل بمتواليات استراتيجية، حيث هي التعبير السياسي عن وجود كيانات لها مصالح ومطالب محددة بموجب العلاقات الدولية التي يفرضها منطق السيادة وإكراهات التعاون. ومن هنا لا بدَّ أن تتقارع مجمل الاستراتيجيات؛ بأن تلتقي أحياناً وأن تتناقض أخرى، نتيجة تضارب المصالح واختلاف النوايا. ففي العلاقات الدولية أيضاً، ليس ثمة من ثابت سوى مادة المصلحة لا صورتها. وبعد ذلك تختلف كيفية تحقيق المصالح بحسب قوة النفوذ ومكنة السيطرة. وما دام العالم يتشكل من أطياف الكيانات السياسية التي تختلف بحسب مقدراتها وجغرافياتها وقوة جاذبية نموذجها الحضاري، فإن تقاطع الاستراتيجيات وتناقضها يفرض قانوناً في اللعبة؛ أن تدرك كل قوة ومدى فعالياتها. مما يعني أن المسرح الدولي هو مجال للصراع بامتياز. ثمة دول لا تهدف إلى أبعد من أن تضمن حقها في الوجود، ولو على الهامش. لكن ثمة دولًا أخرى تهدف إلى بسط النفوذ إلى أبعد مدى من جغرافيتها السياسية. تاريخ العلاقات الدولية يؤكد ذلك،

ويقدم أدلة قاطعة على أن تاريخ العلاقات الدولية هو التاريخ الوحيد الذي يعيد نفسه باستمرار وأحياناً بصورة فاضحة. غير أنه لا بدَّ من القول، إن العلاقات الدولية هي تاريخها الذي يستمر في التأثير على مفاصلها ويلهم أطراف الصراع آفاقاً في إدارة سياساتها الخارجية بدينامية متجددة، لكنها تحتفظ بوفاء كبير إلى تاريخها. ويعلمنا تاريخ العلاقات الدولية بأن الصراع المستحكم مع القوى العظمى، هو الذي يحدد شروط اللعبة التي تنزل فوق رؤوس الكيانات الضعيفة. ففي كل مفصل من مفاصل تصادم الاستراتيجيات الكبرى، يتشكل عالم جديد، وترسم خرائط تحمل في طياتها بذور تناقضات مؤجلة، تجعل المستقبل مفتوحاً على كل أشكال الاحتمال الممكنة. وفي حمأة الصراع، هناك دائماً كيانات تولد وأخرى تطمس، وحقائق تطفو على السطح. ودائماً يحاول المنتصر الاستئثار بقانون اللعبة، فيواجه أنواعاً من المقاومات من قبل الآخرين، حتى لو كانوا من المنافسين الإمبرياليين، فيضطر حينئذ إلى التنازل عن بعض الشروط، فيكون التوافق، وإن ظلت الأيادي على الزناد. فليس ثمة قانون دولي إلا ويحمل وراءه قصة صراع كبير ولعبة كبرى ومصالح مؤكدة وأخرى متوقعة. وسوف تصبح المشكلة أخطر فيما لو سمحت دولة عظمى لنفسها بأن تملي المصالح القومية سياستها الخارجية كما أكد ويلسون ذات مرة، قبل أن تصبح الويلسونية مجرد نزعة مثالية في التاريخ السياسي الأميركي. يتعين على الباحث أن يتأمل صيرورة العلاقات الدولية وكيفية تولد المصائر في صلب صراع الإرادات والمصالح الدولية، والتمفصلات والمنعرجات التي سلكها النظام الدولي طيلة الثلاثة قرون الأخيرة على الأقل. فمع غياب هذه الرؤية التاريخية، يصبح الحديث عن التحول في السلطة والنفوذ والسيطرة، أمراً عفوياً يدفع القوى الضعيفة للحيرة في بناء سياساتها وتحالفاتها، التي لا تملك منها سوى تلك المظاهر الخادعة والواجهة الكاذبة، وحيث تظل قيادتها بيد الكبار المتحكمين بقوانين اللعبة. على هذا الأساس، فإننا معنيون اليوم بالقول، إن بنية النظام الدولي،

هي بنية مفتوحة على كل أشكال الصراع المحتمل. وإن الكيانات التي اكتسبت سيادتها على أسس هشة، شأن أكثر دول العالم الثالث، سوف تواجه تحدي التحول المستدام في موازين القوى وحجم التأثير في النظام الدولي. إن البنية المفتوحة للعلاقات الدولية تعطي إمكانية إعادة تشكيل النظام الدولي باستمرار. وهي إمكانية ذات أهمية قصوى بالنسبة للدول ذوات الأطماع الكبيرة والاستراتيجيات النافذة. وهذا يعني أن الاستقرار الدولي أمر متوقف على التوازنات، التي بدورها تتشكل وتعيد تشكيل نفسها مما يجرف الكثير من المصالح وفرص الاستقرار في الدول الضعيفة. في عالمنا، هناك دول تسعى للتقدم والسباق في شكل ونوعية الوجود، ودول أخرى تعيش على سبيل اقتناص فرص الوجود المحض. فهي تعيش بغيرها لا بنفسها. ما يؤكد على أن فكرة السيادة والاستقلال لم تكن في يوم من الأيام إلا حكاية نسجت في خيالات الساسة لا في الواقع السياسي للدول.

على هذا الأساس ينقسم النظر إلى الصراع السياسي الدولي إلى منظورين؛ منظور يكتفي بمراقبة السطح والهيام في الوصف واستقراء الحقيقة السياسية من جملة العوارض الطارئة على المشهد، وهناك منظور يغور أكثر في صلب الديناميات الخفية والمحركة للحدث الدولي، ويرمق تاريخية الحدث لمجرد التسلية برؤية الفقاقيع والتموجات السطحية للحدث. ليس الفرق الوحيد في فهم ما يجري في العلاقات الدولية، أن نميز بين ما هو حادث بموجب الاستراتيجيا وبين ما هو حادث بموجب التكتيك. فهذا التقسيم غدا تقليدياً، حتى وإن كان الكثير من المحللين والمراقبين في عالمنا المنكوب اليوم، متخلفين عن هذا المستوى من التمييز. بل إننا نعتقد أن ثمة تمييزاً آخر يفرض نفسه في البين، يتعلق بالتمييز بين قراءة تاريخية للحدث وقراءة فورية تفصل الأحداث عن تاريخها. إن المنظور الاستراتيجي نفسه قد يضيع المراقبين أحياناً، لا سيما وأن بعض أشكال الاستراتيجيا لم

تعد تحمل شروط الاستراتيجية بقدر ما هي شكل من التكتيك الممطط الذي يستند في آنيته المحصورة على عامل القوة، الذي يكسبه أحياناً قدرة تأثيرية قصوى. ومن هنا نلاحظ أن ثمة تراجعاً في صالح الاستراتيجيا الأميركية لصالح هذا النوع من التكتيكات الممططة التي تبغي بها تحقيق ما يكفي من الفوضى البناءة، لتسهيل سياسة الاحتواء وإعادة تشكيل العالم على النمط الأميركي. إن عمر الاستراتيجيا الأميركية هو عمر إدارتها، أي بمعنى آخر أن هناك اضطراباً كبيراً بين نزعتها المثالية ونزعتها الواقعية، والتي ليس بالضرورة أن حزباً ما من الحزبين الوحيدين النافذين في المشهد السياسي الأميركي هو من يمثل هذا المنزع أو ذاك، خير تمثيل، فالمسألة أبعد مدى من ثقافة أو برنامج حزبين سياسيين. وبالتالي لا نعتقد أنها تسلك سياستها على وفق مبدأ تاسيتس[1]، على ما ذكر تشومسكي، والذي مفاده، أنه متى ما افتضح أمر الجريمة فليس من مخرج أمامك إلا بتصعيد الوقاحة. نقول: إنه ليس في السياسة الدولية هذا القدر من الأخلاق أو تأنيب الضمير؛ ليس ثمة سوى المصلحة العمياء، وما تبقى من مظاهر الحكمة، يفسر بالعامل القوي الذي يبدأ من سفح الهزيمة والاستسلام وينتهي إلى سدة القوة العمياء والاستكبار. ثمة ترددات تاريخية يتعين استحضارها في أي مقاربة للصراع الدولي. وبما أنه ليس في إمكان أي دولة أن تحافظ على تفوقها مهما ناورت، وبما أنه لا وجود لسقف يحدد أين توصل القوة العمياء نفوذها، فإن جدل التشكل وإعادة التشكل هي الباراديغم الأكثر خفاءً من كل النماذج التي يستند إليها المحللون في فهم قوانين الصراع الدولي.

في حمأة الصراع وقوانينه الخفية، تصبح الشعارات السياسية والإنسانية مجرد قرابين تثوي خلفها إرادات ومصالح لا تقيم وزناً لمبدأ أو

(١) نعوم تشومسكي، قوى وآفاق، ص١٩، ترجمة ياسين الحاج صالح، ط دار الحصاد ـ دمشق ط.١ سنة ١٩٩٨.

قيمة ما. لقد تجاوزت الولايات المتحدة الأميركية رائدة الامبريالية الجديدة،على لسان ويلسون ذلك المنظور البيسماركي التقليدي للسياسة بوصفها فن الممكن، حيث قال الرئيس الأميركي يومها: «مع الرب.. كل الأشياء ممكنة»!

من الممكن أن نحاسب القوى العظمى بمعايير أخلاقية ونلزمها بمبدأ التناقض المنطقي. لكن مثل هذا لا يقدم ولا يؤخر في النظام الدولي المحكوم بتوازنات قوية تجعل القيم والشعارات مطية وواجهة تخفي حماقات الإدارات وجنون الرغبة في توسيع مديات النفوذ. لقد أكسبت الحرب العالمية الثانية روزفيلت الصراحة الكافية للحديث عن حصر شرطة العالم في أربع دول ستحكم العالم بالقوة؛ الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا والصين وليس أمام غيرها من دول العالم سوى الإذعان لشروط الكبار، فلا بدَّ أن يكون بقية العالم في وضع استسلام وعليه «أن ينزع سلاحه. فإذا وجد الحلفاء أن أمماً تخادع في ذلك، فإنها ستواجه بالتهديد أو يُفرض حجر عليها، وإذا فشل ذلك فستواجه بالقصف»[1]. إن منطق القوة لا يستحضر قوة المنطق. وإذا كان مبدأ التناقض قد احتل أصل الأصول المنطقية، فإنه في منطق الصراع الخفي، هو آخر مبدأ ممكن، وهو عنوان الخروج من سكر القوة والدخول في مرحلة الهزيمة. إن مجال الصراع مجال يتسع لكل أشكال الثالث المرفوع. وفي أكثر الأحيان تكون المفارقة هي أصل الأصول في منطق الصراع. فالعرض هو «إن القوة تحطم القوة والصراع يمنع الصراع والعسكرة تحطم العسكرة والحرب تمنع الحرب»[2]. على هذا الأساس أردنا القول بأن وجود الولايات المتحدة الأميركية في واجهة الإمبريالية الجديدة، بعنفها

(١) في رسالة له إلى راف إم. مولوتوف. انظر والتر أ. مكدوجال، أرض الميعاد والدولة الصليبية ص ٢٢١. ت رضا هلال ط١ /٢٠٠٠ دار الشروق ـ مصر.

(٢) من كلام بوراي، انظر المصدر نفسه ص٢٠٤٣.

التدميري الذي سعى منذ الحرب العالمية الثانية لوضع شروط إعادة تشكيل العالم، قبل أن يواجه مقاومة من المستوى القطبي نفسه؛ أي صعود نجم الاتحاد السوفياتي، ليس مجرداً عن تاريخ صراعي مع أشكال من الإمبريالية الأوروبية التي كانت في الأصل منبع نشوء الدولة العظمى الجديدة، والمسؤول عن كل ما آل إليه العالم بما في ذلك منطقة الشرق الأوسط. لم تولد الهيمنة الأميركية من فراغ، بل هي الوريث الشرعي لأكثر أشكال الاحتلالات كلاسيكية في التاريخ الحديث، أي: فرنسا وبريطانيا. وإن نهاية عصر الإمبريالية، ليس سوى نهاية شكل من أشكال الإمبريالية. فمتى غابت الآلهة حلت الأشباح كما يقولون. ليس ثمة من فراغ. والمنطقة التي لا توجد فيها ممانعة طبيعية، ليست منطقة مستهدفة فحسب، بل هي في المنظور الإمبريالي، منطقة منزوعة السيادة سلفاً. وسوف ندرك بعد ذلك لماذا تكمن الأهمية في استحضار هذا الجانب من تاريخية نشوء وتولد نزعة التدخل في السياسة الخارجية لهذه الدولة العظمى. لكننا نكتفي الآن بالقول إن مبدأ مونرو كان حقاً صدمة كبيرة بالنسبة لأوروبا العجوز وهو الذي سرعان ما سيتحول إلى عقيدة مقدسة استطاعت في نهاية المطاف التأثير على العقل السياسي الأميركي، وإيقاف النزوع الإمبريالي الأوروبي في اتجاه الغرب قبل أن يتمدد هذا النزوع إلى داخل أوروبا ـ باتجاه بريطانيا ـ نفسها مع ويلسون وبعد الحرب العالمية الثانية حيث استطاعت الولايات المتحدة الأميركية أن توسع من مبدأ مونرو باتجاه الشرق الأوسط وباقي مناطق العالم، وتحديداً سيتحقق الجزء الأكبر من هذه الاستراتيجيا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. كان مبدأ مونرو ضربة قوية، أعطت أهمية لما سمي بعد ذلك بالفرادة الأميركية، والاهتمام بمجال نفوذها الخاص، وكبح جماح أوروبا للتدخل في المجال الداخلي للأميركيتين معاً. وبناء نوع من العلاقة الحذرة مع أوروبا خارج منطق التحالف. الأمر الذي جعل شخصاً مهماً في التاريخ السياسي الأوروبي الحديث يعتبر المبدأ المذكور، مبدأ وقحاً واستكبارياً وشاذاً ولا

مبرر له. ومع أن المبدأ في صيغته الأولى لم يكن أكثر من إعلان عن أن الأميركيتين لم تعودا بعد اليوم محلًا للاستعمار، إلا أن احتقار الساسة الأوروبيين بمن فيهم روسيا القيصرية وتأسفهم على نمو هذه الدولة الجديدة الثائرة في وجه الميتروبول، لم يكن له من مبرر هو الآخر سوى إذا اعتبرناه صدمة من داخل الغرب الكبير الذي تصدع إلى حدٍّ ما بفعل المناورات السياسية للولايات المتحدة الأميركية الفتية، التي مزقت خرائط نفوذه، وخلقت نوعاً من التعددية في الاستراتيجيا الغربية ومجالات النفوذ وبسط اليد. والحق فإن ما سمي بعدها بعبادة المونروية[1] ليست سوى رد الفعل الطبيعي للقوة الناشئة لتحتل كل النفوذ الإمبريالي المكتسب للغرب التقليدي. إن الامبريالية الجديدة التي ورثت كل قواعد اللعبة ومجال النفوذ، بعد أن أعاد هيتلر أوروبا إلى وضع أكثر هشاشة حيث باتت في عين الحليف المنافس في أقصى الغرب بمثابة الرجل المريض. لقد كان وراء أكثر الوقائع السياسية التي حددت مصائر الدول ورسمت قواعد النظام الدولي، أشد الصراعات الحادة، منذ الحرب العالمية الأولى ومعاهدة فرساي وعصبة الأمم ونشوء الكيان الصهيوني المحتل والحرب العالمية الثانية وهيئة الأمم المتحدة ونظام بروتن وودز ومنظمة التجارة الدولية وحرب الخليج الأولى والثانية والحرب على الإرهاب. الكل يوظف لصالح الكل، وخلف الفوضى الجارفة يوجد القانون الخفي لصراع الإدارات والقوى الكبرى. أصبح واضحاً أن التعويل على النظام الدولي بمنطق المعايير والقيم والأعراف الدولية، والتعاطي مع أطراف الصراع وبناء التحالفات بمنطق الثقة المطلقة دون حساب التحول في موازين القوى ومنطق الأحلاف، لم يعد فقط غير مجدي كما يقولون، بل لم يكن في يوم هو الطريق الصحيح في العلاقات الدولية. إن منطق الاحتواء الذي سلكته الولايات المتحدة الأميركية منذ ويلسون، تجاه

(١) يعود الوصف أعلاه إلى المؤرخ توماس بيلي، انظر المصدر، ص٩٥٤.

أوروبا وبعد ذلك إبان الحرب الباردة مع الاتحاد السوفياتي، لم يكن سوى التجسيد العملي للمبدأ الخالد للعلاقات الدولية: لا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة بل مصلحة دائمة! وبالفعل، يبدو ترنح الدول الضعيفة في صراعها من أجل البقاء ومن أجل الحد الأدنى من مصالحها المشروعة وقضاياها العادلة وموجبات السيادة، بين أوروبا والولايات المتحدة، هو في الأصل ترنح بين قوتين تتجهان نحو مستقبل مليء بالمفاجآت. فالغرب الذي بدا اليوم متوحداً في الظاهر يختزن كل مظاهر الصراع الذي يلوح في الأفق متى ما رست مجالات الصدع الكبرى للنفوذ الأميركي فيما وراء البحار. إذا كانت أوروبا وبالتالي أميركا قد وحد بينها الاقتصاد، فإن ذلك مجرد محطة لتفجير مستقبل زاخر بالتناقضات وصراع النفوذ. إن الاقتصاد سيكون أول عامل سيمزق الوحدة الأوروبية والتحالف الغربي. فأوروبا الموحدة أمر مزعج لأميركا التي نجحت منذ ويلسون في احتواء بريطانيا، لإضعاف أوروبا أو بالأحرى لانتزاع الدولة الأوروبية الأكثر تأثيراً من باقي الدول الأوروبية. كما أن أميركا مستأثرة بالنفوذ دون أوروبا، أمر مزعج لأوروبا. ليس ثمة دولة من هذه الدول تعمل على أجندة منسجمة مع القوانين الدولية، بل هي تسعى للامتداد والنفوذ بالمقدار الذي يمكنها فعله. هذا تحديداً يفسر كل المواقف الأوروبية التي لا تزال يوماً بعد يوم تفاجئ أصدقاءها العرب بتذبذب مواقفها وتقلبات سياساتها. وقد يكون من الغرابة أن نتحدث عن الحليف الأوروبي؛ لأن مثل ذلك ليس له معنى إذا تعلق الأمر بمواجهة الأطماع الأميركية وبالتالي الصهيونية في المنطقة. ففرنسا التي وقفت في وجه احتلال العراق متذرعة بمبدأ سيادة الدول، لم تفعل ذلك تشبثاً منها بالقانون الدولي وحرمة الأمم المتحدة، بل فعلت ذلك لأن مجالاً للنفوذ سوف يصبح تحت الهيمنة الأميركية.ولأنها لم تستوعب الصفعة الأميركية التي غيرت كل اتفاقياتها مع النظام العراقي المخلوع، وإلا فإن فرنسا هي هي نفسها التي ناورت بكل خبث سياسي للدفع بالتدخل وغزو سوريا ولبنان، وهي نفسها التي هددت

باستعمال السلاح النووي ضد أي دولة تهدد المصالح والأمن الفرنسيين. وعليه، فليس أمام الشعوب والقوى الممانعة سوى أن تناور بما فيه الكفاية داخل هذا التصدع البنيوي في نظام التحالف الغربي الذي سيظل كذلك.

الصراع على النفط أمر لا تحجبه الخطابات التضليلية الأميركية التي ترى أن الهدف الرئيسي من احتلال العراق لا يستحضر المعامل النفطية، من حيث وجود بدائل في السوق العالمية، وحيث النفط بالنتيجة معروض للبيع. هكذا تميع الاستراتيجيا الكبرى للولايات المتحدة وتغير ثيماتها لصالح ضرب من التهريج، الذي يواصل عبر التكرار الممل مسخ الحقائق، وممارسة الوقاحة بواجهة إعلامية يغلب عليها فن الصورة والإيحاء والتغليط. ففي منطقة يوجد فيها أكبر احتياطي للطاقة في العالم، ليس في وسع القوى المهيمنة إلا أن تواصل الصراع على الأرض، والعمل على شطب تاريخ وثقافة أمم تعيش فوق هذا الرأسمال الطاقي برهانات حضارية تربك المعادلة الصراعية الكبرى. إن صعود القوى الممانعة في المنطقة، غيَّر وجهة الصراع، وفرض دخول المقاومة في صلب المعادلة. فإذا كانت الامبريالية سعت ولا زالت من أجل التطبيع، فإن المقاومة كانت قد استطاعت، ليس فقط أن تربك سياسة التطبيع فقط، بل رسخت شكلًا من الثقافة بوسائل لا تقل كفاءة لترسيخ نوع آخر من التطبيع؛ تطبيع المقاومة وإحداث تجدد في العلاقة المحلية مع مبدأ المقاومة. فبقدر ما تسعى الامبريالية عبر وسائل الإعلام محاصرة المقاومة واختزالها في عنوان الإرهاب، فإنها تخفي مكتسبات الفعل المقاوم على الأرض، كما تخفي حجم العنف الذي كلف الولايات المتحدة الأميركية تأمين الحد الأدنى من النفوذ في المنطقة. إن حجم التسلح ونشوء قوى عسكرية في المنطقة لم يعد يسمح بالتعاطي مع الشأن الشرق أوسطي باليسر الذي كان بالأمس، ما يعني أن المنطقة لا تزال في هذا الانقلاب في المعادلة مدينة للمقاومة، ليس فقط من حيث إنها

أحرزت تقدماً على خريطة التحرير، بل لأنها استطاعت أن تحرر الإنسان العربي والمسلم من مظاهر عقل الهزيمة. يتعين على المقاومة حينئذ أن تتولى بنفسها كتابة تاريخها، وإحصاء منجزاتها، داخل هذا الموج السلبي والردة الهزيمية التي عاودت الهيمنة على بعض الرؤوس. قد يكون من مصلحة الامبريالية أن يحصي عنها خصومها عدد التدخلات العسكرية وحجم التدمير الكبير الذي تستطيع بوقاحتها المعهودة أن تحوله إلى مادة إعلامية للرعب الأميركي. إنها الحرب النفسية التي أتقنتها القوة العظمى، وبنت عليها كل مجدها الحديث. لكن علينا أن نغير من منطق الوصف والرصد والإحصاء، ونحاسب هذه المنجزات التدميرية بحساب الربح والخسارة، وصلة ذلك بالفعل المقاوم.

هل نجحت الامبريالية في تحقيق أحلامها في المنطقة؟

هذا السؤال على بساطته يحمل استفزازاً كبيراً لهذا النوع من الإحصائيات المرعبة لتاريخ سياسة التدخل الأميركي وحجم التدمير الذي أحدثه جهازه العسكري في العالم. مستفز لأنه لا ينظر إلى الحدث، بل إلى الاستراتيجيا التي حركت الحدث، فيوزن بين حجم الأطماع وبين الحصيلة على الأرض. وحتماً إن كل ذلك التراجع والتباين بين خط بيان الأحلام وخط بيان المحصلة الواقعية للحدث، يعود الفضل فيه إلى الفعل المقاوم.

يعتبر المشروع الصهيوني في طليعة المشكلات التي يواجهها العالم العربي. ويكفي وجود هذا الكيان النشاز بكل ما تعني الكلمة من معنى لتدرك أن وجوده أصبح خطراً شمولياً، لا ينتهي مفعوله عند مجرد نصر أو هزيمة عسكرية. بل تتجلى خطورته في أنه حتى مع فرض الاعتراف بإسرائيل، لا يتم ذلك إلا على أساس اتفاقيات مثقلة ترهن السلام والاستقرار في المنطقة ببنود جلية مفادها إعادة تشكيل الشرق الأوسط بشروط إسرائيلية. وبنود خفية تضع سقفاً بنيوياً للإنماء العربي والإسلامي، لحماية التفوق الإسرائيلي

في المنطقة. إن وجود المشروع الصهيوني بهذه الرهانات، كافٍ لجعل الفعل المقاوم المستدام ضرورة إنمائية وحضارية. ومع كل ذلك ورغم الوجع المستمر، وتنفذ القوى العظمى، نستطيع أن نقيس بين أحلام اليقظة التي استبدت بمخترعي الكيان الصهيوني الذي تكاملت أسطورته داخل تداعيات الصراع الاجتماعي والثقافي والسياسي الأوروبي، وبين ما هو اليوم مسجل على أديم الأرض. إن دولة استعمارية تعيش على التصعيد العسكري منذ أزيد من نصف قرن، في بحر عربي وإسلامي، هو أكبر مأزق لكيان مصطنع. غير أن الملفت للنظر، هو أن الأحلام المتورمة لإسرائيل تبخرت بشكل كبير، إذ لم يعد في وسعها أن تستمر في تأجيل حدودها التي بات واضحاً أنها تنكمش بفعل المقاومة المستمرة. إن انسحاب إسرائيل من جزء من جنوب لبنان على يد حزب الله، وتراجعها داخل فلسطين بفعل العمل الفدائي لحماس والجهاد، جعل أسطورة إسرائيل الممتدة من النهر إلى النهر، أمراً يزعج الذاكرة الصهيونية أكثر مما يسيل لعابها. لقد قالها هينتنغتون يوماً، بأن أميركا لا يمكنها الاستمرار في بسط هيمنتها على العالم. وما يبدو اليوم من أشكال التدخل، كشف عن وجود فخاخ كبرى، ستؤدي حتماً إلى فرض تراجعات في مشروع الهيمنة التامة على المنطقة. كل هذا التطور في معادلة الصراع، لم يكن بفعل الحروب الكلاسيكية التي، لم تسمح بتقدم الكيان المحتل إلى مزيد من الأراضي العربية، بل كرست عقل الهزيمة في جيل بكامله. أجل: كل ما أربك أحلام اليقظة الصهيونية، كان ولا يزال هو الفعل المقاوم. إن إسرائيل لن تهدأ ولن تعيش في بحر من الممانعة العربية والإسلامية، إنها دولة قدر لها أن تعيش تحت الرعاية الدائمة للولايات المتحدة الأميركية. إنها تعيش في وضع أسوأ مما يمكن أن تعيشه دولة ضعيفة في جنوب أفريقيا أو الشرق الأقصى.

من جهة أخرى، فإن بين مفهوم الاستراتيجيا الأميركية ومنطوقها على

الأرض، قصة هذا الفشل الذريع الذي جعل العراق الذي بدا منتجعاً مليئاً بالورود إلى مستنقع غرقت فيه الولايات المتحدة الأميركية. إن منطق الصراع والقانون الخفي للاحتلال، يؤكد على أن ما من بلد احتل إلا ويخضع كلياً لإرادة المحتل. وكما جرى على الأقل في اليابان بعد الهزيمة، كانت الاستراتيجية الأميركية واضحة: حكومة عسكرية،أن يكتب دستور جديد لليابان ممنوح، وتنتزع كل مظاهر السيادة من الدولة المهزومة وتملي كل الشروط من قبل المنتصر. دخلت أميركا بهذا الحلم بعد أن جوَّعت الشعب العراقي أكثر من عقد من الزمان وجعلت منه بلداً منكوباً، يعج بالموتى والأمراض والأوبئة. وقد تطلب منها الأمر كل هذه الحكاية التوريطية ـ على كل حال ـ من جلبي، لكي تقدم إلى العراق في انتظار تحقيق مخططاتها المعلنة وغير المعلنة. لم يكن الفعل المقاوم يتجلى هذه المرة، في حجم التفجيرات، الذي أصبح اليوم صناعة إرهابية محض في عراق، لا يحتاج إلا إلى بعض الهدوء الذي يسمح بتصعيد العملية السياسية، ليعجل برحيل المحتل الأميركي بصورة ناعمة، لكنها مذلة. فعرس الدم العراقي اليوم، إن هو إلا تلك المعادلة المعقدة التي يتبادل فيها الأدوار ضمن تحالف موضوعي بين الاحتلال والإرهاب. لكن ما يحدث في العراق هو ضغط سياسي كبير، مكن العراق من سحب البساط سياسياً من تحت أقدام الاحتلال. لقد أرغمت إدارة الاحتلال عبر الضغط والعصيان المدني والإيحاءات القوية للقوى السياسية النافذة في العراق، إلى التراجع عن مخططاتها التقليدية وأرغمت بريمار على مغادرة العراق والتعجيل بالانتخابات التي هي مطلب تاريخي للشعب العراقي، وكتابة الدستور بتوافق عراقي وعرضه على الشعب قبل إقراره بواسطة الاستفتاء، ووصول المعارضة العراقية ذات التاريخ المقاوم إلى سدة الحكم رغم كل المناورات الأميركية. إن ما ترجوه القوة المحتلة للعراق اليوم هو الخروج بماء الوجه، بعد أن أدركت أن ما يسمى مقاومة ـ وهي للأسف لا تستهدف سوى الأبرياء والأماكن العمومية والآهلة بالسكان ـ ليست

سوى أمراً عارضاً، حيث ما يهم الاحتلال الآن، أن يحقق خروجه ولا يقف بالقوة أمام إرادة الشعب العراقي، حيث المقاومة العراقية الحقيقية الصامتة، هي رسالة مقروءة ومفهومة من الاحتلال، ولذلك نعتقد أن العراق هو في نهاية المطاف انتصر وسينتصر أكثر بعد رحيل الاحتلال المتوقع، لأنه غير مجرى الحلم الأميركي التعيس في المنطقة. فالمقاومة قد تكون سياسية وقد تكون غير ذلك بحسب الشروط التي تفرضها المرحلة.

إذن هل نجحت أميركا وإسرائيل في المنطقة؟

تواجه الدولتان معاً تحدي إصرار المنطقة ممثلة في شعوبها وقوى الصمود والممانعة على المقاومة، ما دفعهما إلى الفشل والتراجع وتصعيد الموقف، حيث ليس أمامهما سوى أن يجربا آخر ما تبقى من عناصر القوة لتليين إرادة الشعوب، لا سيما بعد أن قادهما الفشل في تمرير كل مشاريعها في العراق، إلى هذا النوع من التعويض الساذج بالقوة. إن التذرع بالإرهاب، والإصرار على خلط المفاهيم، سيجعلهما في تحدٍّ مع الشعوب التوّاقة إلى الحرية والكرامة. وبعد أن حاولت الإدارة الأميركية إقناع العالم بالخطورة الأسطورية لحفنة من الإرهابيين، فإنها سرعان ما وجدت نفسها تترنح داخل أنشوطة تصاعد الوعي الجماهيري بخبث اللعبة الامبريالية وفساد الضمير العالمي، حيث إن وراء حركات التحرر إرادة جماعية للشعوب. ولقد غرق الضمير الأميركي والصهيوني الفاسد في مستنقع القضية الفلسطينية، لا سيما بعد نجاح حركة حماس، وبعد أن كان وصولها إلى سدة الحكم، قراراً حراً لشعب ينشد التحرر والتحرير. لقد نجح الشعب الفلسطيني ومقاومته في أن يفضحوا أمام العالم زيف القيم التي تتترس بها الولايات المتحدة الأميركية، بعد أن كشفت عن سياسة تعسفية تبغي قتل شعب بكامله وتجويعه والمزايدة بقوت أبنائه وفقرائه لتركيعه وسلبه إرادته الحرة. وقد حدث مثل ذلك كثيراً، لما جوّعت شعباً بكامله في العراق قبل أن تتخذ قرار صب أطنان القنابل فوق رؤوس البؤساء الجوعى من العراقيين.

لم تنجح الولايات المتحدة ولا الكيان الصهيوني إذن في كامل مشاريعه. رغم هذا الرعب المادي والنفسي الذي حاولا تكريسه في المنطقة. فقد يكون من الغباء أن تعبر إسرائيل اليوم عن عجزها في شراسة عسكريتاريتها وحمامات الدم التي تقيمها في الأراضي الفلسطينية المحتلة. دخلت الأيديولوجيا الصهيونية منتفخة إلى المنطقة، ورسمت خرائطها الممتدة من النهر إلى النهر، لكن سرعان ما تبخر الحلم، **واليوم تحاول إسرائيل أن تحتفظ برقعة ضيقة في بحر عربي وإسلامي لم يسلم لها في التطبيع الكامل.** ودخلت الولايات المتحدة الأميركية إلى العراق وفي أجندتها كما ذكرنا، **فرض دستورها وحكومتها العسكرية، لكنها تفاجأ بأن بقاءها في العراق مجرد ورطة يجب أن تتخلص منها في أقرب الآجال. وفي كل ذلك كانت المقاومة هي العامل الأساسي الذي غير معادلة الصراع، وأكسب العالم** العربي والإسلامي انتصارات ولو جزئية، لكنها انتصارات منحتها المقاومة قيمة رمزية، خففت وزر الهزائم التي أراد المحتل أن يحولها إلى ثقافة عربية.

إننا في تحدٍّ.. إذن حذاري من الهزيمة النفسية

إن كل ما تقوم به الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل يدخل في إطار الحرب النفسية. فلا شك في أن ما تستطيع تحقيقه هذه الدول بالقوة فإنها تبادر إليه من دون تلويح بالقوة. ولقد طال وعيدها للعراق ولم تجرؤ على غزوه إلا بعد أن تبين لها أنها ستغزو أرضاً غيبت الديكتاتورية إرادة شعبها ورسمت بينها وبينه جداراً من الصمت. فماذا كانت تريد أميركا من العراق وماذا استطاعت أن تحقق على الأرض، حتى نعرف ما مدى فشلها أمام موج الممانعة على مستوياتها المختلفة. وماذا أرادت إسرائيل من الشعب الفلسطيني وماذا استطاعت أن تحقق على الأرض حتى نعرف مقدار فشلها في تحقيق مخططاتها الكبرى؟ إننا نعتقد أنه من الضروري أن تكتب

المقاومة تاريخها وتقدم فواتير ما اشترته بدمها، وإحصاءً لمنجزاتها، لأن ذلك يدخل أيضاً، ليس فقط في مواجهة الحرب النفسية، بل في كتابة التاريخ الحقيقي لحركة الشعوب الحرة.

الخلط بين الإرهاب والمقاومة؛ مغالطة أميركية:

لم يتجه سلاح المقاومة، سواء في جنوب لبنان أو الأراضي الفلسطينية المحتلة خارج منطقة الاحتلال. وفي منطقة محتلة واستيطان قسري وعسكرة شاملة، يكون العمل المقاوم أمراً مشروعاً في كل الموازين والشرائع والأعراف الإنسانية والدولية. ومع ذلك تمنح الوقاحة لنفسها فرصة لتجريم الفعل المقاوم، استدماجه ضمن ملحمة الحرب على الإرهاب، الذي لم تشأ حتى الآن أن تحدد له تعريفاً يميزه عن الفعل المقاوم، من حيث ليس من طريق غيره للدفاع عن سيادة الشعوب واستقلالها وتقرير مصيرها وتحرير أوطانها. وفي مثل هذه الظروف يتعين على المقاومة أن تبادر هي نفسها إلى وضع تعريف حقيقي للإرهاب وللمقاومة، وتضع فيصلًا جوهرياً بين الاثنين. ليس لأن الإرهاب يشكل بدوره تحدياً للمقاومة ويتغذى على سمعتها ويصدر ثقافة الموت الرخيص ويميع الفعل الاستشهادي باسم المقاومة فحسب، بل لأن المقاومة سوف تواجه فصولًا من المناورات الإمبريالية التي ستعمد إلى مزيد من خلط الأوراق وأشكال من الحروب القذرة والدفع باتجاه الفوضى، للنيل من شرف القضية الوطنية وتحييد الفعل المقاوم من المواجهة.

الإرهاب خطير، لكنه عارض

تحمل المقاومة مصداقيتها في حجم منجزاتها وفي اللغة الإنسانية التي يصدقها الوجدان العام وفي عمق القاعدة الشعبية التي تقف بولائها وقناعتها وعواطفها وراء الفعل المقاوم. ومن هنا تستطيع الإمبريالية أن تلاحق حفنة من الإرهابيين في عزلة عن الشعب، كما فعلت إلى حدٍّ ما في

أفغانستان أو العراق، لكنها أمام الفعل المقاوم الحقيقي، لن تستطيع عزل المقاومة عن الشعب، حيث إن كان الإرهابي يتترس بالشعب، فإن المقاوم يشكل ترساً للشعب. يموت المقاوم من أجل شعبه ووطنه، لكن الإرهابي يقتل الشعب ليحيى. ومع ذلك يشكل الشعب سداً منيعاً يحمي المقاومة. وحينئذ تضطر الإمبريالية إلى معاقبة شعب بكامله لما تريد إنزال العقوبة بالمقاومة المشروعة كما حصل في فلسطين.

يتجلى الفارق الجوهري بين الموضوعين، فضلًا عن أخلاقيات الأداء المقاوم، في مشروعية الملف المطلبي. أي من خلال الدرجة الصفر للمشروع **السياسي والاجتماعي للإرهاب، مقابل اختزال المقاومة لكل الأهداف الوطنية والحضارية لأمة من الأمم.**

ليس للإرهاب أجندة واضحة، غير نشر الفوضى والإثخان في الحرب. وهو يزداد جنوناً متى فرض عليه التراجع عن مواقع نفوذه أو ووجه في ميدان تنفيذ جرائمه المنكرة.. كما تزداد أهدافه غموضاً متى أحرز تقدماً في تسديد ضرباته للخصم. الإرهاب لا يملك أن يكون مقاوماً على الأرض لصالح الأرض، لأنه لا يملك تاريخاً يفتخر به ولا جغرافيا تحتضن أحلامه. وهو لذلك لا وطن له ولا لون له. هو تصعيد يلخص فوران العنف، ويمثل طقس تبادل العنف أو ما أسماه بوديار بتبادل الموت. ليس فقط يمكننا القول، إن الإرهاب لا يحمل برنامجاً سياسياً واجتماعياً وحضارياً، لأنه لا يملك شعباً يمثله ولا أرضاً يبتغي عمرانها فحسب، بل هو لا يملك حتى أجندة المقاومة من أجل التحرير. ففي الوقت الذي يبدو فيه رمز المقاومة كاشفاً عن وجهه أمام شعبه وعدوه، مدركاً لحدود ما يجب في حق الشعب وما لا يجب، يزداد الإرهاب تخفياً؛ مستغرقاً في الاستمتاع بسادية الرعب وفيتشية تمامية التلثم. فإذا كانت الشعوب يجب أن تكرم بالتحرير في نظر المقاوم، فهي تقدم في موكب قرابين الموت العبثي وكحطب في أفران الموت. وهذا أمر يمكن استقراؤه من خلال مجموعة متوالية من التساؤلات

المشروعة في وجه الإرهاب الذي يقدم كل مسوغات استقواء ونفوذ ومصداقية الاحتلال، كما لو كان الحليف الاستراتيجي للاحتلال وصناعته التي تمهد له الطريق إلى مزيد من الاحتلالات تحت شعار الحرب الطويلة على الإرهاب. هل الإرهاب يؤمن بحق الشعوب في تقرير المصير؟ وهل هو مستعد لأن يتراجع لمصلحة بناء دولة واستقرار وطن؟ إن أهداف الإرهاب بعيدة وبعيدة جداً، تتعدى كل غايات المقاومة التي تشرك شعوبها في القرارات الكبرى وتكون تعبيراً عن إرادة الأمم. ففي الوقت الذي تستقوي فيه الشعوب بمقاومتها تجد الشعوب ترتعب وتفقد قرارها تحت طائلة الإرهاب الذي يختفي وراءها ويضعها في خطوط التماس لعملياته القذرة. وفي كل الأحوال لا أحد منا تساءل يوماً هل يقبل هؤلاء بمعنى ومفهوم المقاومة، أم أن أغيارهم أطلقوا عليهم ذلك في محاولة لحرف الحقيقة المرة، قبل أن يعيدها التاريخ في يوم مشهود إلى مسارها الصحيح؟!

منطق المقاومة:

تهدف الحملات الإعلامية المضللة اليوم التشكيك في المسوغ المنطقي لوجود واستمرار الفعل المقاوم. وحيث إن الإعلام هو جزء من هذه الحرب الطويلة الأمد وجزء من سياسة الحرب القذرة التي ترعاها قوى الاستعمار الحديث، فإننا نشهد اليوم كبرى المفارقات التي تستهين بكل المسلمات التي دان بها العقل السياسي الحديث، بدءاً بسياسة الكيل بمكيالين إلى حدٍّ لم يعد ينفع معه التنديد والاحتجاج، حتى من داخل أكبر مؤسسات المجتمع الدولي، وانتهاء بالمشهد التناقضي الذي يقدم نفسه عارياً وببشاعة منقطعة النظير: إرهاب دولة واستعمار وغزو وتدمير وجرائم في حق الإنسانية واحتلالات غاشمة وتفقير وتجويع جماعي للنوع يمارس بوقاحة وفي كرنفالية تستمد مشروعيتها من منطق القوة والرعب والاستكبار الذي بلغ حدود شل الإرادة والقرار الدوليين، في قبال تبشيع لكبرى القيم التي تتوسل بها الإرادة الوطنية في نشدان تحررها واستقلالها. إنه الانقلاب

الكبير على كل القيم التي نهضت عليها حضارة الإنسان المعاصرة، وقرصنة لأهم المبادئ التي أسس بموجبها المجتمع الدولي. وأمام هذا الفارق الكبير في إعلان الصورة الحقيقية لصراع الإرادات والنفوذ، يطرح سؤال بديهي: هل حقاً عصر المقاومة ولى بلا رجعة.. وهل حقاً لم يعد في جعبة المقاومة وحركة التحرر الوطني ما تقدمه اليوم؟

إذا كانت صور وأشكال الاستعمار الكلاسيكي قد أطلت علينا بوحشية مرعبة، وتحاول أن تسلب منا كل مقومات الوجود والبقاء، فإن سؤالاً كهذا، يصبح في حكم الأسئلة البائسة الغبية التي وجد الإعلام التضليلي لها متلقياً مهزوماً، وهو حقاً ما كان يسميه المرحوم مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار. وعلى عكس الصورة المضللة عن جدوى المقاومة، تقدم هذه الأخيرة نفسها بمثابة السلاح الأخير للشعوب المكافحة من أجل التحرير. فما دام أن الشعوب لا تموت، فإن المقاومة هي إكسير بقائها،خالدة بقيمها وتشبثها بتاريخها وأرضها. لقد استطاع كيمياء المقاومة وحده أن يستدمج كل الاستقصاءات والعناصر التي تمنح للوجود البشري معنى، أي: عنصر التحرر والكرامة والسيادة والاستقلال، وأيضاً استطاعت أن تحتضن كل المديات والاعتبارات التي تقوم بها العناصر سالفة الذكر: الاعتبار الوطني والاعتبار القومي والاعتبار الإسلامي والاعتبار الثالثي والاعتبار الإنساني. وقد حققت المقاومة مع اتساع رقعة الاعتبارات انتصاراً استراتيجياً كبيراً. ففي ضوء حساب الربح والخسارة يمكننا أن نرجع كل هذا المنجز التحرري بقليله وكثيره إلى فعل المقاومة. لقد أعادت المقاومة التوازن إلى المنطقة، بل وأعادت الهيبة للمجال العربي والإسلامي، من حيث لم يعد يشكل لقمة سائغة لإرادات الغزو. من هنا نعتقد أنه في حساب الاستراتيجيا وأيضاً حساب التاريخ أن ما حدث من غزو على العراق، كان أمراً مهماً على خطورته، لأنه أدى وظيفتين مهمتين: الأولى أنه أنهى قصة طاغية جلب الدمار والعار للمنطقة برعونته المشهودة ومغامراته الغبية وتدميره للمجتمع العراقي، والثانية أن العراق قدم النموذج المعبر في تاريخ الغزو الأميركي

للمنطقة، حيث كشف عن فساد الضمير الأميركي في يوميات التفكيك والبناء للدولة العراقية، وأيضاً قدم درساً على أن غزو المنطقة مهما بدا النظام فاسداً وضعيفاً، لن يكون على أي حال نزهة قصيرة. سيسجل التاريخ حتماً وستعي كل القوى التي لا زال يراودها الحنين إلى ماضي الغزو في أحلام اليقظة بأن الاستعمار لم يعد ممكناً. ونحن ندرك تماماً بأن المقاومة الموجودة في العراق هي مقاومة سياسية أدركت بحكم حجم حضورها بأنها تملك من النفس ما يجعل مجرد المقاومة السياسية كافي لإشعار المحتل باستحالة البقاء على أرض العراق. وهو يدرك تماماً أن المقاومة الحقيقية في العراق لو أصبحت خياراً نهائياً ويتولاه الشعب العراقي وقواه الحقيقية لتغيرت المعادلة. وما دام الشعب العراقي في أغلبيته الصامتة لم يلجأ للخيار الأخير، فلأنه فطن إلى حجم قوة المحتل، وبأنه لا يملك أن يستمر في العراق متى انتزعت منه كل مبررات الوجود،مع بناء الدولة العراقية الجديدة. هناك صراع صامت بين المحتل والشعب يدار بسياسة عالية. لكن هذا كافٍ لأن يحبط ما كان يدور في رؤوس الغزاة الذين دخلوا العراق، لا لكي يختار الشعب حكومته ويكتب دستوره بملء إرادته، بل لقد كان في الأجندة ما لم يتحمله وضع العراق كما ذكرنا. فذلك هو درس العراق البطل، الذي يجب أن نعترف بأن عظمته ليست محصورة فيما يبدو بعمليات إرهابية تحصد الأبرياء، فالعراق والمقاومة العراقية الصامتة التي لا زالت تملك في جعبتها بعض الخيارات، هي التي حاصرت المحتل وليس بعض الفرقعات هنا أو هناك. وفي لبنان أحدثت المقاومة انقلاباً استراتيجياً، غير الموازين، وقدم النموذج الصحيح لما ينبغي أن تكون عليه الأمة لما تصبح أمة حرة تملك إرادة حقيقية. قدمت المقاومة اللبنانية رؤية متكاملة عن الفعل المقاوم، نشأت في حضن التحدي والوجع وسرعان ما نمت وشبت وترعرعت ونضجت فكبرت بإنجازاتها وكبُر معها الوطن، وكبُر معها العالم العربي والإسلامي. لما قامت بما لم تقم به جيوش عربية جرارة، كانت على بسالتها مشلولة القوى بفعل الإحساس بالهزيمة وفساد الإدارة. وحتماً إن المقاومة كانت قد كشفت

للشعوب العربية والإسلامية وكذا كشفت للجيوش العربية والإسلامية هشاشة عدو تغذى ردحاً من الزمان على إحساسنا بالهزيمة. فالمقاومة اليوم تعدت كونها درساً للشعوب، بل هي درس للجيوش العربية والإسلامية بالدرجة الأولى. والمنجز المقاومي لا يتجلى فحسب في أن قطعة أرض تحررت هنا أو هناك، على عظمة الإنجاز، بل القيمة هي معنوية ورمزية، حيث قيمة القيم في الفعل المقاوم وفي إنجاز المقاومة هو عودة الروح إلى قلوب أماتها مسلسل الانحدارات بالنكسة والهزيمة التي أصبحت جزءاً من كياننا، سكنت الوجدان العربي وطال مكثها.

لقد قدمت المقاومة نموذجاً ناجحاً في إدارة الصراع. ليس في حجم ونوعية العمليات البطولية التي قادها شباب في عمر الزهور في هذا البلد الصغير بحجم الجغرافيا الكبير في حجم التاريخ والحضارة، بل في أنها قدمت نموذجاً للسلم المجتمعي والتعايش الجواني، وحصر العدو الاستراتيجي. لقد ساهمت المقاومة اللبنانية في إرساء الأمن الداخلي ووجهت البندقية للمحتل، وعاقرت اللغة السياسية الكفيلة والتقنية الحديثة في إدارة الصراع. لكنها اليوم وفي لحظة مفصلية من تاريخها، دخلت المقاومة مرحلة التكتكة في أوج خطورتها. فهي اليوم تقضم من الداخل وهناك ضباع تتربص بها وتحاول خدش أطرافها وإشعالها وإنهاك قواها، لأنها لا تملك مواجهتها بانفراد ولا وجهاً لوجه إلا بحيلة العاجز.. وحسابات التكتكة على أهميتها متى ما أوليت أهمية أكبر فهي تربك الاستراتيجيا.. والحال أن المطلوب هو تحقيق تجادل كبير بين التكتيك والاستراتيجيا بفعل حركة مناوراتية عالية..

وإذن لا بدّ من مبادرة للتعريف:

الدعوة إلى مؤتمر دولي لوضع تعريف حول الإرهاب، دعوة يتيمة لم تجد لها صدى في عالم يحكمه الكبار على أساس الكيل بمكيالين. غير أن التمسك بهذه الدعوة لم يعد يجدي شيئاً مع استفحال سكر الاستكبار

والعربدة الامبريالية التي لم تعد تجد في القانون الدولي مطية مناسبة لتمرير كل مشاريعها فوق الرؤوس. إننا بالتأكيد نعيش في مرحلة حساسة من عمر الإمبريالية الجديدة، حيث من الخطأ القول إن للقانون السلطة النهائية في المجال الدولي. فكل ما يجري يتحرك ضمن لعبة سياسية تستخدم فيها كل عناصر المناورة، حيث ليس القانون إلا واحداً من تلك العناصر التي يلجأ إليها عند الاقتضاء. ومتى كانت السياسية حاكماً على القانون، فكل الاحتمالات واردة. إن تاريخ العلاقات الدولية اليوم يؤكد على أن اللجوء للقانون الدولي لم يكن إلا عند استنفاد شروط اللعبة السياسية أو خدعة تؤمن مواقف سياسية غير مشروعة. فالاحتكام إلى القانون الدولي واللجوء إلى حاكميته بيد خاوية من أسباب القوة، لم يعد سوى موالًا ساذجاً، في هذا الزمن الرمادي الذي لا يزال مديناً للقوة في كل مدى من مدياته. وإذا كان المنتظم الدولي قد وجد عشية الحرب العالمية الثانية نفسه ملزماً باحترام تقرير المصير، حيث أرغمت الولايات المتحدة الأميركية رائدة الحلفاء حينئذ أوروبا الكولونيالية بهذا المبدأ، لتقليص نفوذها من عالم المستعمرات ولتفتح المجال للنفوذ الأميركي الجديد في العالم، فإن المبدأ اليوم لم يعد يجدي طالما القوة الإمبريالية اليوم التي دافعت بالأمس عن هذا المبدأ هي اليوم التي تواجه تحدي حركات التحرر الوطني. وحينئذ يتعين أن لا ينتظر العالم إرادة الإجماع الدولي حول تعريف دقيق وجامع مانع عن الإرهاب، حيث الإمبريالية الجديدة تملك أكبر احتياطي للمناورة داخل الأمم المتحدة ومجلس الأمن بواسطة سلطة الفيتو وقوة الضغط. فتكفي مبادرة القوى التحررية في العالم لتضع هي نفسها تعريفاً للإرهاب، وتناضل من أجل تكريسه إعلامياً. يتشارك في ذلك كل القوى الحية من العالم الثالث وكل المعنيين بالتهديد أو من لهم على الأقل علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع قضايا التحرر الوطني. إن المعنى يفرض على المنتظم الدولي بصيرورة العمل الجاد والمتواصل وبإصرار الشعوب على حقها في تقرير مصيرها، وليس بالتوافق والتراضي. إن المفاهيم تدخل إلى حيز التداول العالمي بقهر التعين لا بالمواضعات. وسوف

تجد قوى الاستكبار العالمي نفسها في مواجهة حقائق على الأرض، ومفاهيم تكتسب شرعيتها من واقع الصمود والممانعة، ومن نظافة وسائل المقاومة حتى لا يأكل من سمعتها جنون الإرهاب الذي بات أفيد وسيلة للإمبريالية الجديدة، وإن تلبس بالمقاومة زيفاً.

أمام المقاومة أجندة مثقلة، وهذه المرة ستجد نفسها أمام تحدي رعونة الاستبداد العاري والاستعمار والإرهاب.. ستجد أمامها شعارات كرنفالية لا تقل أهمية عن المهمة الحضارية للولايات المتحدة الأميركية لنشر الديمقراطية في العالم.. سيكذبون كثيراً، رغم أنهم يمتلكون أكبر احتياطي لممارسة العنف حد الشطط، وسيجعلوننا نحلم بعوالم لا تقل خيالًا عن أطماعهم البعيدة.. والمطلوب أن لا نصدق، حيث لا مجال إلا للحذر والفعل المقاوم حتى لو استعادت الويلسونية عنفوانها وهي تخاطب العالم بأن فكرة أميركا هي أن تخدم الإنسانية.. ذلك وكما قال الرافعي يوماً:

سيحدثونك يا بني عن السلام

إياك أن تصغي إلى هذا الكلام

كالطفل يخدع بالمنى حتى ينام

لا سلم أو يجلو عن الوجه الرغام

صدقتهم يوماً فآوتني الخيام!

التعقيبات والنقاشات بعد المحور الثالث

عيسى غزاوي رئيس المكتب السياسي لحركة الناصريين المستقلّين المرابطون:

اريد أن أحدد ما هو مفهوم الإرهاب؟.

الإرهاب هو الذي يحتل بلاد الآخرين، وهو الذي يصادر أملاك الآخرين، وهو الذي يأتي بأساطيله لاحتلال بلاد الآخرين. وهو من يغتال رؤساء البلاد، ومن ينظّم الانقلابات ويقتل الشعوب.

في الحرب العالميّة احتلّت الدول الاستعمارية كل العالم وقسّمتها وهي دول عظمى، كيف تمكّنت الشعوب من إخراج هذه الدول العظمى بأساطيلها، وذلك تمّ عبر المقاومة، وأكبر دليل لبنان وفلسطين المقاومة في لبنان فرضت توازن الرعب مع أكبر قاعدة عسكريّة متقدّمة للدول الاستعمارية الثلاث بريطانيا وفرنسا وأميركا في الوطن العربي وفلسطين كذلك. وشكراً.

إبراهيم درويش، جريدة الديار:

أوجّه سؤالي لحضرة النائب محمد رعد، المقاومة الوطنية أثبتت فعاليتها ضمن لقاء الدفاع عن الحقوق الوطنيّة، لكن ما هي الضمانات التي يمكن أن تقدّم للشعب لمعرفة مدى حاجة هذه المقاومة، وبالتالي، ماذا لو برزت فئة وقالت إن من حقّها أن تمارس حقّها المقاوم ضمن لواء منفرد وتمارس حقّها كما تمارس المقاومة حقّها الطبيعي؟ وشكراً.

هاني فاخوري، ندوة العمل الوطني:

سؤال للحاج محمد رعد، ورد في الصفحة الرابعة البند الخامس في آخره جملة ملتبسة حسب الواقع اللبناني، أرجو توضيحها.

«كما يعني في الوقت نفسه أي لبنان أن يكون مساهماً وليس بديلًا عن العرب في تحمّل أعباء الصراع من أجل قضيّتهم المركزيّة وهي قضيّة فلسطين».

إن هذه الجملة قد استعملت في لبنان من القوى المضادة كثيراً، لماذا **يتحمّل لبنان عبء مواجهة العدو الإسرائيلي في المحيط العربي لوحده عن العرب كلّهم**، نرجو التوضيح وشكراً.

فوزي كلش: رابطة أبناء بيروت، الطريق الجديدة.

سؤالي الأول، بالنسبة لآفاق المقاومة والتحدي، قال الأستاذ إدريس إن (تراجع الاستعمار)، ما قصدكم بذلك، هل ما زال الاستعمار الكلاسيكي كما هو؟.

من وجهة نظرنا إن الاستعمار تغيّر منذ سنة ١٩٩٠ بعد تحرير الكويت، أعلنوا أنه لم يعد هناك استعمار عسكري، بل هناك استعمار اقتصادي، أحب أن توضّح هذه المسألة.

بالنسبة للسؤال الثاني فهو موجّه للأستاذ محمد رعد: ليس هناك أي شك أن دور المقاومة واضح كمقاومة قتاليّة، لكن ما هو دور المقاومة في حماية الاقتصاد الوطني؟ وشكراً.

بلال عساف، الجامعة اللبنانيّة:

أودّ أن أوجّه سؤالين للحاج محمد رعد: حول الوحدة الوطنيّة وهي مفقودة تلقائياً في لبنان، وذلك بسبب التشتت الحاصل بين مفهوم الوحدة

ومفهوم الانتماء، أريد أن أسأل هل أن للمقاومة دوراً في تفعيل هذين المفهومين على صعيد المجتمع اللبناني؟.

والسؤال الثاني حول استراتيجيّة دفاعيّة بالنسبة للبنان، طالما أنهم لم يتّفقوا على شيء في الحوار، وقد لا يتّفقون على هذه الاستراتيجيّة الدفاعيّة، **هل هناك خطّة لاستيعاب الطرف الآخر الذي يريد سحب سلاح المقاومة؟ وشكراً.**

نبيلة صعب فتح الله، مدرسة الدكتور حسن صعب...

السؤال موجّه لسعادة النائب محمد رعد، هناك رؤية تقول في السياسة إنها إذا أمكن ترسيخها على المعرفة فإن ممارستها فن، وبعض السياسيين يضعون الزمن كفترة لسقوط النظام، كما يفعل البعض عندنا، إلا أنه ليس من المفترض أن تكون (متى) قبل (كيف)، ومن يبدأ بـ (متى) قبل (كيف) يكون كمن يضع العربة قبل الحصان، إلا أن المقاومة ليست فنّاً فحسب بل هي الوسيلة والهدف والغاية لمستقبل وطن ينوء تحت ظلم أحاديّة حكم الكبار، إنّ الحماية الوطنيّة للمقاومة هي أساس صون وتحصين شعب، يبقى السؤال: هل ثقافة المقاومة كافية لتحصين وطن يتخبّط بأوامر كبار الخارج وينوء تحت عبء مصالح ومنافع وغايات الداخل؟ السؤال: كيف نستطيع رفق هذه الثقافة للمقاومة بخطة ممانعة قويّة قادرة لصدّ عدو قوي ولئيم؟ وشكراً.

فاطمة أحمد، الهيئات النسائية:

أودّ أن أشير إلى مجموعة من المقترحات التي تفيد ربما في إعلان برنامج كفيل في تحديد القيم الفعليّة في المجتمع ودورها في الحماية الوطنيّة الشاملة التي تنحصر في جانب دون جانب.

في الجانب السياسي:

١ ـ لا بدَّ من قراءة عامة مشتركة بين كل القوى اللبنانية الرئيسية حول ضرورة بناء سياسة دفاعيّة أو ما عُرِفَ مؤخراً بالاستراتيجيّة الدفاعيّة، فدون التوصّل إلى رؤية واحدة مشتركة لن يكون بالإمكان صياغة ردٍّ سياسيٍّ على وقائع وتطورات الداخل والخارج.

٢ ـ توسيع دائرة التمثيل الشعبي في العمل المقاوم المسلّح وهذا يتطلّب من الأحزاب والطوائف أن تتنازل عن مهادنتها وسكونها وحيادتها في سياق الانخراط بالمواجهة الشاملة مع العدو.

٣ ـ تثبيت المقاومة كقيمة قانونيّة عبر نصوص تشريعيّة تقوم بها مؤسسات الدولة المعنيّة بهذا الأمر، وكذلك ترسيخها كقيمة إنسانية وثقافيّة وأخلاقية من خلال وسائل الإعلام والكتاب المدرسي، والندوات الفكرية، والنشاطات الاجتماعية...إلخ.

أما في الدور الثقافي والاجتماعي:

١ ـ تكريس يوم خاص لتعزيز دور المجتمع الأهلي والمؤسسات الأهليّة في رفض مشروع المقاومة وتعزيز المناعة الداخليّة للوطن.

٢ ـ إقامة أنشطة فنيّة وثقافيّة في مختلف المناطق تشجّع المواطنين على أداء دورهم في حماية الوطن.

٣ ـ التشجيع على قيام جمعيات تعاونيّة وهيئات أهليّة تقوم بنشر الفكر المقاوم ودعم المقاومة عبر التبرعات الماليّة، إقامة المستوصفات الخيرية... إلخ. وشكراً.

زينب جمعة، كاتبة وباحثة:

إن موضوع المقاومة من الموضوعات الساخنة جداً في الوقت الحالي تنال نقاشاً كبيراً في لبنان، ما يلفت النظر وما يثير الاستغراب أن فعلًا كبيراً

كفعل المقاومة، ونصراً كبيراً كالنصر الذي حقّقته المقاومة في جنوب لبنان، استدعى مواجهة من قبل الاستكبار العالمي، واجه من قبل الاستكبار العالمي الكثير من الضغوطات، وأحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ إنما كانت الرد على نصر أيار ٢٠٠٠، لماذا؟.

إذا لاحظنا جميعاً بأن نعت المقاومة بالإرهاب أصبح سائداً في اللغة السياسية الأميركيّة تحديداً وفي الخطاب الغربي السياسي عموماً، حتى على صعيد المقاومة في فلسطين كانت تسمّى عمليّاتها بأعمال العنف، ولكن بعد ١١ أيلول أصبحت تسمى بالإرهاب.

العمل من الغرب يتركّز الآن على تسخيف فكرة الجهاد وفكرة الشهادة، فأعظم وأشرف المفاهيم الموجودة في فكرنا الإسلامي هي فكرة الاستشهاد في سبيل الله وفي سبيل الأرض. الهدف الأساسي لإطلاق جماعة القاعدة وجماعة الزرقاوي هو إبعاد الأمة العربية والإسلاميّة عن هذا المفهوم. وشكراً.

علي نور الدين، الجامعة اللبنانيّة:

لي ملاحظة عامة على مجمل الأبحاث، وهي أنني كنت أتمنى في معظمها أن تكون أكثر مقاربة لمحور المؤتمر، «ثقافة المقاومة»، فالأبحاث دارت حول الثقافة لكنها لم تَرِث المقالة على المحور بالضبط. وشكراً.

الإجابات

الحاج محمد رعد:

أولًا بالنسبة للمقاومة والإرهاب، لا شك أن الحدود الفاصلة بين المقاومة والإرهاب يجب أن تكون مشخّصة ويُعمَل عليها ولعلّ هذا من مهام المقاومة، ومن مهام مراكز الدراسات المعنيّة بهذا الأمر، لكن أود أن أضيف

فقرة لمفهوم الإرهاب، علينا أن لا نغفلها حتى تطبيق القانون الدولي بشكل متفرّد من قوى دولية بالقوة هو نوع من أنواع الإرهاب لأنه خروج على القانون الدولي لفرض إرادة لا يقرّها المجتمع الدولي.

أما بالنسبة للمقاومة، فنحن لا نتعاطى على أساس أنها حق نصادره من كل اللبنانيين، ونحصره فينا، بل هي واجب على كل اللبنانيين، والبعض مقصّر في أدائه، ولذلك حتى الآن، في أواخر سنوات الاحتلال، ففي سنة ١٩٩٩ شكّلنا سرايا لبنانيّة للمقاومة، حتى يشارك فيها كل من يرغب في المقاومة وفي أداء الواجب الوطني عليه، وهي لا تزال تعمل إلى جانب المقاومة الإسلامية، ويرابط أبطالها في بعض المواقع، ويقومون بأعمال ومهمّات وطنيّة مقاومة، وينتمون إلى مختلف المناطق والطوائف. لكن الوضع السياسي العام الذي أشار إليه سماحة الأمين العام أمس، والذي يخيّم على لبنان، هو الذي يحول دون رفع وتيرة العمليات المقاومة في هذه الفترة.

أما عن دور المقاومة في المسائل الاقتصادية والاجتماعية والمدنيّة، فالمقاومة حينما حصرت مهمتها في مواجهة العدو الإسرائيلي فإن القوى السياسية التي تدعم المقاومة في وجه العدو الإسرائيلي هي معنيّة، وحزب الله جزء منها، في المساهمة بإعداد رؤية شاملة لإصلاح الوضع الاقتصادي وللنهوض بأوضاع البلاد عموماً، اقتصادياً وثقافياً وإنمائياً..

هل ثقافة المقاومة كافية؟ أعتقد أن الثقافة تحتاج إلى تركيز لكنها موجودة ونمارسها عملياً، وهي تحتاج إلى تعميم في مختلف مجالات الحياة البنانية. وشكراً. أما بالنسبة لما ورد في الصفحة الرابعة، ففي الحقيقة، عندما نتحدّث عن أن يكون لبنان مساهماً ولم نعبّر بأن يكون شريكاً، حتى لا نقول بأن تقصير الشريك الآخر يلغي دور لبنان، لبنان مساهمته واجبة حتى لو قصّر الآخرون في أداء إسهاماتهم. وصموده يسهم في أن لا يستدرج ليقبل بالمفاوضات وبالشروط الإسرائيليّة، وهو إسهام كبير على رغم أنه يمثّل حدّاً أدنى من الإسهام. وشكراً.

إدريس هاني:

فيما يتعلّق بمداخلة الأستاذ في موضوع تراجع الاستعمار، للأسف إن مستوى البحث لم يقرأ بالكامل لضيق الوقت، وبالتالي لم أكن أعني بتراجع الاستعمار أنه تراجع بصفة أو بأحلامه فهو كل يوم يطالعنا بحلم جديد وبفرية جديدة. الاستعمار هو تركيبة بنيوية، وأتصوّر أن العلاقات الدولية لم يأتِ عليها ذلك اليوم الذي تصبح فيه الدول كائنات مثالية تتعايش مع بعضها في حمل وديع.

دخل المشروع الفلسطيني في فلسطين على أساس أنه يريد أن يبني إسرائيل الكبرى وأن يكون مركزاً في الشرق الأوسط.

وفي العراق كان من المؤكد أن أميركا ستدخل، فهناك حالة من التخدير، وللأسف ما قدّمه الزرقاوي للاحتلال الأميركي هو أكثر حرجاً، وكلا الاثنين أميركا والزرقاوي هما إرهابيين والله يستر. وشكراً.

الخاتمة المستقبلية

المداخلات والمناقشات

الشيخ شفيق جرادي:

أشكر منتدى الفكر اللبناني، وكل الطاقم العامل في هذا المنتدى، وبالأخص رئيس الهيئة التأسيسية لهذا المنتدى الأخ الدكتور غسان طه، كما وأشكر كل الذين تجشّموا العناء معنا هذين اليومين، جزاهم الله ألف خير **وللدخول إلى الموضوع، يسألني أحد الإخوة أنه إلى أي مستوى يمكن لهذا اللقاء أن نفتح فيه جواً من النقاش الصريح؟ فبحسب معرفتي بمناخ ينبغي أن** يسود في هذا اللقاء أن مثل هذا اللقاء هو فقط وفقط للأجواء الصريحة للغاية، فهناك بعض الأفكار والمقترحات والانطباعات والملاحظات التي تخرج صادقة وملطّفة أحياناً تراعي الكثير من جوانب الرقابة التي يشعر فيها صاحب الكلام، نتمنّى أن يكون هذا اللقاء خارج إطار الرقابة.

الأمر الثاني أن هناك ميداناً واسعاً ينبغي أن يكون من طرح الإشكالات المقترحة والتي يمكن أن تقدّموها لإجراء نقاش حولها لكن أودّ أن أعلّق على أمر يعكس سرعة التفاعل مع الحدث في لبنان، فالمؤتمر انتهى في الساعة السابعة والنصف مثلًا البارحة، وفي حدود التاسعة كان هناك لقاء تلفزيوني يتحدّث عن أن ثقافة المقاومة وهي في إطار حزبي إيديولوجي، هم يُبدون الاستغراب، أنا أنقل هنا لأقول باسم الذين عملوا في مثل هذا اللقاء أن هذا اللقاء سعى للوصول إلى أوسع شريحة ممكنة ومتنوّعة من المشاركين لكن أحياناً يشعر الواحد كأنهم يخنقونه تحت عنوان لماذا لا تفتح يديك علماً أن وظيفة الآخرين أيضاً بفتح الأيادي لك.

على أي حال أظن أن هذا اللقاء في هذه السنة كان فاتحة نتمنّى بإذن

الله أن يتكرّر سنوياً ليتّسع إلى أوسع شريحة ممكنة سواء على مستوى التنوع في تناول الموضوعات أو الاتجاهات الخاصة بالموضوعات أو الشخصيات المشاركة، كما آمل أن نخرج من هذا اللقاء ببعض المقترحات ولفتني انطباع لدى الأخ العزيز الحاج عبد الرحيم فخر الدين حينما قال أظن أنه ليس كل ما يطرح من نقاشات وإشكالات ينبغي أن يُحَلّ في هذا اللقاء أو في هذه الأيام إنما علينا أن نرسم جملة من الخطوات حتى نستشرف فيها إمكانيّة النقاش والحوار والحلول المستقبليّة.

شكّلت الحالة المأزقية التي عاشتها المنطقة جراء الهيمنة والاحتلال ميداناً لمقاربة الباحثين والمفكّرين الذين قدّموا مساهمات جمّة في هذا الميدان منذ ما يزيد عن نصف قرنٍ من الزمن، لكن راهنيّة الأحداث التي ما تزال تمرّ بها منطقتنا على امتداد عالمنا العربي والإسلامي تثير العديد من الإشكالات والتي هي بمثابة التحديات الماثلة أمام روّاد الفكر والثقافة تستحثّ منهم الفكر والوجدان وتشرّع بابها لأقلامهم في سبيل وضعها موضع التشريح والتشخيص ورسم الاستراتيجيات التي تعين على تجاوز الواقع المتردّي، وبين هذه الإشكالات والتساؤلات ما يأتي:

أولًا: هل المقاومة هي الصراع العسكري وحده أم أنها ممانعة مجتمع متنوّع الوجود؟

كيف يمكن لقوى الممانعة والمقاومة تقديم خطاب وحدوي النزعات يشمل ما يلي: الخصوصيات العقائدية، والخصوصيات الدينية، والخصوصيات الطائفيّة؟

كيف يمكن للخطاب الوحدوي تجاوز خصوصيات العلاقة بين قوى الممانعة والأنظمة القائمة؟.

هل يمكن دعوة الفقهاء المسلمين لتشكيل منظومة فقهيّة حول المقاومة

والممانعة، ولتحديد الأولويات في العمل المقاوم وتحديد تعريف خاص يرسم الحد الفاصل بين الإرهاب والمقاومة وبين دار السلام ودار الحرب؟.

كيف يمكن لقوى المقاومة والممانعة تقديم صورة عن الذات للشعوب الغربية بهدف مواجهة التنميط الإعلامي الغربي لشعوب المنطقة كمواجهة ابتدائية؟.

كيف يمكن وضع استراتيجيّة للتحصين الثقافي في ظل سيادة العولمة، وهل يجزي المنع من الاختراق الثقافي مع وجود نظام الاتصالات الحديثة؟.

في الساحة اللبنانيّة كيف يمكن وضع استراتيجيّة دفاعيّة تستند إلى عناصر القوى داخل الخصوصيات الطائفية، واستيعابها ضمن المشروع العام دون إلغاء خصوصياتها؟.

ما هي المنطلقات التي تختزن عناصر القوة والتي يمكن الاستناد إليها في خطاب الممانعة؟ هل تكون من خلال الارتكاز على روح الإسلام فحسب، أم من خلال الدعوة الإحيائيّة من داخل المنظومة المعرفيّة للإسلام والتي ترسم الذات والآخر؟.

هل أن المقاومة هي حركة مناهضة لأنظمة الحكم في بلدانها أم أنها حركة في وجه المحتلّ والمغتصب للأرض والحقوق؟.

أخيراً: هل يمكن للمقاومة إحداث توازن بين النهج المقاوم وبين تقديم تجربة نموذجيّة في بناء السلم الأهلي وللمجتمع؟.

هذه الأسئلة هي نماذج علينا أن نحكي في مناخها وأن يكون الحوار مفتوحاً حراً واضحاً بيّناً وأن نؤجّل الإنشائيّة والشعر قليلًا لندخل بالموضوع لما هو مسألة فكريّة. والسلام عليكم.

محمود حيدر:

أتصوّر أن هذا المؤتمر يأتي بعد خمس سنوات من الانتصار الذي

يفترض أن يشكّل من بدايته تأسيساً لثقافة المقاومة، وبعد هذه السنوات لو لم يكن هذا المؤتمر يأتي الآن على قاعدة الانقسام اللبناني واضح، وعلى قاعدة تفتت وانقسام العالم العربي والإسلامي واضح، على قاعدة هجمة مدوية يقودها الغرب على المسلمين، لكن يفترض بنا أن نعنون هذا المؤتمر «بثقافة الانتصار» وليس فقط «ثقافة المقاومة» لأن ثقافة المقاومة بدأت منذ أول طلقة في المواجهة مع العدو الإسرائيلي في جنوب لبنان، على مساحة الفترة التي انطلقت فيها المقاومة حتى تحقيق النصر الذي حصل في العشرين من أيار ٢٠٠٠ صارت ثقافة مقاومة حقيقية ولو كانت على قاعدة انقسامات في لبنان وفي العالم العربي، والحديث عن ثقافة الانتصار هو أمر مهم جداً إذا أردنا أن نصوغ استراتيجيّة ثقافيّة لهذا المنجز الكبير التاريخي الذي تحقق، لأن من مزايا الثقافة السياسية العربية أنها ما تزال مأخوذة من ثقافة الهزيمة، والمثقفون على العموم لا يزالون عند هذا الانئخاذ من هذه الهزيمة لذلك يندهشون من هذا الانتصار. وليس من المهم الجهة التي حفرت الانتصار أن تكون متصدّية لمثل هذا الأمر، إلا أنه من واجب القطاعات العربية المثقّفة أو في البداية المثقفين اللبنانيين أن يؤسسوا ويخلقوا الجدال والنقاش حول هذا الموضوع بالذات. علينا أن نطرح سؤالاً هنا: هل هناك إمكانيّة للغلبة والنصر في إطار هذه المواجهة الشاملة التي تُخاض اليوم بيننا وبين الخصوم؟.

نحن في بداية عصر تنوير عربي إسلامي ينبغي أن نتنبّه إليه وأن نؤسس له. وشكراً.

زينب جمعة:

ما أردت أن أقوله بالنسبة للأستاذ علي أبو الخير استشهد في كلام قبل قليل أن الدخول لموضوع المقاومة لا يمكن أن يتمّ من الباب المذهبي، نحن اليوم نناقش فكرة المقاومة كفكرة عامة وشاملة ولا نناقشها فقط من

خلال وضع لبنان أو من خلال حزب الله كحزب ديني سياسي ينتمي إلى طائفة معيّنة أو منطقة جغرافيّة معيّنة، وأظن أننا إذا نظرنا إلى مقاومة حزب الله بهذه الصورة نكون قد ظلمنا هذه المقاومة كثيراً. عندما تحدّثت عن مسألة الزرقاوي والقاعدة وتحدّثت عن أحداث ١١ أيلول لم أكن أقصد الجانب المذهبي، لكن قصدي هو التوظيف السياسي لهذه الحركات من قبل **الاستكبار الأميركي والصهيوني المشترك. أما في الانقسامات المذهبيّة فهي موجودة في عالمنا الإسلامي منذ مئات السنين والمسلمين يتعايشون معها** ولكن لماذا الآن برزت هذه الانقسامات بهذا الشكل الفاقع، وما يحدث في **العراق اليوم لا يمكن اعتباره صراعاً مذهبياً، وإلا فنحن نبسّط الموضوع بشكل كبير.**

ـ سأبدأ كلامي بكلام للإمام الصادق عليه السلام: «ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب» كلمة تعبّر عن واقعنا حقيقة وهو أنه إذا لم نكن صرحاء في إطار النُّخب فمتى سنكون صرحاء، وحينما يُصار الإشكال المذهبي لا أدري لِمَ يخاف الناس من هذا الموضوع، حينما يكون المقصد نبيلًا، وهو تلافي هذا المرض والوصول إلى صيغة التفاهم والوفاق، وأعتقد أن المقاومة سواء تجسّدت في مسألة حزب الله في الجنوب اللبناني، أو حماس أو الجهاد، قد تكون خير جسرٍ بين المذاهب تؤمّن نوعاً من التعاطي المتبادل والذهاب والإياب. لكن هذا الأمر لا يمنع من مواجهة المشاكل بصراحة ووضوح وخارج إطار العموميات التي جرّبناها في التاريخ. نحن أمّة جرّبت الكتابة التاريخية وهي من أقدم الأمم في هذا المجال، لكننا وللأسف نحن من أسوأ الأمم التي تمتلك تاريخاً حقيقياً. ولم نستطع أن نؤرخ حتى لأبسط تجربتنا السياسية. هناك مشكلة وعلينا دراستها جيداً ودراسة طرق معالجتها بعيداً عن المذهبية وعن الطائفيّة.

بالأمس أُقيمّ مؤتمر لتكريم السيد شرف الدين وهو مناسبة حقيقية،

لأنه حينما كان يتألم لهذا الواقع المتشرذم بين المذاهب الإسلاميّة قال كلمة إنه حتى لا نقول أنا شيعي وأنا سني فلنقل أنا مسلم.

الشيخ شفيق جرادي:

إذا قلنا إنه علينا بالرغم من كل هذه الجراحات أن نجسّر علاقاتنا بحوارات مفتوحة، وهو الشعار الذي ترفعه المقاومة أيضاً، هذا المقدار بالنظر إلى المستقبل لا بالرجعة إلى الخلف، حتى بشكل دائم نكرّر ونخثّر الجراح والدم والتكفير المتبادل، ألا يمكن في هذا الوقت أن يدفع نحو وجهة ننظر فيها للأمام لا للخلف؟ أنا أوافق على أي طرح تقدّمه، ويجب أن ننظر دائماً إلى المستقبل. وشكراً.

الشيخ محمد زراقط:

أحسب أنه من الضروري التمييز بين ثقافة المقاوِم وبين ثقافة المقاومة. فإن المقاوم من حقّه أن ينطلق من أي منطلق أراده سواء كان هذا المنطلق دينياً أم لا، ولكن في الحديث عن المقاومة نفسها أظن أن التركيز على البعد الإسلامي والإنساني الذي أودعه الله تعالى في فطرة الإنسان أمر ضروري حتى لا تتّهم المقاومة في مذهبيّتها أو ينتقص من ولائها للوطن أو غير الوطن.

في العودة إلى المؤتمر، يطرح عنوانه سؤالًا أنه ما هو العمل الذي ينبغي أن يقوم به المثقفون لتحويل المقاومة إلى ثقافة عامة مقبولة لدى جميع الناس كي لا تبقى المقاومة محصورة بين نخبتين، بين نخبة مجاهدة لا يعنيها الكثير مما يقال في المؤتمرات، وبين نخبة مثقّفة تتحدّث فيما بينها ولا يسمعها عامة الناس ولا حتى المجاهدين، وهذا السؤال لم تتم الإجابة عنه مطلقاً، والسؤال الأساسي الذي ينبغي أن نسعى لتحصيل جوابه هو: ماذا علينا أن نفعل لنحوّل مفهوم المقاومة إلى ثقافة عامة تمثّل جزءاً من تكويننا الثقافي عل اختلاف أديانّنا ومذاهبنا؟ وشكراً.

السيد عبد الحليم فضل الله:

هناك الكثير مما يمكن التحدث عنه حول تجربة المقاومة، إنما ينبغي النظر إلى التطور الذي ستمرّ به هذه التجربة، وهذا يقتضي تحميل مفهوم المقاومة ما يجب تحميله، وعدم وصله مع كافة أنواع الإصلاح السياسي أو التغيير الاجتماعي إنما على قاعدة الوصل النسبي والقطع النسبي لا يمكن تحميل المقاومة كل هواجس الإصلاح والفشل السياسي، ولكن لا بدّ من إقامة وصل نسبي مع هذه المفاهيم.

الإشكال الأساسي هو إدخال مفهوم المقاومة في منطقة التباس ما، طبعاً نستطيع كمقاومة لبنانيّة أن نقول: إن مفهوم المقاومة بحقل التجربة اللبنانية هو واضح وجليّ، ولكن الحكم عليه يتم من خلال التجربة، والمقاومة تمارس وطنياً، لكن ثقافة المقاومة دورها الأساسي إعادة استنبات المفهوم الذي سيتطوّر بعيداً عن المنبع. والتطور لم يكن مرتبطاً بهذه التجربة. ولنستطيع إعادة تعريف المقاومة كما بنيناها ينبغي وصلها بمفهوم الشرعيّة، لكن يمكن أن نبني شرعيّة العمل المقاوم، ليس كشرعيّة دينية، ولا ثقافيّة ولا فكريّة أو سياسية، إنما كشرعيّة مركّبة تتّصل بتعاقد اجتماعي، يمكن التأسيس لوجهة نظر معينة، تقول: إن المقاومة تكون شرعيّة ما دامت إلى حد كبير تتوافق مع التعاقد الاجتماعي خصوصاً عندما تُمارَس وطنياً وقومياً على مدى الأمة الإسلاميّة بأكملها. فالمقاومة هي شرعيّة دينيّة وسياسية وثقافيّة وإلا فلا يمكن لها أن تتّصل بالتعريف الذي حاولنا ربطها.

إذا لم نطوّر الفكر السياسي الديني لا نستطيع أن نردّ على الأسئلة التي ينبغي توجيهها بالفقه السياسي الخاص بالمقاومة، والفقه المختص بالمقاومة هو جزء من الفقه السياسي والمجتمعي. وشكراً.

الشيخ فضل مخدر:

عندما نتحدّث عن ثقافة المقاومة فنحن بشكل طبيعي نتحدّث عن

مثقّف وعن النخبة في حالة اجتماعية من المفترض أن يكون لها تأثيرات حتى الوصول إلى الحالة التغييريّة في حركة المجتمع، ومع كل تقديري للمواضيع التي طُرِحَت وبُحِثَت أرى أنه لا بدّ من تسليط على قضايا لم يتم تسليطها في هذا المؤتمر، عندما نتحدّث عن حالة ثقافيّة نخبويّة أو عن حالة يعبّر فيها النخبوي المثقّف عن فكرة المقاومة وثقافتها أرى أنها لا تُقرأ ولا تُدرَس بل تُمارَس. على هذا الاعتبار، كان على هذا المؤتمر سواء في دورته الحالية أو في دوراته اللاحقة أن يعمل على طرح عدد من المناهج والوسائل العلميّة والعمل على نشرها في المجتمع العربي والمجتمع المسلم بحيث تصبح هذه الثقافة تربية بما يجعل منها حالة مقاومة في المجتمع العربي. بناءً عليه يمكنني أن أقول إن لدينا عدداً من الأولويات التي ينظر إليها المثقّف العربي لعلّه في حالة من الحيرة مثل تنظيم البيت الداخلي الإسلامي، أو تنظيم المجتمع العربي بإشكالياته، أو الإصلاح الإداري والإصلاح الاجتماعي، أو حالة الاحتلال والاغتصاب للأرض الإسلامية، كل هذه القضايا تحتاج إلى العلاج. كيف يمكن للمثقّف العربي أن يحدد أولوياته في بحث هذه القضايا؟.

أرى أن أحد أبرز ما شكّلته المقاومة في المجتمع أنها قد حدّدت أولوياتها، هل يمكن للمثقّف العربي والمسلم أن يحدّد أولويّة بحيث يصل فيها إلى هدف أم لا؟ مع الشكر.

هاني فاخوري:

عندما قرأت الورقة بنقاطها وجدتها ورقة مخيفة، وقلت إن الإخوان سوف ينسون أنهم قالوا لي أن أحضر، وفي الجلسة الأخيرة جاءني أخ بمقتبل العمر وبكل أدب وحنيّة وقال لي لا تنس الدائرة المستديرة فقلت حينذاك في نفسي لا حول ولا قوة إلا بالله لم ينسوني. نظرت إليه متوسّماً كل ملامح البساطة والبراءة والعزم وعندما صعدت إلى الدرج لأُجري مكالمة هاتفيّة قال لي لا تنس، قلت له لا سأجري مكالمة هاتفيّة وأعود.

هذه ورقة مخيفة جداً بنقاطها، وذكّرتني في عام ١٩٨٢ أثناء حصار منطقة في بيروت سميناها منطقة غربية وضاحية، كان الشباب مثله مستلمين محاور الجامعة الأميركية في بيروت، وكنت مع بعض الإخوان في جولتنا عليهم، فكان هناك شاب منهم كان بيده (الناضور) ينظر من خلاله إلى البحر ويقول لرفيقه انظر، فنظر وقال له يا سلام كم هي كبيرة هذه البلد التي أنا فيها لتصل ولكل حادث حديث.

وما رآه في (الناضور) كانت مدمّرة في عرض البحر للعدو الإسرائيلي كبيرة جداً، فبيروت من الصحيح أنه تمّ حصارها لكن الشباب الموجودين آنذاك قاتلوا من أجلها وعاشوا لها لبنانيين وفلسطينيين وسوريين، وأقصد القول إنه لم يحتج المتصدّي للعدو آنذاك إلى ثقافة ليحمل السلاح ويقاتل، بالحقيقة، إذا استطعنا أنجزنا نقطة من هذه الورقة وأتينا بها منجزة في العام القادم، وتلينا أنها قد أُتفق عليها نكون قد أنجزنا شيئاً. وشكراً.

الأستاذ نصري الصايغ:

مشروعيّة المقاومة من ذاتها والآخر يطوّر فكره من أجلها وبالعكس. قلت إن المقاومة ليست مقبولة كتعريف، ولا تُعطى تعريفاً بذاتها وإنما تعريفاً بذاتيّة غيرها، وهي لا تُحاكَم على قاعدة الذاتيّة إنما على قاعدة وظيفتها، وكل من يكون ضد هذا المشروع لا أحتاجه في أي شيء آخر. هل مشكلة المقاومة اليوم مع عدوّها أم مع بيئتها اليوم؟ ليست مشكلة المقاومة في التاريخ إلا أنها تقاوم العدو. وحتى عندما جاء الفكر السياسي ليحدّدها قرّرت جمعيّة الأمم المتّحدة أنها هي التي تريد أن تحدّدها. الثقافة بالنسبة إليَّ ليست خطاباً وليست إعلاناً بل هي تجسيد في المؤسسات بمعنى الثقافة المنتجة والمبدعة والإعلاميّة فلماذا لا زالت المقاومة تصرّ في كل مؤسساتها على لون واحد؟ أليس من الضروري أن تصبح هذه الثقافة تنضح باتّجاه الخارج وتسرّح يديها لكل شرائح هذا المجتمع، فبدل من عشرين سنة

حوار يكفي أن تفتح الذراع حتى تصبح هذه المقاومة لها إنتاجها الثقافي. وشكراً.

علي نور الدين:

في الواقع هذه النقاشات مهمة جداً وربما تكون أكثر قيمة من المحاضرات ذاتها، وما أود الإشارة إليه أن نخرج على الأقل متّحدين حول رؤية واحدة حول المقاومة، ويقول الله في القرآن الكريم: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾، كلمة «ولا» حُذِفَت من أذهاننا في كثير من الأحيان، وتفرَّقنا شِيَعاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبره وهذا من أخطر الأمور على المقاومة، التي لا تكون إلا بالوحدة ومن خلال أبحاثي كباحث في التراث وجدت أن المسلمين لم يتمكّنوا من فتوحاتهم إلا عندما كانوا متّحدين. وفي كتاب المغرب في تلخيص أخبار المغرب للمراقشي، يصف كيف قُضي على المسلمين في الأندلس وبالتالي في المغرب، يقول: في موقعة العقاب ـ وكانت عقاباً لهم ـ خرج المسلمون بستمائة ألف مقاتل وهو أكبر جيش في التاريخ الإسلامي إلى موقعة العقاب في الأندلس لمواجهة الأسبان، ولكن يقول المراقشي إن المسلمين خرجوا متفرّقين كل قائد رئيس وكل جندي رئيس في دائرته، يقول ما إن هجم علينا الأسبان حتى هرينا ولم نسلّ سيفاً فقُضِيَ على المسلمين لأنهم تفرّقوا.

البارحة قال سماحة السيد إن عمليات المقاومة في مزارع شبعا جُمِّدَت في الآونة الأخيرة لأسباب سياسية داخلية، وهي نتيجة تفرّق بعض اللبنانيين عن المقاومة، فالوحدة هي الأساس، والتعدد الطائفي أرجو أن يفهم كما أراده الفقهاء والأئمة أصحاب المذاهب. يا إخوتي الأعزاء، المذاهب في الإسلام هي غنى له، هي مدارس فقهيّة، الأئمة أصحاب المذاهب أفتوا بمسائل فقهيّة كلّ منها تِبعاً لثقافته ومدى تحكّمه بعلوم عصره. ويقول الإمام الشافعي:

إن كـان رفـضـاً حـب آل مـحـمـد فـلـيـشـهـد الـثـقـلان أنـي رافـضِ

والإمام أبو حنيفة يقول عندما تتلمذ سنتين عند الإمام الصادق عليه السلام: «لولا السنتان لهلك النعمان».

علينا أن نتّحد، فالمسلمون كلّهم إخوة، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ فتذهب ريحكم ويطمع بكم عدوّكم، والسلام عليكم.

عبد الرحيم فخر الدين:

اسمحوا لي أن أتقدّم بالشكر لسماحة الشيخ شفيق جرادي وإدارة دار الهادي وإدارة منتدى الفكر وكل من عمل لإنجاح هذا العمل المبارك وأقدّم للجميع كل التبريكات بمناسبة ذكرى الانتصار. اسمحوا لي أن أضع الإصبع على القضيّة مباشرةً، يجب التشدد بالتمييز بين المقاومة كمقاومة عسكريّة مع العدو وبين العمل السياسي التفصيلي الداخلي، إن العمل السياسي المتعلّق بالتفصيلات الداخليّة يحدث خللًا وأخطاءً. وهذا له ما يبرّره، إضافةً إلى الصراع الذي تخوضه القوى السياسية مع القوى الأخرى المتعددة وتشكل تناقضاً بين بعضها البعض، بينما في عمل المقاومة يجب عدم الخطأ في الأهداف والأعمال والنتائج ولا بدّ من تحقيق الانتصار إما مع العدو المشخّص بالعدو الصهيوني بالعمل الجهادي، على هذا الأساس والتمايز تبنى الخُطى التي تقسم تحديد الأهداف والآليات ويمكن من خلالها الإجابة الدقيقة على ما ورد في هذه الورقة وعدم الخلط بين ما هو مقاومة وبين ما هو حزب سياسي، لأن تجربة المقاومة يمكن تعميمها بكل أهدافها وسياساتها وآلياتها بينما لا يمكن تعميم تجربة الحزب السياسي لأن لكل مجتمع خصوصياته الداخلية، بينما في الصراع القائم مع إسرائيل فالتشابه قائم مع كل البلدان التي تعاني من هذا الصراع، لذا يجب التفكير الجدّي للمحافظة على إنجازات المقاومة واستمرارها لا للتأسيس وبإلحاح لمؤسسة المقاومة،

بكل اتّجاهاتها وأساليبها وإبقائها حركة مقاومة حيّة، وعدم الاستقواء بها داخلياً أو جعلها شاخصاً لإطلاق النار عليها من المعارضين للمشروع السياسي الداخلي وتشويه صورتها كما يحدث الآن. يجب أن تكون عن الجميع وللجميع، هل إذا أوقفت العقبات أو الصراعات المتنوّعة وحالت دون استمرار أو تأخّر العمل الجهادي للمقاومة، هل نحكم عليها بالفشل وكيف تستمر؟ المطلوب من عقول النخب أن تطرح هذه الأسئلة ومن عقولنا إن نستنبط ما فيه القدرة على استمرار مقاومتنا وعوامل حفظها وخاصة أن تجارب المقاومة أو المقاومات ما تزال ماثلة وكيف مالت أوضاعها. كما يجب أن لا يغيب عن بالنا أن للكاريزمات الشخصيّة للقيادات تأثير في زمان ومكان محدّدين ولكن هذه الكاريزمات والظروف سوف لن تكون مستمرة بنفس الزخم ونفس الظروف، لذا أرجو أن تتحمّلوا هذا الطرح وعدم تصنيفه في حالة التشاؤم، بل أرى من واجبي لحماية المقاومة أن أُعمِل فكري في أقصى الواقعيّة مع علمي أن هذا طرح هو في الاستراتيجيا والأصول ولا بدّ من المراجعة ومن استراتيجيا قبل الممارسات لتجربة المقاومة قبل التحرير وبعده. وشكراً.

الشيخ شفيق جرادي:

كان من الواضح أن النقاشات والأسئلة التي طرحت رست على الأرضية التالية:

أولًا: يمكن أن نتوافق ونحن نعمل في المقاومة على هذا التعدد في المذهبيات والانتماءات أو لا؟.

ثانياً: ونحن نتكلّم عن المقاومة لا بدّ أن نتحدّث عن ثقافة ما لهذه المقاومة، لكن هناك وجهة نظر أخرى تقول إن المقاومة هي فعل عيش، ونمط تربوي، ونظام من القيم الإنسانيّة الذي، يرى هذا الكون وهذه الحياة

فيها الحق وفيها الباطل، وفيها الشر وفيها الخير، وهذه العناوين هي أهم من أن تكون خاصة بفئة من الناس سواء كانت قوميّة أو عرقيّة أو مذهبية. بالتالي، المسألة ليست مسألة ثقافة، ويمكن لأي إنسان أن يتحدّث عن أي ثقافة يريد، لكن الثقافة لم تنتج مقاومة لأنها تتعلّق بنظام وقيم إنسانيّة بحتة، والبعض يرى أنه لا بدّ لنا رغم ذلك أن نورد هذه الثقافة حتى لا يضيع الإنجاز الكبير.

أحب أن أشير لنقطة خاصة شعرت بها في هذا النقاش، لا أدري لماذا نخاف من بعضنا كثيراً، لماذا الفزع الدائم من الفقهيات والأديان؟

أخيراً: في بعض النقاشات انطلقت من منطلق، وينبغي أن لا نورد جملة مما يباعد فيما بين بعضنا بالحوار، عندما أحدّثك وأقول لك كذا وكذا أنا لا أكذب عليك بل **أكلّمك** بصدق، أحب أن أعرّفك على نفسي كما أنا، وأحب لو تعرّفني بك كما أنت عسى أن نستطيع تجاوز هذه الأمور.

وكان من الواضح الطابع الغالب في التحدّيات المباشرة في النقاش وهذا الأفق أبعدنا عن الكثير من المسائل، أنه هل نناقش فقط نحن التجربة اللبنانية؟ لا، فتناولنا العراق ومصر وفلسطين.

نحن لم نتحدّث بشكل جدي عن مجتمع متعدد كيف يمكن لطرح المقاومة أن ينفّذ وأصحابه متمسّكين بخصوصيّتهم لهذه الهويّة.

أقترح بعد هذه المرحلة، حبّذا لو ننتقل لما أشار إليه سماحة الشيخ زراقط: ماذا ينبغي على المثقّف أن يحمل مشروع المقاومة وأن يفعل من أجل تجسير العلاقة بين من هم نخب وبين من هم وسط عام من الناس في التواصل على أرضيّة المقاومة، وبين من يحمل بندقيّة بالمعنى العسكري وبين من يحمل خصوصيّة في التفكير والإعلام والثقافة؟

كيف يمكن اقتراح أمور على هذا المستوى لتتحوّل إلى تواصل وتتحوّل البيئة الاجتماعية وتناميها إلى بيئة اجتماعية تحمل قيماً خاصة بالمقاومة.

أما المسألة الإعلاميّة التي تلعب دوراً خطيراً للغاية، ماذا ينبغي علينا اتجاهها، خاصة أنه كان المقترح أن علينا أن نبني في العالم الغربي إعلاماً يحتضن المقاومة قبل أن نفكّر كيف يمكن لنا في عالمنا العربي والإسلامي أن ننشئ إعلاماً يخاطب الغرب نفسه؟

في الاقتراحات:

الأستاذ نصري الصايغ:

سوف أنطلق من كلمة تفضّلت بها، إننا أمام أزمة، وأرى أنه يمكن معالجتها بالإنتاج الثقافي، وأقترح أن لدى المقاومة مجموعة من المؤسسات وعلى المقاومة أن تتضح ثقافة أي أن تكون هي الإطار الجامع لكل الإبداعات التربوية والثقافية والفنيّة وما سواها، وأن تصبح جزءاً من نسيج الاجتماع اللبناني، فاقتراحي أن مؤسسات المقاومة تصبح مشرّعة الأبواب وحاضنة لكل شرائح المثقّفين المنتسبين وغير المنتسبين سوف ينتسبون إلى الأماكن الثقافيّة الموجودة والمؤهلة لدى الطوائف. هذه هي المؤسسات التربوية كالمنار وغيرها لماذا تبقى دائماً لطائفة دون أخرى؟.

ثانياً: لا أستطيع أن أدرك كيف يمكننا أن نقدّم صورتنا للغرب، أشرت اليوم أن صورتنا ليست جميلة، والغرب يكرّس هذه الصورة. فما هي الصورة التي يجب أن نقدّمها؟.

هذا الإعلام الموجود في الغرب ليس ديمقراطياً بل مُسَيطراً عليه من العسكريتاريا، ولا أعلم إلى أي مدى هي تتبنّى شخصيّة مقاومة أو شخصيات إسلاميّة، لأنهم مع الحرب؟

بما له علاقة بالإعلام في لبنان، إذا كانت المنار لا تستطيع أن تغيّر صورتها الحاليّة وهي صورة مقبولة لدى بعض الأطراف، أتمنّى أن يكون لها إعلام ليبرالي للمقاومة على المستوى اللبناني والعالم وشكراً.

الدكتور مصطفى المعتصم:

علينا أن نسعى لإيجاد الجواب على السؤال الذي يقول: كيف نجعل من المقاومة مقاومة لجميع المواطنين اللبنانيين، وكيف نقنع جميع الأطراف السياسية في وطن مثل لبنان بعدالة القضية التي تحملها المقاومة؟ قرأت مرة كتاباً اسمه: كيف انتصر فيتكونغ؟، هذا الكتاب يحاول أن يفكّك الإشكال ويجعله بسيطاً بدل أنه معقّداً. لبنان عنده مشكلة أساسية وكبيرة في المستقبل وهي مشكلة صراع المياه.

ولبنان كدولة تجارية فيها الرأسمال العربي، إذا فككنا الإشكالية ببعض التقنيات: لماذا نقاوم؟ ومع من؟ وضد من؟ وكيف نقاوم؟ هذه الأسئلة تحتاج لعمليّة تربويّة وتنشئة.

أما على المستوى الإعلامي، فالمنار والجزيرة تتابع أكثر من القنوات المغربية في المغرب. من الجيد أن تنشأ مؤسسة إعلامية أو قناة تبحث في المضامين الغربية وتمرّر مضامين المقاومة فيها. وشكراً.

كامل وزني:

ما طرحه الأستاذ الصايغ هو تعبير حقيقي عن سمعتنا في الغرب أنها سيئة، لكني أعتقد أنها ليست كذلك، سيئة على مستوى أو جيدة على مستوى آخر، على المستوى الإعلامي الموجود في أميركا على سبيل المثال هناك محطات أميركية تمتلكها مؤسسات يهودية تشوّه السمعة. وعلى المستوى الجيّد سواء في أميركا أو في بريطانيا هناك نقابات وجمعيات بدأت تتقبّل ثقافة المقاومة.

ما نعانيه أننا لا نستطيع أن نعرّف عن أنفسنا وهم دائماً من يعرّفون عنّا، هل هذا يستلزم التغيير في تعريفنا لثقافة المقاومة. هناك تعابير غربيّة اعتاد عليها الغرب، والطريقة التي قد يفهمها، إذا تحدّثنا عن المقاومة، ما

هي المقاومة بالنسبة إلينا؟ ما أنا أفهمه وما عشته أن المقاومة هي عمليّة ديمقراطيّة، عمليّة استيعاب الأرض، والحرية، فهذا الجيش الذي أتى ليحتلّ بلدي من واجبي أن أمتلك قوّة المدافعة عن وطني إن كان لبنان أو العراق أو أي بلد آخر. علينا أن نستخدم التعابير اللائقة بالمقاومة والتي يفهمها الآخر. هذا هاجسي في تعريف ثقافة المقاومة إنها ثقافة السلام وإنه إذا لم تتوفّر القوّة لا يتوفّر السلام.

محمد فقيه:

بالنسبة لأي دين وأي مذهب ليس هناك من مانع لانطلاق المقاومة، ورد في القرآن ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ في التاريخ كانت عهدة الجهاد على العرب، وفي العصر الحديث كان الدور على عبد الناصر ودعم حركات التحرر في أفريقيا.

أنا أوافق الدكتور معتصم في ورقته: يجب بناء حلف عالمي مقاوم.

أنا أسأل الأستاذ الصايغ: لماذا لم تؤسس في لبنان فصائل مقاومة كما أسس حزب الله فصيلة مقاومة؟ يجب أن نفهم كما شرح السيّد حسن أنّ هناك خصوصيّة للمقاومة. لماذا لا تقاوم دور النشر بالإنكليزيّة في الغرب؟ وشكراً.

محمود حيدر:

في الحقيقة ونحن نطرح ما هي أشكال التفعيل والمواجهة المستقبليّة للمقاومة، لا يمكن فصلها عن رؤيتنا لها ورؤية الآخر لها، وبكل الأحوال هناك أكثر من إشكاليّة في هذه الرؤية:

١ ـ صورتنا لدى الغرب: الغرب ليس غرباً واحداً، هناك غرب الحكومات وهناك غرب المجتمعات، فيما يتّصل بغرب الحكومات والشركات

الكبرى فلو حلفنا أغلظ الأيمان أننا أنقياء وبيض ومقاومة لا تشوبها شائبة لن يصدّقوك.

أما فيما يتعلّق بالمجتمعات فهي تنظر للقوي مثلما تنظر الحكومات للقوي لتعترف به، الغرب ليس مدينة فاضلة، وأول شرط من شروط الهزيمة عدم الثقة بالذات، وقد تسنّت لنا فرصة في نهاية القرن العشرين، هذه الفرصة تعاطينا معها بالكثير من الاستسهال، استطعنا أن نجبر الآخر على الاعتراف بنا، وإسرائيل هي آخر تجلّيات ما بعد الحداثة الغربية في منطقة الشرق الأوسط اعترفت بهذه القوة اسمها المقاومة الإسلاميّة في لبنان.

وهناك جانب آخر هو أن المقاومة منذ بداية انطلاقتها إلى الآن أنها مذهبيّة، استطاع حزب الله أن يحقق الانتصار بميزان القِوى المركّب الجامع للكثير من العناصر أهمها العنصر الديني.

إذا تأسست لجنة عربيّة لنصرة المقاومة تُعلَن من العاصمة المصريّة القاهرة، واللجنة الدوليّة لنصرة المقاومة وتُعلن من باريس وهذا ليس من المستحيل. هذه من الآليات والآلية الأولى هي الإيمان بالنفس. وشكراً.

وجيه الحاج:

تنتشر في الغرب آلاف الكتب والثقافة الصهيونية تتمسّك بأميركا، أحد رؤساء جمهوريّة أميركا يقول: إن عظامنا في القبور سوف تلعننا لأننا فوّتنا هذا الشعب الذي لا يذوب مع الشعوب.

يجب أن نستحضر في الذهن دائماً مقاومتنا، وأدعو لعولمة الحريّة ولمجموعة الدواء عند الدكتور سليم الحص في قانون الانتخابات... الإعلام أهم شيء يجب أن ينوجد فريق عمل دائم من أجل الوحدة الإسلاميّة والمذاهب، وشكراً.

منصف بن علي:

قلت: «الوحدة» ولاحظت أن لا أحد تحدّث عنها في المداخلات لا بمعنى وحدة العمل ولا بمعنى الوحدة العربية، وأهميّة أن كل مقاومة في التاريخ كان لها دائماً ظهيراً سواء شعبياً أو إقليمياً، وغيابه هو الذي يجعل المقاومة ضعيفة، السؤال هو كيفية أن تكون هناك وحدة للعمل، وهناك نقطة أخرى أن المقاومة شعبياً ثقافتها بسيطة وتميل إلى التبسيط. علينا أن نركّز على ثقافة المقاومة حتى لا ينخرط مثقفيها في الأجندة لدى الاحتلال والهيمنة وهذا ما حدث في العراق أنهم نسوا الاحتلال وبات حديثهم في وزارة فلان وكذا.. وشكراً.

محمود درويش:

العنوان «ثقافة المقاومة» ونضيف عليه «ثقافة المقاومة لمجتمع مقاوم تضمن الاستمرار» إن التوجيه الفكري لباحثين يحيطون بكل المواضيع التي تبني مجتمعاً مقاوماً من خلال ثقافة شاملة لا تختصر هذا المجتمع بثقافة نظريّة فلسفيّة لا عمل له، بل لتكون عملًا صالحاً للتنفيذ، لذلك يجب أن تحيط هذه الثقافة بما في المجتمع من مستويات وفي جميع الأبواب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فعندما يعرف العامل الاجتماعي دوره وواجبه في مجتمع المقاومة ينظّر ويعمل له. نحن نحتاج لبرنامج يربط بين التوجيه الثقافي لكل فئات المجتمع وكلٌّ في مكانه، من خلال عمليّة التوعية والتوجيه الثقافية لترسم في داخل جسم هذا المجتمع وفي فكر كل فرد منه مساواة وتطابق بين ثقافة المقاومة وثقافة الوطنيّة والحريّة إضافة للعزّة والكرامة وبعد.

لذلك وبعد الشكر الجزيل للجهود التي بذلها مؤسسو هذا المؤتمر وكل من شارك فيه، فإني أقترح إنشاء لجان لمتابعة أعمال البحث في كل

التفاصيل المذكورة لإغنائها بالتنوّع، وكذلك إنشاء هيكليّة مع برنامج عمل لجعله صالحاً للتنفيذ مع شرائح المجتمع بكامله، وشكراً.

الشيخ شفيق جرادي:

الاقتراحات بشكل سريع:

١ ـ أن تكون المقاومة هي الإطار الجامع للكل وعلى مؤسساتها أن تكون حاضنة لكل شرائح المثقّفين على تنوّعهم المذهبي والفكري.

٢ ـ علينا دراسة الصورة التي نقدّمها للغرب بعد ذلك تكون الآليات سهلة.

٣ ـ ضرورة وجود إعلام ليبرالي وأن تكون البرامج القائمة فيه تنشئ جملة من البرامج التي تمرّر من خلالها موضوع المقاومة.

٤ ـ تكريم راشيل الأميركية أو تكريم بشكل دائم لرموز المقاومة العالمية.

٥ ـ علينا مراجعة المصطلحات والحوار المستخدم في حوارنا مع الغرب.

٦ ـ دعوى إلى عالميّة المقاومة.

٧ ـ دار إنكليزية عربية، لترجمة الكتب العربية إلى لغات حيّة.

٨ ـ تطوير لجنة عربية لنصرة المقاومة.

٩ ـ إحياء بعض لجان الحقوق الخاصة بنا وأن نحيي الانقطاع عن شراء البضائع من الشركات الداعمة لإسرائيل.

١٠ ـ العمل على أطر تكون ظهيراً للمقاومة.

١١ ـ إنشاء لجان عمل لمتابعة كل التفاصيل الواردة في هذا المؤتمر.

١٢ ـ إحياء التراث الجهادي للأمة بغض النظر عن الأطر المذهبية.

أخيراً: كيف يمكن بالانسياق مع هذا العمل العام صاحب القيم العليا أن نجسّر العلاقات فيما بيننا كأديان ورسالات ومذاهب لكشف موارد التخالف والتركيز عليها؟

البيان الختامي

لأعمال مؤتمر المقاومة

البيان الختامي لأعمال مؤتمر المقاومة

بعد أن اختتم مؤتمر ثقافة المقاومة أعماله مساء يوم الأربعاء في ٢٤/ ٢٠٠٦/٠٥، خرج المجتمعون بالبيان التالي:

إن المقاومة تجربة إنسانية تتجاوز حدود المذهبيات وفقه المذهبيات، لما لها من دوافع واقعية تتسع لقبول كل خصوصية دينية، ومذهبية، ورسالية، وعقائدية.. دون أن تلغي أي خصوصية أو أن تتصنم عندها.

وحفظاً لقيم المقاومة في بناء إنسانية الإنسان في مقوّمات عزته، وحريته، واستقلاله، واقتداره، فإن علينا بيان هذه القيم الثقافية للمقاومة، بمفاهيم ثقافية مقاوِمة، تبدد الارتهان لإرث منطق الهزيمة، والتنازع الداخلي المدمِّر، مشيرين إلى أن من أخطر أنواع وصنوف الثقافات على ثقافة المقاومة إنما يكمن في:

أ. النزعة التكفيرية والاقصائية، مما يفرض ضرورة دراسة كل سبل الحوار التواصلي بين الجماعات الإنسانية معتمدين على تعاقد يأخذ مشروعيته من الأفق المجتمعي المحترم من كل ديانة ومذهب ورسالة.

ب. التباعد بين النخب الثقافية والامتدادات العريضة لحركة المقاومة، الأمر الذي يوجب على الجميع التحرك لصناعة مجتمع الفعل والكلمة المقاومة.

ج. التباعد القطري بين قضايا المقاومة والتحرر، الأمر الذي يلقي مهمة تاريخية على عاتق الجميع، وتتمثل بنشر القيم الثقافية للمقاومة على امتداد هذا العالم.

ومن هذه المنطلقات والمخاطر الآنفة الذكر فإن مؤتمر «ثقافة المقاومة.. تحديات الواقع وآفاق المستقبل» يتقدم بجملة من المقترحات:

١. توثيق ودراسة التاريخ الثوري المقاوم لهذه الأمة، والاستفادة من كل تجربة تاريخية عالمية، نحت منحى المقاومة.

٢. الحرص على أن تكون المقاومة إطاراً جامعاً لكل ذي ضمير حر، وإرادة تحررية، وأن تتسع مؤسساتها الاجتماعية والإعلامية والثقافية للتفاعل البناء مع كل الشرائح الثقافية على تنوعها المذهبي والفكري.

٣. تصويب خطاب المقاومة الموجّه إلى الحواضر غير الإسلامية، سيما منها الغربية، بإنتاج مصطلحات وسياقات حوارية مؤثرة في الخيال الغربي العام.

٤. توجيه دعوة مستعجلة إلى قادة العالم الإسلامي للتنادي إلى عقد جملة فعاليات تخطط لردم الهوة بين المسلمين وترسم أبعاد مشروع مقاوم يرتكز على فقه إسلامي شامل ومتكامل.

٥. الدعوة إلى عقد مؤتمر تحت عنوان «القدس: مدينة بلا أسوار» على أن يقوم به قادة روحيون من الأديان الإبراهيمية الثلاثة، ويعقد في يوم القدس من هذا العام.

٦. عقد مؤتمر سنوي حول ثقافة المقاومة على أن تعمل لجان بمناسبة عيد التحرير متخصصة برسم برامجه ونشر أبحاثه وترجمتها إلى اللغات الأجنبية الحية. هذا ويتم في نفس المؤتمر عند كل عام تكريم شخصية مقاومة عالمية.

المنظمان المتقدم

دار الهادي

دار الهادي موئل القارئ والمثقف، الباحث بلهفة عن كل ما هو ناصع ووضاء في مختلف ميادين المعرفة والفكر، حيث تبهره تلك الفسيفساء التي رسمتها الدار بتنوع منشوراتها وتعدد عناوينها الثقافية. ما يناهز الألف عنوان ونيف من الكتب القيمة لمختلف العلوم والمعارف هي إصدارات الدار، تنوعت ما بين التراث والحداثة، وما بين الأصول والمعاصرة، وفي ميادين شتى، طالت الطب والصحة وعلم النفس والتربية والاجتماع والفلسفة والتاريخ والحضارة و... و.... وقد خاطبت كل طلاب المعرفة من الناشئ المبتدئ وحتى النخبوي المتخصص. هذا كله عدا عن المشاركة الفعالة للدار في إقامة مختلف الأنشطة الثقافية من ندوات ومحاضرات ومؤتمرات ومشاركات له في معارض محلية ودولية للكتاب. ولم يستثن الدار من نشاطه، المساهمة الفعالة في إرساء قواعد المجتمع المقاوم، انطلاقاً من ترسيخ ثقافة ترفد المقاومة بالكلمة والقلم والموقف.

منتدى الفكر اللبناني

منتدى الفكر اللبناني هو إطار ثقافي، يعمل على تنشيط وممارسة الأعمال الثقافية والفكرية عبر إقامة الندوات والمؤتمرات المتنوعة، وتشجيع الحوار والتفاعل الثقافي بين مختلف الشرائح في المجتمع، وإصدار النشرات والدوريات والكتب المختلفة. كما ويعمل على إقامة لقاء ثقافي فكري دوري، ويطرح موضوعات لها علاقة بالمكوِّن اللبناني: الكيان، الهوية،...، وتنطلق نقاشاته من التأسيس الثقافي لموضوعات قد تكون سجالًا في المعترك السياسي.

السير الذاتية للمشاركين

في المؤتمر

(بحسب تسلسل البرنامج)

دولة الرئيس الدكتور سليم الحص

كاتب وباحث، وأستاذ جامعي، وسياسي عريق، تولى مهام ومسؤوليات سياسية واقتصادية عدة منذ العام ١٩٥٥. عضو مجلس أمناء الجامعة الأميركية في بيروت، وعضو في المجلس الاستشاري الدولي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا. شارك في مؤتمرات محلية ودولية عديدة، وله مؤلفات في مجالي الاقتصاد والسياسة.

الدكتور طلال عتريسي

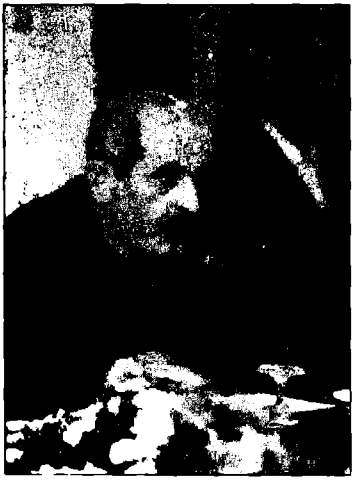

كاتب وباحث، وأستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية، وله مؤلفات عدة في القضايا السياسية والاجتماعية والتربوية، هذا عدا عن المقالات في إصدارات دورية عديدة. عضو في الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، رئيس تحرير مجلة «الملف التربوي»، ومدير معهد العلوم الاجتماعية (الفرع الأول) في الجامعة اللبنانية منذ العام ٢٠٠٣.

الدكتور جمال البنا

الأخ الأصغر لمؤسس حركة الإخوان المسلمين في مصر الشهيد الشيخ حسن البنا. يعتبر من الدعاة لتجديد الفكر الديني. أسس العديد من الأطر والتنظيمات العمالية الوطنية والإسلامية. له مؤلفات عدة في الفكر الديني والسياسة والاقتصاد والاجتماع والعمل النقابي، كما وترجم مقالات عدة (من الانكليزية) عن الجمعيات العمالية العالمية. يرأس اليوم مركز الإحياء الإسلامي في مصر.

الدكتور أدونيس العكرا

كاتب وباحث، وأستاذ محاضر في الفلسفة والعلوم السياسية. شارك في العديد من اللقاءات والندوات والمؤتمرات ذات الطابع الثقافي والفلسفي والسياسي. له كتابات متنوعة في هذا المجال. ويرأس اليوم الاتحاد الفلسفي العربي. كما ويرأس لجنة الدراسات في حزب التيار الوطني الحر.

الدكتور مصطفى المعتصم

كاتب وباحث، وأستاذ بالتعليم العالي منذ العام ١٩٨٥. التحق بالحركة الإسلامية المغربية منذ تأسيسها في بداية السبعينات، عضو مؤسس لحركة الاختيار الاسلامي بالمغرب. عضو في اللجنة الوطنية لدعم العراق وفلسطين بالمغرب،

عضو في المؤتمر القومي الإسلامي والمؤتمر القومي العربي، شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية. له كتابات عديدة في قضايا الفكر المعاصر. ويشغل اليوم منصب الأمين العام لحزب البديل الحضاري في المغرب.

الدكتور رفعت سيد أحمد

كاتب وباحث مصري، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية، له العديد من الكتب المنشورة التي تناولت الحركات الإسلامية في مختلف أقطار العالم الإسلامي. شارك في العديد من المؤتمرات والندوات، له كتابات ومقالات عديدة في صحف مصرية وعربية، يشغل منصب المنسق العام للجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان، وهو اليوم مدير مركز يافا للدراسات والأبحاث بمصر.

الأستاذ نصري الصايغ

كاتب وباحث وصحافي، وأستاذ محاضر في الإنجيلية الفرنسية في بيروت. أدار ورأس العديد من المجلات والصحف بين بيروت وباريس. شارك في العديد من اللقاءات والندوات الفكرية والثقافية، وله إصدارات عديدة في السياسة والفلسفة والأدب والاجتماع.

الأستاذ علي أبو الخير

كاتب وباحث مصري، عضو مؤسس في اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين، ومؤسس مركز الفارابي للإعلام ودراسات المستقبل (يرأسه اليوم).

ينشر مقالاته الدورية في العديد من الإصدارات والمجلات المصرية، وله مؤلفات عديدة في الفكر والسياسة والأدب.

الدكتور علي فياض

كاتب وباحث، وأستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية. متخصص في قضايا الفكر السياسي الديني المعاصر. أشرف على أبحاث عدة في التنمية والسياسة، وله مقالات وأبحاث حول قضايا إسلامية وسياسية. يرأس المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق في بيروت منذ العام ١٩٩٥.

الأستاذ رأفت مرّة

كاتب وباحث في الشؤون الفلسطينية، متخصص في قضايا اللاجئين ومدافع عن حقوقهم. عمل في العديد من وسائل الإعلام العربية. ساهم في تأسيس عدد من المؤسسات الفلسطينية العاملة في الشأن العام. يشغل اليوم موقع رئيس تحرير مجلة فلسطين المسلمة.

سماحة الشيخ فيصل المولوي

داعية ومفكر إسلامي، ومن العاملين في الحقل الإسلامي في لبنان منذ الستينات. شغل مناصب عديدة في المحاكم الشرعية الابتدائية والعليا. عمل في الإرشاد الديني في لبنان وأوروبا. وأسس الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية في شاتو شينون في فرنسا. له مؤلفات عديدة في الفكر الإسلامي والقضايا

المعاصرة. يشغل الآن منصب الأمين العام للجماعة الإسلامية في لبنان، ونائب رئيس المجلس الأوروبي للبحوث والإفتاء.

النائب علي حسن خليل

محامي بالاستئناف وسياسي ناشط، له مشاركات وكتابات عديدة في مجالات الحقوق والعلوم السياسية. عضو في المكتب السياسي لحركة أمل، ونائب في البرلمان اللبناني منذ العام ١٩٩٦. يرأس اليوم رابطة خريجي كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية، كما ويرأس اتحاد شباب لبنان.

النائب محمد رعد

سياسي ناشط منذ السبعينات، ومن أوائل العاملين في مسيرة حزب الله، تولى مهام قيادية عدة في العمل الإسلامي. شارك في العديد من المؤتمرات والندوات الفكرية والسياسية والتربوية، وله مقالات عديدة في قضايا إسلامية وسياسية. نائب في البرلمان اللبناني منذ العام ١٩٩٢، عضو في لجنة الإدارة والعدل النيابية، وعضو في عدد من لجان الصداقة البرلمانية اللبنانية والأجنبية، ويرأس كتلة الوفاء للمقاومة النيابية منذ العام ٢٠٠٠.

الأستاذ إدريس هاني

كاتب وباحث متخصص في الإلهيات والفلسفة الإسلامية وفي قضايا الفكر العربي الوسيط والحديث والمعاصر. متفرغ للبحث العلمي والعمل الإعلامي. شارك في العديد من المؤتمرات والندوات المحلية والدولية وله إسهامات ومؤلفات في قضايا الفكر الإسلامي والعربي المعاصرين.

الأرشيف الصحفي

الإعلان عن مؤتمر ثقافة المقاومة

عبر مؤتمر صحفي عُقد في نقابة الصحافة بتاريخ الإثنين 15/05/2006

مؤتمر «ثقافة المقاومة» برعاية نصرالله

نظم مجلس الخدمة الاجتماعية في الفكر القاسمي، مؤتمر علمي بعنوان: «ثقافة المقاومة: تحديات الواقع وآفاق المستقبل» في مقر الأمين العام لحزب الله، في ٢٣ الحالي و٢٤ منه في فندق «كومودور» في بيروت، برعاية الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله. وقد جاء في محاور المؤتمر: «المقاومة: الفكر والممارسة»، و«الإعلام والمقاومة»، و«المقاومة والتحرير»، و«المقاومة والمجتمع»، و«المقاومة والمجتمع المدني»، و«المقاومة والمجتمع الدولي»، و«المقاومة والمجتمع العربي»، و«المقاومة والمجتمع الإسلامي»، و«المقاومة والمجتمع الإنساني».

وقال المنظمون إن محاور مؤتمر «ثقافة المقاومة» تهدف إلى «تأصيل فكر المقاومة، وتحديد مفهومها، وتحديد أهدافها، وتحديد وسائلها، وتحديد أساليبها، وتحديد مجالاتها، وتحديد أولوياتها، وتحديد أدواتها، وتحديد أشكالها، وتحديد مراحلها، وتحديد مستقبلها، وتحديد علاقاتها، وتحديد مواقفها، وتحديد مواقعها، وتحديد مواقيتها، وتحديد مواعيدها، وتحديد مواعيدها، وتحديد مواعيد

الاعلان عن برنامج مؤتمر ثقافة المقاومة

مؤتمر «ثقافة المقاومة»

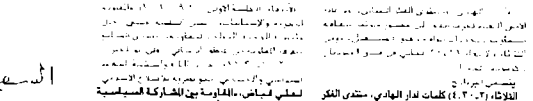

السفير
١٦ أيار ٢٠٠٦

دعوة رئيس الجمهورية العماد إميل لحود

لحضور مؤتمر ثقافة المقاومة

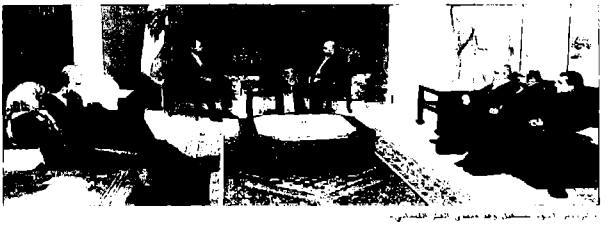

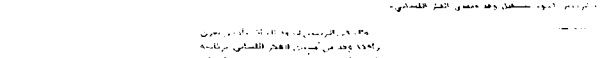

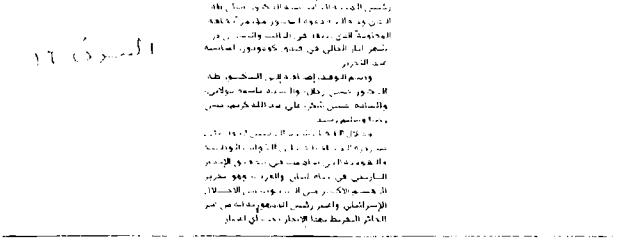

السفير ١٦ أيار ٢٠٠٦

لحود: لبنان يثق بقدرة ابنائه على تطوير وطنهم وتعزيز دوره

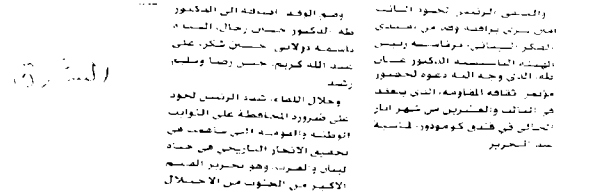

السفير ١٦ أيار ٢٠٠٦

لحود : من غير الجائز التفريط بانجاز التحرير

الديار
١٦ أيار ٢٠٠٦

لحود اطلع على نشاطات المنظمة الدولية للاعلان وتسلم دعوة الى مؤتمر «ثقافة المقاومة»

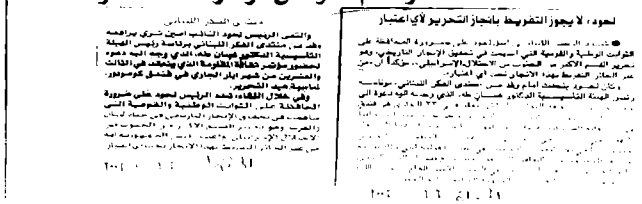

افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة بتاريخ الثلاثاء 23/05/2006

تحدث في مؤتمر ثقافة المقاومة وعرض لمفهوم الاستراتيجية الدفاعية

نصرالله: اذا اردنا لبنان حرا مستقلا علينا بناء دولة قوية وجيش قوي

افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة..
والحص ينتقد المزاجية في تنفيذ القرارات الدولية

نصر الله: دمج المقاومة بالجيش يعرّض الدولة ومؤسساتها لاعتداءات مدمرة

أعلن الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله ان دمج المقاومة في الجيش يعرّض الدولة بكل مؤسساتها لأي عدوان اسرائيلي. ورأى ان الخيار الشعبي هو الأساس لأي استراتيجية دفاعية (...) وأن المقاومة هي الأصل لا بديل عنه.

وأكد السيد حسن نصر الله ضرورة تحرير ما تبقى من الأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية.

جاء ذلك خلال افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة تحديات الواقع وافاق المستقبل، الذي نظمته دار الهادي في الذكرى العاشرة لرحيل مؤسسها الإمام السيد موسى الصدر، بحضور ممثل رئيس الجمهورية اللبنانية وزير التربية يعقوب الصراف، ممثل رئيس مجلس النواب النائب علي حسن خليل، ممثل رئيس الحكومة وزير الخارجية فوزي صلوخ، رئيس كتلة الوفاء للمقاومة النائب محمد رعد، الرئيس سليم الحص، ممثل الرئيس الأسبق العماد اميل لحود العماد ميشال عون، رئيس مجلس قيادة الجيش العماد ميشال سليمان، وشخصيات دينية وحزبية وسياسية وعلمية وثقافية وحشد من الفعاليات والهيئات.

بعد أن تلا القرآن الكريم والنشيد الوطني اللبناني، القى الدكتور عدنان السيد حسين كلمة دار الهادي ثم القى الدكتور حسان بعلبكي كلمة مجلس الجنوب فالمقاومة.

الحص

ثم القى الرئيس سليم الحص كلمة اكد فيها أننا لا نعترف بمن استولى على الدولة المغتصب أمريكا وسياسة إسرائيل وممارساتها في المنطقة. ولا حتى في التفاصيل.

وقال: «آخر تجليات هذه الظاهرة كان القرار ١٥٥٩ الصادر عن مجلس الأمن. والمعروف أنه سيئة مشؤومة بين أصولها وفروعها. هذا القرار استهدف ـ بالعنصر الأميركي فيه ـ لبنان بالذات وسيادته واستقلاله وحريته على حد سواء، أو وضعها بالمجملات وضرب وحدته الوطنية وسلمه الأهلي. أخيرا على ضوء هذا القرار قرأ البعض عن وعي أو غير وعي أن الوحدة الوطنية هي المستهدفة بالأساس من القرار ١٥٥٩ والحق أن هذا القرار ليس عند الأولية والأصل على الإطلاق. وإنما هو مجرد دليل قصير نظر، وعقلية قرار تلب

"الاستراتيجية دفاعية شاملة يشارك فيها الجميع"

نصر الله: نطرح المقاومة كخيار الى جانب الجيش أما البديل فبناء جيش يوازي قوة اسرائيل

(مروان طحطاح)

[illegible]

يريد ان يزج بالجيش من دون ان يمكنه ويحدد ويجزيه ويلحقه بوجه العدو الاسرائيلي يدمر الجيش سواء كان يعرف ام لا يعرف.

[illegible]

رعاية موسى [illegible] تحديات الواقع وافاق المستقبل [illegible]

[illegible]

هز الدين

اسهل الاقتناع بالهدف من العراق

[illegible]

وتابع الشخص في لبنان وفي خارج لبنان ايضا ينظر الى المقاومة من منطلق انها تشكل واقعا مسلحا يريد ان يعمم قصة نفوذ السلاح وان يفني ذاته يتوقف [illegible]

[illegible]

البيان الختامي للمؤتمر

مؤتمر ثقافة المقاومة اختتم اعماله: تجربة انسانية تتجاوز فقه المذهبيات

اكد البيان الختامي لمؤتمر ثقافة المقاومة ان المقاومة تجربة انسانية تتجاوز حدود الذهنيات وفقه المذهبيات لما لها من دوافع واهمية تتسع لقبول كل خصوصية دينية ومذهبية ورسالية وعقائدية دون ان تلغي اي خصوصية او ان تتصدم عندها.

واشار البيان الى انه حفاظا على قيم المقاومة في بناء انسانية الانسان في مقومات عزته وحريته واستقلاله واقتداره علينا بيان هذه القيم الثقافية للمقاومة بمفاهيم ثقافية تبدد الاوهام لاوان منطق الهزيمة والشارع الداخلي المدمر مقتنعين ان من اخطر انواع وسوف الشائعات على ثقافة المقاومة انما تكمن في الترعة التكفيرية والاقصائية مما يفرض ضرورة دراسة كل سبل الحوار الوطني بين الجامعات الانسانية معتمدين على ثقافة يأخذ مشروعيته من الافق المختص المحترم من كل ديانة ومذهب ورسالة.

واشار الى ان من هذه المنطلقات والمخاطر فان مؤتمر ثقافة المقاومة تحديات الواقع وافاق المستقبل تقدم بجملة من المقترحات منها توثيق التاريخ الثوري المقاوم ودراسته لهذه الامة والاستفادة من كل تجربة تاريخية عالمية تحت منحى المقاومة والحرص على ان تكون المقاومة اطارا جامعا لكل ذي ضمير حر وارادة تحرري وان تتسع مؤسساتها الاجتماعية والاعلامية والثقافية للتفاعل البناء مع كل الشرائح الثقافية على نوعها المذهبي والفكري وتصويب خطاب المقاومة الموجه الى الحواضر غير الاسلامية لا سيما منها العربية بانتاج مصطلحات وسياقات حوارية مؤثرة في الخيال العربي العام.

وتوجيه دعوة مستحقة الى قادة العالم الاسلامي المنادي الى عقد جملة قضايا تتعطل لزوم الهوة بين المسلمين ورسم اعداد مشروع مقاومة يرتكز على فقه اسلامي شامل ومتكامل والدعوة الى عقد مؤتمر تحت عنوان القدس مدينة بلا اسوار على ان تقوم به قادة روحيون من الاديان الابراهيمية الثلاثة ويعقد في يوم القدس من هذا العام، وعقد مؤتمر سنوي حول ثقافة المقاومة على ان تعمل لجان مختصة عند التحرير متخصصة برسم دراسته ونشر ابحاثه وترجمتها الى اللغات الاجنبية الحية.

المشرق

٢٧ آب ٢٠٠٦

صور

من المؤتمر

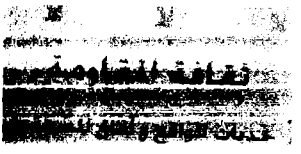

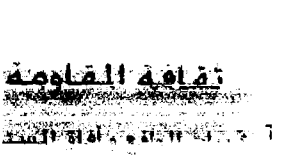
ثقافة المقاومة

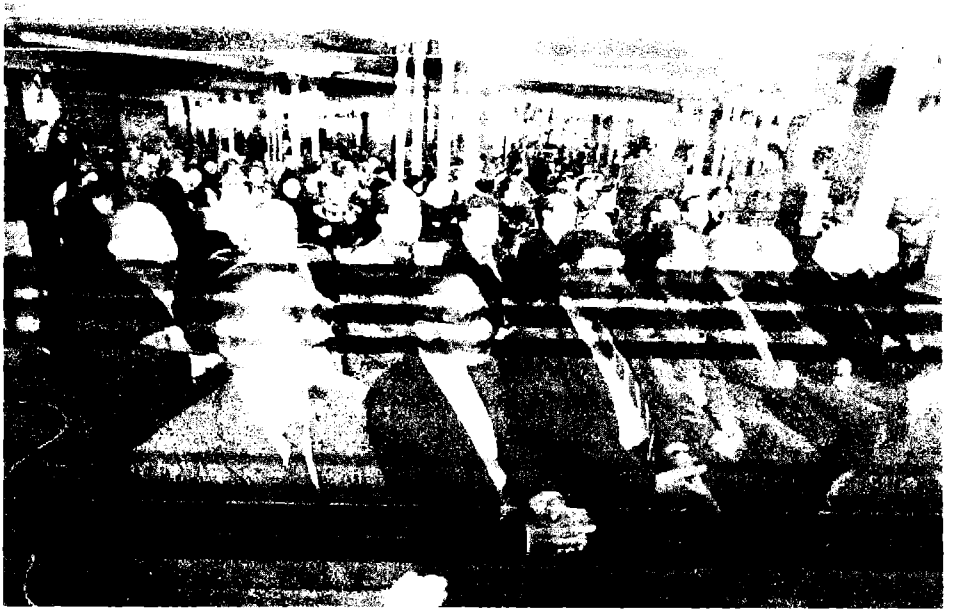

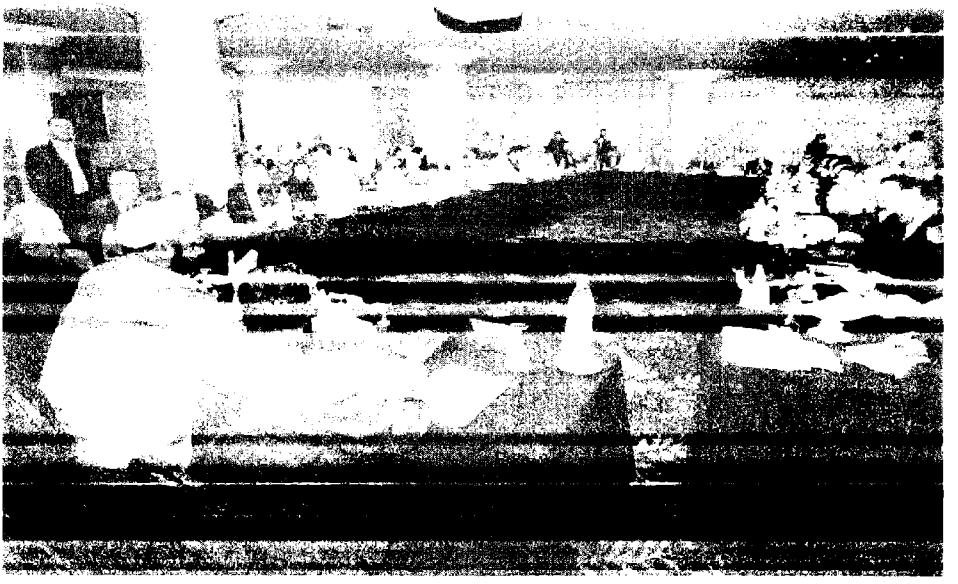

ثقافة المقاومه

الفهرس

■ **المقدمة** ٥

■ **الإعلان عن مؤتمر «ثقافة المقاومة»** ٩

■ **افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة** ١٣

كلمة دار الهادي: الحاج صلاح عز الدين ١٥

كلمة منتدى الفكر اللبناني: الدكتور غسان طه ١٩

كلمة دولة الرئيس الدكتور سليم الحص ٢٣

كلمة سماحة الأمين العام لحزب اللّه السيد حسن نصر اللّه ٣٣

■ **أعمال المؤتمر** ٥١

* **المحور الأول:** المقاومة: الهوية والتحديات ٥٣

تقديم المحور: الشيخ فضل مخدر ٥٥

جدلية القوة والضعف في صورة الذات والآخر: د. طلال عتريسي ٥٧

المقاومة جزء لا يتجزأ من شخصية المسلم: د. جمال البنا ٦٧

المقاومة وليدة الديمقراطية وحاميتها: د. أدونيس العكرا ٨٣

المقاومة وحركة التحرر العالمية: د. مصطفى المعتصم ٨٩

مقاومة التطبيع ـ دراسة في التجربة المصرية: د. رفعت سيد أحمد ١٠١

تعقيبات ونقاشات المحور الأول ١٣٥

* **المحور الثاني:** المقاومة: التجربة الإشكالية ١٥٣
تقديم المحور: د. حسين رحال ١٥٥
ثنائية الوحدة: الدولة ـ المقاومة: الأستاذ نصري الصايغ ١٥٧
ثقافة المقاومة من منظور رسالي: الأستاذ علي أبو الخير ١٧٧
حزب اللّه وأسئلة التغيير السياسي: د. علي فياض ٢١٣
المقاومة بين المشاركة السياسية ومواجهة الاحتلال: الأستاذ رأفت مرة ... ٢٢٥
مقاومة واحدة.. لأمة واحدة: الشيخ فيصل مولوي ٢٣٩
المقاومة في فكر الإمام الصدر: النائب علي حسن خليل ٢٤٥
التعقيبات والنقاشات بعد المحور الثاني ٢٥٥
* **المحور الثالث:** المقاومة والمهام التاريخية ٢٧٩
التقديم: أ. محمد تيسير الخطيب ٢٨١
الحماية الوطنية ودور المقاومة ـ لبنان نموذجاً: النائب محمد رعد ٢٨٣
آفاق المقاومة والتحدي المزدوج: الأستاذ إدريس هاني ٢٩٣
التعقيبات والنقاشات بعد المحور الثالث ٣١٥
* **الطاولة المستديرة** ٣٢٥
المداخلات والمناقشات ٣٢٧
■ **البيان الختامي لأعمال مؤتمر المقاومة** ٣٤٩
■ **المنظمان للمؤتمر** ٣٥٣
■ **السير الذاتية للمشاركين في المؤتمر** ٣٥٧
■ **الأرشيف الصحفي** ٣٦٥
■ **صور من المؤتمر** ٣٧٣